



# الفيد عليه

في عهد الفاطميين

الدكتور محمد هادي الاميني

C

٢

٣٣



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

عید النعدير  
في عهد الفاطميين



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

# عيد الغدير في عهد الفاطميين

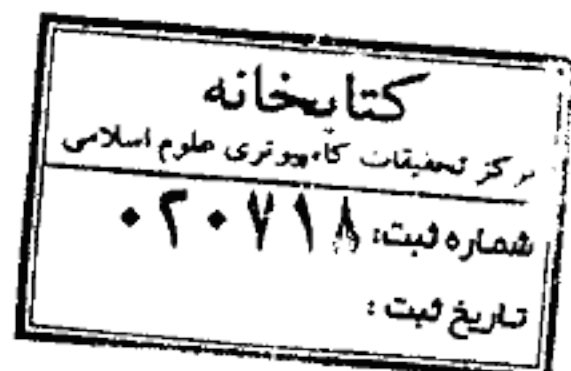


مركز تحقيق التراث والدراسات الإسلامية

تأليف

الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني النجفي





مؤسسة الآفاق

عید الغدير في عهد الفاطميين

الدكتور الشيخ محمد هادي الأمين التقي

الطبعة الأولى: ١٤١٧ ق - ١٩٩٧ م - ١٣٧٦ ش

رُصُّ الحروف: محمود الخاني

تصميم الغلاف: رُزْنَكَار

المطبعة: بنكوئن

التجليد: فرنو

عدد المطبوع: ٥١٠٠ نسخة

دائرة التوزيع: مؤسسة الآفاق

ایران - طهران - شارع پاسداران، دشتستان الرابع، بنایة زمرد، رقم ٤٣

الرمز البريدي ١٩٤٧٩، الهاتف والفاكس ٢٣٧٠٣٥

٨٥٠ توماناً

کافة الحقوق مسجلة للناسر

ISBN 964 - 6058 - 07 - 8

شابک ۹۶۴-۶۰۵۸-۰۷-۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾  
(المائدة : ٦٧)

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً...﴾  
(المائدة : ٣)

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ \* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ \* مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ...﴾  
(المعارج : ١ - ٣)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز تحقيقات كچنيز علوم ورسدي

## المقدمة

لسيادة العلامة الدكتور عبد العزيز الدُّوري،  
رئيس قسم التاريخ الإسلامي في «جامعة بغداد»

قامت الدولة الفاطمية، بعد دعوة سرّية بذلت جهوداً واسعة لفترة تجاوزت ثلاثة أرباع القرن؛ وكانت دعوةً شاملة تناولت الشؤون السياسية و الاقتصادية، و الاجتماعية و الفكرية، في نسيج محبوك؛ و حاولت أن تجمع إلى صفوفها كافة القوى المعارضة للأوضاع القائمة أو المتدّمرة منها.

و قد نشطت هذه الدعوة في المناطق الممتدة بين إيران شرقاً، و المغرب غرباً، و بين سورية شمالاً، و اليمن جنوباً. فشملت شعوباً و جماعات مختلفة مناديةً بالمساواة بين الشعوب، و داعية إلى العدالة الاجتماعية، و متّخذةً من حقّ آل البيت صيحتها السياسية؛ و كان من مظاهر نشاطها أنها اتخذت في البلاد المختلفة أساليب مختلفة، كما تباينت في وجهتها بين الميل للغلوّ، و الميل للاعتدال. و يكفي أن نشير إلى القرامطة في العراق و بادية الشام وإلى قرامطة البحرين، وإلى الإسماعيلية في إيران و اليمن و أجزاء أخرى، وإلى الفاطميين، لترى تباين الصورة الفعلية لإنجازات هذه الدعوة.

ففي الوقت الذي اتّبع قرامطة البحرين سياسة إشراف الدولة على النواحي الاقتصادية، و اتخذوا تدابير اشتراكية معتدلة، ذهب قرامطة العراق إلى

تدابير ممعنة في هذا الاتجاه؛ بينما اكتفى الفاطميون بوجهة إصلاحية معتدلة. و مع أن الدعوة كانت واسعة و نشيطة، إلا أنها قاست من الانقسامات؛ و أقوى مثل على ذلك الحرب الضروس التي وقعت بين قرامطة البحرين و بين الفاطميين في فترة توسعهم إلى مصر.

\*\*\*\*

و مما يسترعي الانتباه أن الدعوة الإسماعيلية لم تثر إلا في البلاد العربية، و ذلك باستثناء بسيط، و هو قيام إمارة حسن الصباح في الموت. فكان نجاح الدعوة في البحرين و اليمن و إفريقية و مصر؛ و كان لها كيان مؤقت في جنوب العراق و في بادية الشام؛ و هي بلاد كانت تشكو من أوضاع اقتصادية و سياسية قلقة. كما أن الدول التي أقامت الدعوة تمثل على العموم الوجهة المعتدلة لها، و خاصة إذا قورنت بالركائز التي تكونت في إيران، و هذه ناحية لها دلالتها في فهم الدعوة، و في فهم بعض جوانب التاريخ العربي.

و كان قيام الدولة الفاطمية أهم نتائج الدعوة الإسماعيلية و أبعدها أثراً في التاريخ العربي، و لم يكن تغلبها على مصر نتيجة التغلب العسكري وحده، بل سبق ذلك نشاط قوي للدعاة الفاطميين و ساعد عليه الوضع الاقتصادي المرتبك في مصر. و كان طبيعياً بعد ذلك أن تعني الدولة الفاطمية بهذه الناحية على وجه الخصوص.

و قد نقلت الدولة الفاطمية مقرها إلى مصر لأهمية موقعها في العالم الإسلامي، و لإمكاناتها الضخمة. و أنشأت لها عاصمة جديدة تعبر عن كيانها و عن اتجاهاتها؛ و من هناك نظمت دعوة فاطمية كانت آمالها و محاولاتها التوسعية تتجه إلى الشرق دائماً، و كان هدفها الأول أراضى الخلافة العباسية.

و نحن نعرف أن العباسيين جاءوا إلى الحكم، إثر دعوة سرية محكمة استمرت ثلاث قرون؛ و إن هذه الدعوة لم تنقطع بقيام الدولة العباسية، إلا أنها

لم تستطع متابعة الأسس الفكرية والاجتماعية التي نادت بها، كما وأُصيبَت بأزمة حادة بعد تسلُّط الأتراك على الخلافة و بصورة أشدَّ بعد الغزو البويهي. أمَّا الدولة الفاطمية فإنها رأت في دعوتها مصدر استمرارها و توسعها بل و سبب بقائها، فبذلت كلَّ جهد في تنظيمها و توسيعها و أنشأت لها الحلقات، و أسست لها مدرسة قوية هي «الأزهر»، لتكون محل تهيئة و إشعاع؛ كما أنها حاولت أن تطبع حياتها العامة و مراسيمها بطابع الدعوة، و يتمثل هذا بصورة جليلة في مراسيمها و أعيادها خاصة.

و قد أراد الفاطميون أن يكثرُوا من الأعياد، و أن يجعلوها تنطوي على مفاهيم تتصل بصميم الدعوة ليتخذوا منها سبيلاً للتأثير على تفكير الناس، و ليظهروا منها عظمة دولتهم. و يبدو أن الأعياد فسرت تفسيراً تأويلياً في الدعوة لتأخذ محلها في نطاق الفكر الإسماعيلي.



و قد كان لعيد الغدير المنزلة الأولى بين هذه الأعياد، و وضعوا له معنى تأويلياً يختلف عن المعنى المعروف لدى الإمامية، و هو معنى يتصل بأساس مفهوم الإمامة لدى الإسماعيلية.

و يظهر أنه كان لدى الإسماعيلية دعاء خاصٌ بيوم «عيد الغدير» و خطبة خاصة تُلقى في ذلك اليوم، كما وضع بعض الشعراء قصائد توضح المعنى التأويلي؛ وصلنا منها مثلاً القصيدة الغديرية لأبي عبد الله الخُصبي<sup>١</sup> و قد أسهب أبو سعيد

١. أبو عبد الله الحسين بن حمدان بن الخُصيب الخُصبي المتوفى ٣٥٨ هـ. فقيه أديب شاعر مؤلف، كان يسكن الكوفة، له: الإخوان. المسائل. تاريخ الأئمة. الرسالة. أسماء النبي (ص). الهداية في الفضائل. أحوال أصحاب الأئمة و أخبارهم. الروضة. في بعض المراجع: الخُصبي الجنبلاقي.

ميمون بن القاسم الطبراني النصيري<sup>١</sup> في كتابه «مجموع الأعياد»<sup>٢</sup> في توضيح معنى الغدير وأهميته، واعتبره العيد الأول بين الأعياد، ووضح أن الكتاب المذكور من نتاج الفكر الإسماعيلي خارج مصر في القرن الرابع الهجري ويتسم بطابع السرية. «باعتناء شتروطمان همبورغ ١٩٤٣ - ٦ / ٥١ - ٨٤».

و هذا يبرر تركيز الأخ الفاضل الشيخ محمد الهادي الأميني على عيد الغدير لدى الفاطميين. و لا أراني بحاجة لتحليل ما بذله من جهد، و ما توصل اليه في دراسته، فهذا واضح في ثنايا الكتاب و نحن نرحب بدراسة تاريخ الفاطميين، و خاصة الجانب الحضاري منه، لأنه لا زال ينتظر الدراسات الواسعة و الجهد الكبير.

عبد العزيز الدوري

رئيس دائرة التاريخ - جامعة بغداد



مركز تحقيق تكملة علوم راسدي

←

أعيان الشيعة ١٤٤/٢٥ رقم ٥١١٦. تنقيح المقال ٣٢٦/١. جامع الرواة ٢٣٧/١. خلاصة العلامة الحلي ٢١٧/٢. رجال ابن داود ٢٤٠/٢. رجال الشيخ الطوسي ٤٦٧/٢. رجال النجاشي ٤٩/٢. رياض العلماء ٥٠/٢. فهرست الشيخ الطوسي ٥٧/٢. لسان الميزان ٢٧٩/٢. معجم رجال الحديث ٢٢٤/٥. معجم المؤلفين ٥/٤. نوايخ الرواة ١١٢/١.

١. أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني، كان حياً في ٣٩٨ هـ. من رجال الدعوة النصيرية، عالم فاضل كان يسكن طرابلس،

و النصيرية، طائفة من الباطنية لاتزال بسورية، سميت بهذا الاسم نسبة الى نصير التمري الذي يقال أنه جاء من جهات فارس. و هي تسكن في شمال سوريا بالجبال المعروفة بجبال النصيرية الواقعة شرقي لواء اللاذقية، و الممتدة من حدود صافينا إلى حدود أنطاكية.

دائرة معارف وجدي ٢٤٩/١٠. معجم المؤلفين ٦٥/١٣.

٢. اسم الكتاب: مجموع الأعياد و الدلالات و الأخبار المبهرات. حدث به سنة ٣٩٨ هـ.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

التمهید

بقيت مصر زهاء قرنين ونصف بعد فتح جيش الأسلام لها ولاية خلافية، و مهبطاً للثورات السياسية، و النزعات الدينية و الطائفية، تتوارثها الخلافة أينما حلت و كيفما أصابت و استقرت؛ غير أن مصر مع هذا كله منذ الفتح الاسلامي كانت تتبوأ مركزاً ممتازاً و مكانة مرموقة لموقعها الجغرافي و أهميتها العمرانية و لتربتها الخصبة في حقل الحضارة من بين الولايات الخلافية الأخرى؛ كالشام و سوريا و العراق، و لهذا نجدها منذ التأسيس كانت مطمع الزعماء المتغلبين. ذلك بأنهم كانوا يرون فيها ضالّتهم المنشودة تتحقّق على صعيدها أهدافهم و أغراضهم السياسية و الاجتماعية و غيرها، حتى أصبحت ملاذاً منيعاً لحركاتهم الاستقلالية. فمن أجل هذا كنت تراها دائماً مهبط احتدام و ميدان صراع و رعى خلافات بين الولايات و الطامعين، سيّما بعد أن ضعّف أمر العباسيين فيها حيث غدت منذ الساعة، طعمة سائغة لنفر من الحكام الأقوياء و الأمراء الأشداء، يحكمونها باسم الخلافة الإسلامية، و يتناول

بعضهم بعضاً بعنوان الغلبة والحكم والقهر، و ينشؤون بها دولة مستقلة لا تكاد تربطها بالخلافة والإمارة رابطة من روابط سياسية أو إدارية.

و مع ذلك كله فقد كانوا يحرصون على أن يستظلوا تحت لواء الخلافة والإمامة و سلطانها الديني، المهيمن على الشعب المصري مع وجود تلك النزعات و الخلافات الداخلية القائمة على قدم و ساق فيها. و لم تكن مصر لتمتعها بمركزها المرموق بين ولايات الخلافة و موقعها الجغرافي السبب لأن تكون قبلة مختارة و ميداناً مهيئاً لذوي الطموح و المتغلبين من الحكومات، و لا أن القضاة كانوا يسعون إلى إخماد بُركان الثورات دائماً و المطالبة باستقلالها، و لكن كل ذلك كان طارئاً عرضياً عليها، ساقته إليها الحوادث و المؤثرات الخارجية الوقتية وحدها، فقسمت شعبها إلى قبائل يحكمها رئيس مستقل، و لقد أثار هؤلاء الرؤساء حروباً مستمرة على المصريين، و في الواقع أن مصر في ذلك العهد رأت من المظالم و الولايات، و ذاقَت مرارتها ما لم ترها في أي عصر من عصورها التاريخية السالفة أبداً؛ سيما فيما يختص بالاضطهادات الملازمة لطموح هؤلاء الولاة و قسوتهم، و الحكومات الخارجية النازحة عليها و مطامعهم، و بسط سلطانهم على ربوعها. و هكذا كانت سنة الأقوياء منذ القدم ليومنا هذا؛ حيث أن التغلب أحد مقومات الحياة الحكومية، و حالة ملازمة لمزاج الحكومات مطلقاً، و لا يمكن لقوي أن يتخلف عن الإنجراف في تياراتها.

لم تخفْ هاتيك المميزات الخاصة لمصر على الفاطميين، و لم تلتبس هذه الحقيقة عليهم منذ قيام عبيد الله المهدي<sup>١</sup> مؤسس دولة العبيد و باني مجدها

١. أبو محمد عبيد الله (المهدي) بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن الإمام الصادق بن الإمام أبي جعفر محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام أبي عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ الفاطمي العلوي الكوفي ٢٥٩ - ٣٢٢ هـ. و قيل: أبو محمد عبيد الله بن محمد

بتنفيذ دعوته في افريقية عام ٢٩٦ هـ. بل كان هو و شيعته أمل بأن يشيدوا بمصر دولتهم الأولى، وأن ينقضوا منها ملوك الأغالبة؛ لذلك رأوا من الضروري أن يوالوا جهودهم السامية و الحربية لتحقيق أمنيّتهم الكبرى هذه، بل أمنيّة الفاطميين جميعاً في الاتجاه نحو المشرق، و من ثمّ توجيه ضرباتهم القاضية للدولة العبّاسيّة، و تكوين دولة شيعيّة فاطميّة ترأس العالم الاسلامي<sup>١</sup>. هذا هو الحلم الجميل و الأمنية الكبرى التي كانت تستهوي قلوب قاطبة الخلفاء الفاطميين في المغرب؛ و لأجله فقد وجّهوا أنظارهم لغزوها و امتلاكها منذ قيامهم بالدعوة، و كثيراً ما حاول المهديّ عبيدالله تحقيقها و تنفيذها و لكنه عجز و لم يستطع ذلك؛ بيد أنهم في الغزوات المتكررة استولوا على بعض ثغورها و نواحيها، و إن كانوا غالباً يرجعون بالخيبة. فقد أرسل المهدي حملة بقيادة حباسة بن يوسف الكنامي التي نجحت في دخول الاسكندرية، و لكن

مركز بحوث و توثيق علوم و تاريخ

←

ابن عبدالله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ ولد بالكوفة و سكن سلمية (بسورية) و كان يناهض العبّاسيين، و يدعو لنفسه فاستجابت اليه قبائل عربية، فبلغ خبر المكتفي بالله العبّاسي، فطلبه ففرّ من سلمية إلى العراق، ثم لحق بمصر فالاسكندرية، و منها إلى المغرب؛ بعد أن كان أبو عبدالله الحسين بن أحمد الملقب بالفلم قد مهّد له بيعة المغرب، و استفحل أمره حتى بويع في القيروان بيعة عامة سنة ٢٩٧ هـ. و حاول امتلاك مصر، فقصدّها مرتين و لم يظفر، و قيل: دخل الإسكندرية و عاد إلى المغرب، فاخطف مدينة «المهديّة» سنة ٣٠٣ هـ. و اتخذها قاعدةً للملكة، و مات بها بعد أن حكم أربعاً و عشرين سنة.

و ملك بعده ابنه القائم أبو القاسم محمد، ثم ابنه المنصور أبو ظاهر اسماعيل، ثم ابنه المعز أبو تميم المعز معد بن اسماعيل و هو أول من ملك مصر و انتقل إليها سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة (٣٦٢).

و للدكتور حسن إبراهيم حسن، و طه شرف كتاب «عبيدالله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية» ط و كان يتولّى أمره بنفسه ليس له وزير ولا حاجب. الأعلام ٣٥٣/٤. عمدة الطالب ٢٣٥.

١. المعز لدين الله ٦٨.

تكاثرت عليه جيوش العباسيين، فانهزم حباسة ثم بعثوا بأخرى، قادهما القائم بأمر الله عام ٣٠٧ هـ. و تتابعت غزوات الفاطميين لمصر فكانت تُردُّ مهزومة مدحورة، و مع ذلك لم تثنِ عزائمهم تلك الاندحارات عن فتحها قط.

كيف و قد أدرك الفاطميون، بشاقب رأيهم، أنَّ الدعوة لهم كانت تتجع في بلاد المشرق أكثر مما أخفقت في بلاد المغرب، و أنَّ تحقيق آمالهم كانت مستحيلة لو بقوا في المغرب، و أنَّ من السهل عليهم أن يسيروا من مصر إلى غزو بقية البلاد العربية، و كذلك سائر بلاد المشرق. هذا من ناحية، و من ناحية أخرى رأوا ضرورة فتح مصر لتأديب القرامطة، و إنقاض حكم العباسيين منها.

و إنَّ مصر بذلك كانت فريسةً هينة للفاتح و لكن باسم الخلافة الإسلامية، و كما قلنا كان يشرف عليها جماعة من الجند و الزعماء الأقوياء، و هم ينظمون مواردها و قواها الدفاعية، حين الخطر الداهم لتمردهم على الحروب.

مركز تحقيق كويت للعلوم الإسلامية

قال أبوالمحسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ( ٨١٣ - ٨٧٤ هـ ) : و في سنة ٢٩٧ هـ . خرج على تكين بن عبد الله (والي الخليفة العباسي المقتدر بالله) جماعة من الأعراب و الأحواش، فجهَّز تكين لحربهم جيشاً إلى بَرْقَة<sup>١</sup>، و جعل على الجيش المذكور أبا اليمنى و خرج الجيش إلى برقة - و كان هؤلاء الأعراب من جملة عساكر المهدي عبيد الله الفاطمي الذي استولى على بلاد المغرب - فلما قارب الجيش برقة خرج إليهم حباسة بن

١. بَرْقَة: اسم صُقع كبير يشتمل على مدن و قرى بين الإسكندرية وإفريقية، و اسم مدينتها انطاقلُس. و

قدنسب إليها جماعة من أهل العلم. معجم البلدان ١ / ٣٨٨.

يوسف<sup>١</sup> بعساكر المهدي عبيدالله الفاطمي، وقاتل أبا اليماني حتى هزمه و استولى على برقة؛ ثم سار إلى الإسكندرية في زيادة على مائة ألف مقاتل، ولما عاد جيش تكين منهزماً إلى مصر، أرسل تكين إلى الخليفة يطلب منه المدد، فأمدّه الخليفة بالعساكر، و في العسكر حسين بن أحمد الماذرائي، و أحمد بن كيغلغ في جمع من القوّاد، و سار الجميع نحو مصر.

و كان دخول عسكر المهدي إلى الإسكندرية في أول المحرم سنة اثنتين و ثلاثمائة (٣٠٢ هـ) و وصلت عساكر الخليفة من العراق إلى مصر في صفر و نزلت عبا، فتلقّاهم تكين و أكرم نزلهم ثم تهيّأ تكين بعساكره إلى القتال. و خرج هو بعساكر مصر و معه عساكر العراق، و سار الجميع نحو الإسكندرية، و نزلوا بالجيزة<sup>٢</sup> في جمادى الأولى؛ ثم سار الجميع حتى وافوا حُباسةً بعساكره و قاتلوه، فكانت بينهم وقعةٌ عظيمةٌ قتل فيها آلاف من الناس من الطائفتين، و ثبت كلٌّ من العسكرين حتى استظهر عسكر الخليفة على جيش حباسة العبيدي الفاطمي و كسره و أجلاه عن الإسكندرية و برقة. و عاد حباسة بمن بقي معه من عساكره إلى المغرب في أسوء حال. و هذا أول عسكر ورد إلى الإسكندرية من جهة عبيدالله المهدي الفاطمي<sup>٣</sup>.

و في سنة اثنتين و ثلاثمائة (٣٠٢ هـ) عاد المهديُّ عبيدالله الفاطمي من المغرب إلى الاسكندرية، و معه صاحبه حباسة - المقدم ذكره - فجرت بينه و بين جيش الخليفة حروب قُتل فيها حباسة، و عاد مولاه عبيدالله إلى

١. و قيل: حباشة بالحاء المهملة و الشين المعجمة. و جاء: بضم الحاء. و ورد حباسة، و هو قائد من قوّاد العبيديين. القاموس المحيط ٢/٢٠٩. المشتبه في أسماء الرجال ١/٢٠٨.

٢. الجيزة: بليدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، و لها كورة كبيرة واسعة، و هي من أفضل كور مصر. معجم البلدان ٢/٢٠٠.

٣. النجوم الزاهرة ٣/١٧٢. الكامل في التاريخ ٨/٨٩.

القيروان<sup>١</sup>.

و في أول المحرم سنة أربع و ثلاثمائة (٣٠٤ هـ) و في ولاية ذكاء الرُّوميّ الأعور على مصر، بلغه أن جماعة من المصريين يكاتبون المهدي فتتبع كل من اتهم بذلك، فقبض على جماعة منهم و سجنهم و قطع أيدي أناس و أرجلهم فعظمت هيئته في قلوب الناس؛ ثم أجلى أهل لوبية و مَراقية<sup>٢</sup> من مصر إلى الإسكندرية، ثم فسد بعد ذلك ما بينه و بين جند مصر و الرعية، و بينا الناس في ذلك قدمت عساكر المهدي عبيد الله الفاطمي من إفريقية إلى لوبية و مَراقية، و على العساكر أبو القاسم؛ فدخل الإسكندرية في ثامن صفر سنة سبع و ثلاثمائة (٣٠٧ هـ) و فرّ الناس من مصر إلى الشام في البرّ و البحر فهلك أكثرهم. فلما رأى ذكا ذلك تجهّز لقتالهم، و جمع العساكر و خرج بهم و هم مخالفون عليه، فعسكر بالجيزة و جدّد العطاء للجند و أرضاهم و تهيأ ذكا للحرب و جدّ في ذلك و حفر خندقاً على عسكره بالجيزة، فتقاتلا قتالاً شديداً انتصر فيه، و توجهت عساكر المهدي إلى نحو الصعيد.

و في سنة ثمان و ثلاثمائة (٣٠٨ هـ) بلغ تكين أن ابن المديني القاضي و جماعة بمصر يدعون إلى المهدي، فأخذهم و ضرب أعناقهم و حبس أصحابه؛ و ملك أصحاب المهدي الفيوم و جزيرة الاشمونين و عدة بلاد، و ضعف أمر تكين عنهم؛ فقدم عليه نجدة ثانية من العراق، عليها جني الخادم في ذي الحجة من السنة، خرج جني الخادم بمن معه إلى الجزيرة، و توجه الجميع لقتال عساكر المهدي. فكانت بينهم حروب و خطوط بالفيوم و الإسكندرية، و طال

١. النجوم الزهرة ١٨٤/٣، الكامل في التاريخ ١١٣/٨.

٢. لوبية: بالضم، مدينة بين الإسكندرية و برقة و مَراقية، بالفتح و القاف المكسورة، إذا قصد القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية فأول بلد يلقاه مَراقية ثم لوبية.



ذلك بينهم أياماً كثيرة إلى أن رجع أبو القاسم القائم محمد بن المهدي عبيد الله بعساكره إلى برقة<sup>١</sup>.

و في سنة إحدى و ثلاثمائة (٣٠١ هـ) جهّز المهديّ العساكر من إفريقية مع ولده أبي القاسم إلى فتح مصر فساروا إلى برقة، و استولوا عليها في ذي الحجة و ساروا إلى الإسكندرية و الفيوم و ضيق على أهلها؛ فبعث إليه المقتدر بالله العباسيّ مونساً الخادم - و كان قائداً من كبار قادة العباسيين - في جيش كثيف، فحاربهم و أجلاهم عن مصر فغادروا إلى المغرب منهزمين<sup>٢</sup>.

و لكن جاء في بعض النصوص التاريخية أن عساكر المهديّ استولوا في هذه المرّة على برقة و الإسكندرية، و حكموها ثم شعر والي مصر أن بين المصريين من يكاتب الفاطميين لغزو البلاد، فتتبّعهم الوالي و سجن منهم عدداً كبيراً و عذب آخرين بقطع أيديهم و أرجلهم. لذلك فقد اضطرّ الفاطميّون إلى اتخاذ التقيّة و إلى الدعوة السريّة، و قد جاء: أن المهدي نفسه دخل مصر مستتراً في زيّ التجار و كوّن له هناك دعاة و أنصاراً كما كانوا يكاتبون المصريين بالنثر تارة، و بالشعر أخرى؛ و كان مونس الخادم يصادر هذه المكاتبات و يرسلها إلى الخليفة العباسي المقتدر. و قد حفظ لنا التاريخ صورةً مقطوعة من الشعر قيل أن القائم بأمر الله<sup>٣</sup> أرسلها إلى شيعته من المصريين

١. النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٦.

٢. إتحاظ الحنفيا للمقرئ ٥٨/ دائرة المعارف لفريد وجدي ٣١٦/ ٨. الكامل في التاريخ ٨٤/ ٨.

٣. القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي الفاطمي العبيدي، و يسمى نزاراً (٢٧٨ - ٣٣٤ هـ). و لي القائم بعد موت أبيه حكومة المغرب بعهد منه إليه، و ملك إفريقية، و كان شجاعاً شهياً مقدماً أديباً شاعراً فاضلاً، ولد و نشأ في سلعية (بسورية) و دخل المغرب مع أبيه، و لما استقر أبوه في ملك المغرب جهّزه إلى مصر مرتين سنة ٣٠١ و سنة ٣٠٧ هـ، فلك في الأولى الإسكندرية و الفيوم، و في الثانية وصل إلى الجيزة و قاتله

يستنهض فيها همهم، وأرسلت من قبل مونس إلى بغداد. و المقطوعة إن دلت على شيء فإنها تدل على اهتمام الفاطميين و عنايتهم بانتفاض الحكم من العباسيين، و الطعن فيهم سيفاً و قلماً. و إليك المقطوعة:

أيا أهلَ شرقِ الله زالت حلومكم	أم اختدعت من قلّة الفهم و الأدب؟
صَلَاتُكُمْ مَعَ مَنْ، وَ حَجَّكُمْ بِمَنْ؟	و غزؤكم في من؟ أجيبوا بلا كذب!
صَلَاتُكُمْ وَ الْحَسَجَ وَ الْغَزْو، وَيَلُكُم	بُشْرَابِ خمر عاكفين على الرّيب
ألم ترني بعت الرفاهة بالسّرى	وقمت بأمر الله حقاً كما وجب؟
صبرت و في الصبر النجاح و ربّما	تعجلّ ذو رأي فأخطا و لم يصب
إلى أن أراد الله إعزاز دينه	فقمّت بأمر الله قومة محتسب
و ناديت أهل الغرب دعوة واثق	بربّ كريم من تولّاه لم يخب
فجاءوا سراعاً نحو أصيد ماجد	يسادونه بالطّوع من جملة العرب
و سرت بخيل الله تلقاء أرضكم	و قد لاج وجه الموت من خلل الحجب
و أردفتها خيلاً عناقاً يقودها	رجال كأمثال الليث لها جنب
شعارهم جدّي، و دعوتهم أبي	و قولهم قولي على النأي و القرب
فكان بحمد الله ماقد عرفتهم	و فزت بسهم الفلح و النصر و الغلب
و ذلك دأبي ما بقيت و دأبكم	فدونكم حرب تضرّم كاللهب <sup>١</sup>

\*\*\*

←

جيش المقتدر العباسي فعاد إلى المغرب، و بويع بعد موت أبيه عام ٣٢٢ هـ. و هو ثاني ملوك الدولة الفاطمية، مات في المهدية سنة ٣٣٤ هـ. له شعر في بعض المراجع. و ملك بعده ابنه المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل. الأعلام ١٤٠/٧. البداية و النهاية ٢١٣/١١. شذرات الذهب ٣٣٧/٢. العبر في خبر من غير ٤٩/٢. عمدة الطالب ٢٣٦. الكامل في التاريخ ٤٥٥/٨. النجوم الزاهرة ٢٨٧/٣. تاريخ أبي الفداء ٩٥/٢.

١. في أدب مصر الفاطمية ١٦.

و لم يطمئن الفاطميون من فتح المغرب بل كانوا في اضطراب و قلق و لم يقنعوا بأن سلطانهم أصبح الحاكم المطلق على كافة أرجاء إفريقية. و أن عدم تقويضهم لدعائم الأمويين في الأندلس ربما يطيح بعرشهم إلى الأبد. و لولا رجوع المعز أو القائم، لانهارت دولتهم في مهدها تحت ضربات القبائل البربرية الخصيمة لها و المعادية لمذهبها و أنظمتها. و الدولة الفاطمية عند ذاك كانت فتية تسير بسرعة إلى النماء و التوطيد؛ ثم لم تكن الدولة البربرية في المغرب وحدها بأول خصيمة لها، بل كانت هناك قبائل معادية كثيرة كادت تسحقها في المهد ولكنها خرجت ظافرة قوية؛ و أدركت في نفس الوقت فداحة الخطر الذي يحيق بها ويهددها. و الفاطميون مع أنهم قد استطاعوا في فترة قليلة من الزمن، أن يدوخوا قبائل المغرب كلها و أن ينفذوا بفتوحاتهم في المغرب الأقصى حتى المحيط، فأنهم مع ذلك لم يطمثوا بالسلام و البقاء و الدوام في إفريقية، و لم يعتبروا أنهم وصلوا بأقامة ملكهم في المغرب إلى ذروة الأمان و الغايات السامية؛ ولكنهم أيضاً لم تكن عزائمهم من إرسال الدعاة و الجيوش لمصر حتى وجدوا في تربة مصر الخصبة أثر دعايتهم الفعالة في زعزعة الافكار السنية في المشرق، و ضعف أمر العباسيين في الداخل و الخارج. فكانت هذه و أمثالها من العوامل التي شجعت المعز على المضي في مصر، و أعانه على ذلك ضعف مصر نفسها من النواحي الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية، فتفألوا في تحقيق حلمهم في الاستقراء في بلاد مصر.

و يمكننا القول أن الدعوة الفاطمية راجت بمصر رواجاً لم يعهده الفاطميون من قبل؛ و لم يحلموا به. و كانت دعوتهم أسبق إليها من جيوشهم، و أن الدعاة استطاعوا أن يبذروا في نفوس بعض المصريين - إن لم نقل جلهم - معتقدات الفاطميين؛ فاستجاب لهم من استجاب، و كانوا عوناً لجيش جوهر

القائد<sup>١</sup> في دخول مصر سنة ٣٥٨ هـ. ويحدثنا التاريخ الذي تسلمت الأمة على حجّيته عن كيفية قيام الفاطميين في ترويج مذهبهم بمصر، فيقول: لما أخفق السيف عند الفاطميين عولوا على الدعاية لتحقيق آمالهم و أمنيتهم، فكانوا يُدجّجون في صفوف جندهم دعاة عهد إليهم أن يختلطوا بالناس و يعلموهم عقيدة المذهب الإسماعيلي، فلم يلبث أن صار في مصر قبل فتح هذه البلاد بزمان طويل عددٌ غير قليل يعتقد المذهب الشيعي ويرجو نجاحه<sup>٢</sup>.

ثم كثرت الثورات على العباسيين لهذا و ذاك، و تلقّفهم سيوف الثوّار من كلّ صوب و حذب، حتّى حدثت بين حكامها مناوآت عارمة و منافسات

١. أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي المتوفى ٣٨١ هـ. كان من موالى المعزّ لدين الله العبيدي، شجاعاً قائداً بطلاً كثير الإحسان، باقى مدينة القاهرة، و الجامع الأزهر، سيرة الخليفة المعز من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨ هـ. و أرسل الجيوش لفتح بلاد الشام و ضمّها إليها، و مكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولا المعزّ لدين الله سنة ٣٦٢ هـ. فحلّ المعزّ محلّه، و صار هو من عظماء القوّاد في دولته و ما بعدها إلى أن مات بالقاهرة و لم يبق بمصر شاعر إلا رثاه لكثرة إحسانه إليهم.

و كان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨ هـ. و سمّاها «المنصورية» حتى قدم المعزّ فسّمّاها «القاهرة» و فرغ من بناء «الجامع الأزهر» في رمضان سنة ٣٦١ هـ. و أخباره كثيرة. و للاستاذ علي إبراهيم حسن كتاب باسم «تاريخ جوهر الصقلّي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي» ط.

و قد أزال الشعار الأسود، و ألبس الخطباء الثياب البيض، و جعل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمعظالم يحضره الوزير و القاضي و جماعة من أكابر الفقهاء. و في يوم الجمعة ثامن ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب الخطبة: «اللهم صلّ على محمد المصطفى و على المرتضى و فاطمة البتول و الحسن و الحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» كما أمر القائد بقول: «حيّ على خير العمل» في الأذان و هو أول ما أذن به بمصر ثم أذن به في سائر المساجد.

الأعلام ١٤٦/٢. البداية و النهاية ٣١٠ / ١١. تاريخ أبي الفداء ١٢٨/٢. دائرة المعارف للبستاني ٦٠٧/٦. شذرات الذهب ٩٨/٣. العبر في خبر من عبر ١٥٨/٢. الكامل في التاريخ ٩٠/٩. معجم البلدان ٣٠١/٤. النجوم الزاهرة ٢٨/٤. وفيات الأعيان ٣٧٥/١ - ٣٨٠. الحيط المقيز ٣٧٧/١.

٢. المعزّ لدين الله ٦٩/١. الفاطميون في مصر ٨٩/١.

عدائية؛ و من جهة أخرى كانت عاملة و حريصة في ردّ أطماع الزعماء الطامعين بالدفاع عن مصر و حمايتها من غارات المعتدين عليها و المتطلّعين إلى امتلاكها.

أجل إنّ ثورات الجند المتكرّرة و اضطراب الشؤون العامة الاجتماعية و فقدان الأمن و الطمأنينة و الراحة غلبت الفوضى، وزادت في ضعفها، فكان هذا مما دفعها إلى التطلّع إلى مصير أفضل من هذا المصير المظلم. فلبثت مصر تنعى أهلها و تتناهب المصائب، و أصبحت مسرحاً للفوضى و القلق و الاضطراب؛ و عجز الحكّام عن دفع رواتب الجند و الموظفين و لم شعّتها فتفاقت الثورات و تفشّى الفقر و البؤس و المرض في الشعب و مهّدت السبل. و على إثر هذه العوامل لنجاح الفاطميين و تحقيق رغباتهم و اعتقاد الخليفة الفاطمي ( المعزّ ) أنّ أهالي هذه البلاد لن يقاوموه بسبب الحالة السيئة التي أصبحوا فيها؛ و أنّ العباسيين و اضطرابهم المادّي و إفلاسهم السياسي لم يمكنهم من إنقاذ مصر، و إمدادها بالرجال و العتاد و المال. فغمر الفاطميون البلاد المصرية بخيرات و أموال؛ و سيّرت من بلاد المغرب عند ذلك حملة قادها جوهر الصقلي، بأمر الخليفة الفاطمي المعزّ سنة ٣٥٧، و كانت منتظمة تنظيماً دقيقاً؛ و زوّدها بالأموال الضخمة و الرجال و المؤن حتى لا يتطرّق إليها ضعفٌ و تدهورٌ و لا ينتابها فتور. و كان قد أنفق الخليفة الفاطمي على إعداد هذه الجيوش أربعة ملايين ديناراً عدا ما حمّله ألف جمل من الذهب الذي رصد للإنفاق على هذه الحملة.<sup>١</sup> و قد كانت قوّة زاخرة تستطيع أن تقطع هذا القفر الشاسع بين إفريقية و مصر، بعدتها و عددها.

و في رواية: و كان المعزّ لماندب جوهرراً هذا إلى التوجه إلى الديار

١. المعز لدين الله / ٨٤. النجوم الزاهرة ٢٨/٤.

المصرية أصحابه من الأموال و الخزائن مالا يحصى؛ و أطلق يده في جميع ذلك، و أفرغ الذهب في صور الأرحاء و حملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس.

هذا و قد وصف المحافظ تقي الدين المقريزي المتوفى ٨٤٥ هـ. هذه الطليعة العسكرية الظافرة بقوله: و عزم المعز على تسيير الجيوش لأخذ مصر و تهيباً أمرها فقدم عليها القائد جوهراً، و برز إلى رمادة و معه ما ينيف على مائة فارس و بين يديه أكثر من ألف صندوق من المال؛ و كان المعز في كل يوم يخرج إليه و يخلو به؛ و أطلق يده في بيوت أمواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه. و خرج إليه يوماً، فقام جوهراً بين يديه و قد اجتمع الجيش فالتفت المعز إلى المشايخ الذين و جَّههم مع جوهراً و قال: و الله لو خرج جوهراً هذا وحده لفتح مصر! و لتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، و لتزلن في خرابات ابن طولون و تُبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا!

و أمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الأرحية، و حملها مع جوهراً على الجمال ظاهرة؛ و أمراً ولاده و إخوته الأمراء و وليّ العهد و سائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته و هوراكب. و كتب إلى سائر عماله يأمرهم إذا قدم عليهم جوهراً أن يترجلوا مشاةً في خدمته؛ فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجمه و مشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً، فأبى جوهراً إلا أن يمشي في ركابه و رد المال فشى.<sup>١</sup>

و لقد أركى منظر تلك القوى الجرارة و هيأتها الهائلة وقت خروجها من القيروان إلى مصر في يوم من أيام الربيع، خيال شاعر معاصر هو ابن هاني

الأندلسي<sup>١</sup> فأنشد قصيدة يمدح فيها القائد جوهرًا، و يذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر و يصف الجيش الفاطمي العرمرم، و يذكر خروجه للتشيع و أولها:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمعُ	و قد راعني يومٌ من الحشر أروعُ
غداة كأن الأفق سدَّ بمثله	فعاد غروب الشمس من حيث تطلعُ <sup>٢</sup>
فلم أدر إذ ودعت كيف أودعُ	ولم أدر إذ شيعت كيف أشيعُ
ألا إن هذا حشدٌ من لم يذق له	غرار الكرى جفن و لابات بهجعُ
إذا حلَّ في أرض بناها مدائنًا	وإن سار عن أرضٍ غدت و هي بَلقعُ
تحلُّ بيوت المال حيث محله	وجمَّ العطايا و الزواق المرفعُ
و كبرت الفرسان لله إذ بدا	و ظلَّ السلاح المنتضى يتقمقعُ
و عبَّ عباب الموكب الفخم حوله	ورقٌ كمارق الصباح الملمعُ
رحلت إلى الفسطاط أول رحلة	بأيمن فال في الذي أنت تجمعُ
فإن يك في مصر ظمأ لم يورده	فقد جاءهم نيلٌ سوى النيل يهرعُ
و يمينهم [؟] من لا يغار بنعمة	فيسلبهم لكن يزيد فيوسعُ

و القصيدة ١٠٥ بيتاً و آخرها:

سموت من العليا إلى الذروة التي ترى الشمس فيها تحت قدرك تضرعُ

١. محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأندلسي، أشهر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين و المتأخرين، و لأجل ذلك يقال له حسب ما ذكره ابن خلكان: متنبئ المغرب. ولد بقرية سكون من قرى مدينة اشبيلية سنة ٣٢٠ و قبل ٣٢٦، و انتقل إلى القاهرة، و اعتقد بإمامة الخلفاء الفاطميين منذ وجودهم في المغرب، و مدحهم بقصائد عدَّة و شاركهم في الاحتفالات و المناسبات، و قُتل أو مات سنة ٣٦٢ و عمره ٣٦ سنة و قيل ٤٢ و له ديوان شعر كبير مطبوع.

٢. إشارة إلى كثرة الجند بحيث أظلمت الدنيا بسبب تحريكهم نحو الشرق.

إلى غاية ما بعدها لك غاية      و هل خلف أفلاك السماوات مطلع؟  
الى أين تبغي؟ ليس خلفك مذهب      ولا لجوادٍ في لحاقتك مطمع<sup>١</sup>  
و لما استولى على مصر، أرسل جوهر هذا يهنئ مولاه المعزّ بذلك، فقال  
ابن هاني المذكور أيضاً في ذلك:

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟      فقل لبني العباس: قد قضي الأمر  
و مذجاوز الإسكندرية جوهر      تطالعه البشرى و يقدمه النصر<sup>٢</sup>

و لم تمض أسابيع قلائل حتى سرت الأنباء في مصر بمقدم العساكر  
الفاطمية، و لم يكن مشروع الفاطميين في فتح مصر مجهولاً، بل كان للمعزّ  
دعاة يثبتون دعوتَهُ خُفية، و يبشرون بالفتح الفاطمي أيضاً؛ و لم يك ثمة ما  
تخشاه الأمة المصرية من هذا الفتح خصوصاً بعد الذي شهدته من عسف  
جنود العباسيين، و انهيارهم و طغيان الولاة المستعمرين؛ و ما انتهت إليه  
شؤونها في أواخر عهد الدولة الإخشيدية من الإضطراب و الفوضى و ما توالى  
عليها من محن الغلاء و الوباء.

و قد كان من سخرية الأقدار أن يتولّى حكم مصر أسودٌ خَصِيٌّ هو  
كافور<sup>٣</sup> و كان لهذا الحادث الفدّي في تاريخ مصر الإسلامية بلاريب وقع عميق في

١. ديوان ابن هاني الاندلسي / ٣٩٧-٤١٢.

٢. المخطط المقرئية ٣٧٨/١. النجوم الزاهرة ٤/ ٣٠.

٣. أبوالمسك كافور بن عبد الله الإخشيدي ٢٩٢-٣٥٧ هـ.

الأمير المشهور، الخادم الأسود الخَصِيُّ، صاحب مصر و الشام و الثغور، اشتراه سيّده أبوبكر محمد الإخشيد  
بثمانية عشر ديناراً من الزياتين، و رباه و أعتقه، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد لما رأى منه الحزم و العقل و  
حسن التدبير، و لما مات الإخشيد سنة ٣٣٥ هـ. أقام كافور هذا أبناءه واحداً بعد واحد، و كافور كان مديراً  
للملك؛ و أخباره كثيرة ذكرها مؤلف كتاب «النجوم الزاهرة» و قال: إن مدّة إمارته على مصر اثنتان و



## جرح الشعور القومي.

و لقد كانت الدولة الفاطمية تجذب إليها الأنظار بقوّتها و غناها، و كان سواد الشعب المفكرّ يؤثّر الإنضواء تحت لواء دولة قوية فتية تستظلّ بسلواء الإمامة الإسلامية كالدولة الفاطمية على الاستمرار في معاناة هذه الفوضى السياسية و الاجتماعية. و هكذا لقيَ الفاطميون حين مقدمهم إلى مصر جَوْاً ممهداً يبشر بتحقيق الفتح المنشود على خير الوجوه<sup>١</sup>. و فوق ذلك كلّه كانت

←

عشرون سنة، قام في أكثرها بتدبير المملكة في ولاية أبي القاسم، ثم أبي الحسين ابني الإخشيد، و تولاهما مستقلاً سنتين و أربعة أشهر، و كان يُدعى له على المنابر بمكة و مصر و الشام و الثغور؛ مثل طرسوس و المصيصة و غيرها إلى أن مات سنة ٣٥٧، و حمل تابوته إلى القدس فدفن بها. و ذلك قبل دخول القائد جوهر الصقلي إلى مصر.

و كافور هذا هو الذي هجاه أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي المتنبّي ٣٠٣ - ٣٥٤ هـ. بقصيدته الدالية و فيها يقول:

من علّم الأسود الخنصيّ مكرّمة؟	أقوّمه البيض أم أبأوه الصيّد؟
أم أذنه في يد النخّاس دامية	أم قدره و هو بالفلسين مردود؟
صار الخنصيّ إمامَ الأبقين بها	فالحرّ مستعبد و العبد معبود

و منها:

و ذاك أن الفحولَ البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخنصيّة السُود؟

و للمتنبّي في كافور آهاج كثيرة تضمّنها ديوان شعره، و بعد هذه الدالية خرج المتنبّي من مصر و توجه إلى عضد الدولة بن بويه.

الأعلام ٦٨/٦. أعيان الشيعة ٤٢/٨ - ١٩٩. البداية و النهاية ٢٦٦/١١. المخطط المقرئ ٣٣٠/١. دول الإسلام ١٧٣/١. شذرات الذهب ٢١/٣. العبر في خبر من غبر ٩٨/٢ (في وفيات سنة ٣٥٦). الكامل في التاريخ ٥٨١/٨. مجالس المؤمنين ٥٢٧/٢. النجوم الزاهرة ١/٤ - ١٠. نسمة السحر ٧٩/١. مخطوط بمكتبتي الخاصة). وفيات الأعيان ٤٣١/١.

١. الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية / ٢٧.

مصر ترخّب دائماً بالحكم الأجنبي متى ما كان معتقناً للديانة الإسلامية. و من أجل ذلك لم تجد مصر أية غضاضة على نفسها في قبول الطولونيين و الفاطميين حتى أن الشعب ألف كياستهم و حسن تدبيرهم للشؤون السياسية، فأقام الفاطميون بها على تلو الأيام دولةً سياسية و إمامة دينية على أسس قوية و دعائم وطيدة، لما وجدوا مصر أصلح مركز لتحقيق غاياتهم و مناجزة الدولة العباسية خصيمتها السياسية و الدينية.

و قبل هذا كله فالأساس القوي الذي قامت عليه الدولة الفاطمية، هو انتسابها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، و لهذا كان السلاح القوي الذي استعمله أعداؤها و معارضوها هو الطعن في هذا النسب ليتوصلوا منه إلى الطعن في شرعيّتها و شرعيّة حكمها<sup>١</sup>.

فتح الفاطميّون مصر و لم يكن فتحها غنماً سياسياً لبني عبيدالله فقط؛ بل كان غنماً للدعوة الشيعية التي لبث بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين، و التي رفع لواءها عبيدالله المهدي (جذ المعز الأكبر) و التي بدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب، فكانت مسألة الإمامة ماتزال سند الفاطميّين و كان ملكهم الجديد بمصر يصطنع بنفس الصبغة الدينيّة العميقة التي حملت لواءهم إلى المغرب، و أيدها الشعب المصري و انضموا تحت رايتها الخفاقة و كانت فورة القرامطة التي امتدت يومئذ نحو الشام تهدد دعوتهم و ملكهم في مصر؛ فكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة و أن يشبّثوا قدسيّتها و نقاءها فيشبّثوا بذلك في وجه المنكرين لنسبتهم و شرعية دعوتهم أنهم كما يدّعون من سلالة فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ولد علي عليه السلام، و لهذا نرى المعز لدين الله حين مقدمه الإسكندرية، يقول لوفد المصريين الذي ذهب للقائه: إنه لم يسر

لازدياد في ملك و لا رجال و لا سار إلا رغبة في الجهاد و نصرة للمسلمين.<sup>١</sup>  
 هذه الجملة إن دلت على شيء فإنما تدلّ على حرص الفاطميين على  
 مظاهر الإمامة و اتّساع نفوذها؛ فقد كانت الصبغة الدينية العميقة تطبع سياسة  
 الدولة الفاطمية منذ القدم؛ و بفضل هذا قامت حكومتهم و تركّزت.

و إن الصراع الذي قام بين الفاطميين و العباسيين، أو المعزّ و القرامطة و  
 الأمويين بعبارة أخرى لامشاحة كان في الواقع صراعاً على زعامة المسلمين  
 الروحية و السياسية؛ و لهذا أخذ المعزّ منذ دخوله مصر يحوط بنفسه هالة من  
 التقديس حتى يتميّز بذلك عن خلفاء الأمويين و العباسيين كما قلنا؛ و يجذب  
 نحوه قلوب الرعايا و الاشياء للاحتفاظ بهذه الزعامة. و كيف و الشعب  
 المصري بمجموعه يتطلب من الحاكم و السلطان منذ القدم ذلك. و إن المعزّ  
 لدين الله منذ غزوه مصر أخذ يقرر في أذهان أتباعه أنّه لسموّ مكانته الدينية  
 و غيره من الأئمة الإسماعيلية الخلفاء، يستطيعون أن يكونوا واسطة بين الله و  
 بين أشياعهم. و كان هؤلاء الذين يلقنون هذه التعاليم من خلفائهم يجهدون في  
 طاعتهم و طاعة من يمثّل إليهم بصلة و علة. و هذا ما جعل جماعة الإسماعيلية  
 متّحدين متساندين، يشدّ بعضهم أزر بعض؛ و قد بزّ المعزّ العباسيين و  
 الأمويين، من هذه الناحية لأنّ هؤلاء كانوا يحملون الرعاية على طاعتهم  
 طوعاً أو كرها و بقوة السيف.

و لذلك لبست شخصية المعزّ لدين الله ثوباً قشيباً من التقديس و  
 الإجلال؛ و لم يكن الخليفة الفاطمي كمنافسه الأمويّ و العباسيّ، مستبدّاً  
 بأمور الدولة أو مسرفاً في العبث و اللهو و المجون، بعد أن أصبح رعاياه و

١. إنعاط الحنفا / ٨٨، مصر الإسلامية / ٨١.

أنصاره ينظرون إليه كشخص واجب الطاعة باعتباره من سلالة الرسول صلى الله عليه وآله<sup>١</sup>.

و في ذلك قال ابن إياس<sup>٢</sup>، ضمن حديثه عن الخلفاء الفاطميين: و كان المعزّ يحبّ العدل و الإنصاف بين الرعية غير أنه كان رافضياً سبباً للصحابة في يوم الجمعة على المنابر. و كان للمعزّ أختٌ تسمّى الست سيدة الملك قيل: إنها توفيت في خلافة أخيها المعزّ فوجد لها من الذهب العين ثلاثمائة صندوق من الفصوص: الياقوت الملوّنة و اللؤلؤ خمس وئياتٍ؛ و وجد لها مدهناً من الياقوت الأحمر وزنه سبعة و عشرون مثقالاً لم يحصّ له ثمن؛ و وجد لها من الشقق الحرير الأحمر، ثلاثين ألف شقة. قال بعض المؤرخين: و كانت أختُ المعزّ مع وجود هذه السعة أزهد الناس في الدنيا و كانت لاتأكلُ إلّا من ثمن غزلها دائماً حتى ماتت<sup>٣</sup>.

و لقد امتدحه شاعره محمد بن هاني الأندلسي بقصيدة أوّلها:

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبني العباس: قد قضي الأمر<sup>٤</sup>.

١. المعز لدين الله / ١٣٧ - ١٣٩.

٢. أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس المصري الحنفي ٨٥٢ - ٩٣٠ هـ. عالم أديب مؤرخ مؤلف، أحد تلامذة

جلال الدين السيوطي، وُلد بالقاهرة وقرأ على شيوخها واختص بالسيوطي، ومات سنة ٩٣٠ هـ.

له من التأليف: بدائع الزهور في دقائق الدهور. عقود الجمان في وقائع الزمان. جواهر السلوك في الخلفاء و الملوك. تاريخ مصر. نشق الأزهار في عجائب الأقطار. نزهة الأُمم في العجائب والحكم.

الأعلام ٢٣٢/٦. إيضاح المكنون ١١٢/٢. تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٣/٣. كشف الظنون ٢٢٩/٢، ٣٠٥.

١٩٤١، ١٩٥٣. الكنى والألقاب ٢٢٠/١. معجم المطبوعات العربية / ٤٢، ٤٣. معجم المؤلفين ٢٣٦/٨. هدية

العارفين ٢٣١/٢.

٣. تاريخ مصر ٤٧/١.

٤. حسن المحاضرة للسيوطي ١٣/٢.

قالها عندما أرسل جوهر القائد الرومي<sup>١</sup> إلى المعز يبشّره بفتح الديار المصرية وإقامة الدعوة له بها و طلبه إليها؛ ففرح المعز بذلك. ما أشبه الليلة بالبارحة !

ويُشبه القصة هذه بمعناها، عند ما أقيمت الخطبة لبني العباس بمصر سنة ٥٥٧ هـ. و أرسل نورالدين إلى الخليفة يعلمه بذلك زيّنت بغداد و غُلّقت الأسواق و عملت القباب و فرح المسلمون فرحاً شديداً؛ و كتب العباد الكاتب عن السلطان صلاح الدين إلى الملك نورالدين يبشّره بذلك:

قد خطبنا للمستضيء بمصر	نائب المصطفى إمام العصر
و خذلنا لنصره العضد العا	ضد و القاصر الذي بالقصر
و تركنا الدعي يدعو سُوراً	و هو بالذلّ تحت حجر و حصر <sup>٢</sup>



١. أسلفنا الحديث عنه، راجع ص ٢٤ من هذا الكتاب.
٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٤٤٦. تاريخ الدولة الإسلامية لابن طباطبا / ٣١٩. و في النجوم الزاهرة ٣٥٦/٥ هكذا:

قد خطبنا للمستضيء بمصر	نائب المصطفى إمام العصر
ولدينا تضاعفت نعم اللّ	له وجلّت عن كل عدوّ و حصر
و استنارت عزائم الملّك العا	دل نورالدين الهام الأغرّ
هو فتح بكر و دون البرايا	خصنا اللّهُ بافتراع البكر

و هو من شعر عمادالدين أبي عبد الله محمد بن صفيّ الدين محمد بن حامد المعروف بالكاتب الاصبهاني الشافعي ٥١٩ - ٥٩٧ هـ.

مؤرخ اديب عالم بالأدب و الشعر، و من أكابر الكتّاب. ولد في اصبهان، و قدم بغداد حدثاً، فتأدّب و تفقّه، و اتّصل بالوزير عون الدين «ابن هبيرة» فولّاه نظر البصرة و الواسط.

و بعد موت الوزير ضعف أمره فرحل إلى دمشق فاستُخدم عند السلطان نورالدين في ديوان الانشاء، و بعثه نورالدين رسولا إلى بغداد أيام المستنجد، ثم لحق بصلاح الدين الأيوبي بعد موت نورالدين، فكان معه في

و مهما يكن من أمر فقد حكم المعزّدين الله مصر و تتابعت على يديه الانتصارات الرائعة؛ و بظني أنّ الفاطميين لم يحرزوا أمثال تلك الفتوحات على يد خليفة من خلفائهم مثلما أحرزوها في عهد المعزّ في المغرب و المشرق و البر و البحر. وقد أحدث منذ انتقال الخلافة إليه - وهو أول فاتح - تطوراً كبيراً في نظام الحكم، و لكنه أبقى مع ذلك نظم الحكم التي كانت عليه مصر قبل الفتح الفاطمي، و أسند شؤون الدولة و البلاد الجديدة إلى المصريين أنفسهم؛ و اشترك معهم في الحكم المغاربة الذين مروا بإدارة البلاد. و لقد دلت هذه الفكرة على نجاح المعزّ نجاحاً مزدوجاً فإنّه بعمله و تفكيره هذا استطاع أن يدير دولاب الأعمال الحكومية على وفق مرامه و نهجه، و أن يدرب المغاربة على الأعمال الإدارية في البلاد، و أن يفهم المصريين أنّه لم يأت لمصر إلا لاستنقاذهم من ظلم العباسيين و عبث الحكّام و استبدادهم بأمور الدولة. و بهذا و أمثاله وطدت علاقة المعزّ مع رعيته و استغلّ هذا الموقف لمصلحة تقدّم دولته و دعوته، و كرس جهوده و بذل النفيس دون راحة الشعب، حتّى جعلهم يشعرون أن الدولة الفاطمية هي التي سمت بهم إلى الرفعة، و لولاها للبثوا يثنون تحت كابوس العباسيين المظلم و قيودهم التعسفية.

←

مكانه «وكيل وزارة» إذا انقطع الفاضل بمصر لمصالح صلاح الدين قام عماد الدين مقامه، ولما توفي صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية، ومات بها. له: خريدة القصر، الفتح القسي في الفتح القدسي، البرق الشامي، أخبار صلاح الدين وفتوحه، ديوان الرسائل، ديوان شعر السيل على الذيل، نصرة الفترة وعصر الفطرة. آداب اللغة العربية ٦١/٣، الأعلام ٢٥٣/٧، إيضاح المكنون ٩٢/٢، ٦٢٩، البداية والنهاية ٣٠/١٣، شذرات الذهب ٣٣٢/٤، طبقات السبكي ١٠٩٧/٤، الكامل في التاريخ ١٧١/١٢، الكنى والألقاب ٤٨٤/٢، معجم المؤلفين ٢٠٤/١١، النجوم الزاهرة ١٧٨/٦، وفيات الأعيان ٧٤/٢.

و لقد اهتمَّ الفاطميون في سبيل تقدم بلادهم و شعبهم من شتى نواحيها، و سهرُوا على راحة الشعب و حمايتهم من أعدائهم و مناوئهم سهرًا مستمرًا. و هذا التاريخ شاهدٌ عدلٌ على عنايتهم بنظام القضاء و الحكم، و لا غرو فإنهم منذ قيامهم بالدعوة كانوا يشعرون بأنَّ بقاءهم في البلاد يتوقَّف إلى حدٍّ كبير من نشر العدالة و الرحمة و السلام بين الرعايا؛ و لذا ألزموا على أنفسهم ذلك إلى أن سقطت عام ٥٦٧ هـ. على يد صلاح الدين الأيوبي<sup>١</sup> الذي كان قد أتى مصر ليردَّ فيها الأمر إلى نصابه، فيقض على الخلافة المصرية الجديدة

١. ابو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي الكردي التكريتي الأيوبي ٥٣٢ - ٥٨٩ هـ.

من قواد العباسيين و عبيدهم و أذنائهم، كان أبوه و أهله من قرية دوين (في شرقي أذربيجان) و هم بطن من الروادية من الأكراد، نزلوا بتكريت، و ولدها صلاح الدين، و مات فيها جده شاذي، ثم ولي أبوه «أيوب» أعمالا في بغداد و الموصل و دمشق، و نشأ هو في دمشق، فدخل مع أبيه و عمه «شركوه» في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، و اشترك مع عمه شركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩ هـ. فاستولى على زمام الأمور بمصر، و قطع خطبة الفاطميين، و خطب للعباسيين، و انتهى بذلك أمر الفاطميين، بعد أن فتك بهم صلاح الدين التكريتي فتكا ذريعاً و قتل الرجال و النساء و الأطفال و الأمراء، و عبث بمقدرات الشعب الاجتماعية و الدينية، و أبدل جمع كواد الدولة، بشيرذمة من أذئاب العباسيين، فاضطربت البلاد الشامية و الجزيرة، و هو مقدم في فتكه و قتله و سلبه و نفيه و تشريده.

إنَّ الرجل، على ما هو فيه من البطولة و الشجاعة، من الدخلاء و من أعداء العروبة و الإسلام و خصائهم و مناوئهم؛ و حروبه للصليبيين و الفاطميين و بقية الطوائف الاسلامية و العربية، منبعثة عن حقه و عداوته لهم، و تحت صيانة الخلافة العباسية. لأنه لم يكن في الواقع موالياً و محباً لهم و لكنّه اتخذهم ذريعة للحط من الاسلام و العرب. و يطول بنا الحديث في هذا المجال لذلك نضرب عنه صفحاً و إلى اللقاء إن شاء الله تعالى. مات بدمشق سنة ٥٨٩ هـ. و دفن بها، و كانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، و بسورية ١٩ سنة، و خلف من الأولاد ١٧ ذكراً و انثى واحدة. و لبعض المؤلفين كتابات و دراسات مستقلة عن حياته [راجع صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين و الفاطميين و الصليبيين للمؤرخ الاستاذ السيد حسن الأمين طبع دار جديد في بيروت عام ١٩٩٥ م. - الناشر].

(الفاطمية) و يعيد الخطبة فيها للمستضيء العباسي<sup>١</sup>. فغزا الاسكندرية، و لم شعث سورها، و كثر القول من صلاح الدين و أصحابه في ذم العاضء ( آخر خلفاء الفاطميين ) و تحدّثوا بخلعه و إقامة الدعوة العباسية بالقاهرة و مصر مرّة ثانية، بعد أن ضعفت شوكة الفاطميين؛ و أخذ الفتور و الضعف طريقه إليهم، ذلك أن أكثر خلفائهم لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها فلم يأت النصف الأول من القرن السادس الهجري إلا كان الأمر و النهي في أيدي وزرائهم، و استطاع أحدهم أن يخلع الخليفة و أن يقضي على بقية الفاطميين<sup>٢</sup> و انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين، و خلفت ورائها ثروة فنيّة و فكريّة و علمية ضخمة.

ثم قبض على ساير من بقي من أمراء الدولة، و أنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة؛ فأصبح في البلد من العويل و البكاء ما يذهل؛ و تحكم أصحابه في البلد بأيديهم و قبض على بلاد العاضء و منع عنه ساير موارد؛ و قبض على القصور و سلّمها إلى الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي و جعله زمامها فضيق على أهل القصر، و صار العاضء معتقلا تحت يده، و أبطل من الأذان «حيّ على خير العمل» و أزال شعار الدولة، و خرج بالعزم على قطع خطبة العاضء؛ فرض العاضء و مات و عمره إحدى و عشرون سنة إلا عشرة

١. المستضيء بأمر الله الحسن أبي محمد بن المستنجد بالله العباسي ٥٣٦ - ٥٧٥ هـ.

الخليفة العباسي الذي بويع له بالخلافة بعد موت أبيه، و هو الخليفة الثالث و الثلاثون، قال الذهبي: في أيامه ضعف الرفض ببغداد و وهى؛ و أراد جماعة من شيعة العبيدين و محبيهم إقامة الدعوة و ردها إلى آل العاضء، و وافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين، فاطلع صلاح الدين على ذلك فصلبهم بين القصرين.

البداية و النهاية ٣٠٥/١٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي/ ٤٤٤. تاريخ الخميس ٣٦٦/٢. حياة الحيوان ٩٧/١.

شذرات الذهب ٢٥٠/٤. المعبر في خبر من غير ٦٨/٣. الكامل في التاريخ ٤٥٩/١١.

٢. تاريخ المساجد الأثرية ١٧/١. دائرة المعارف البستاني ٣١٠/٣.



أيام<sup>١</sup>. وكانت مدة خلافته بمصر اثنتي عشرة سنة و ستة أشهر و أياماً<sup>٢</sup>. فلما كانت الجمعة الأولى من المحرم عام ٥٦٧ هـ. صعد المنبر الأمير العالم الحُبوشاني<sup>٣</sup> و قد قدم مصر أيضاً بقطع الخطبة للفاطميين و جعلها باسم

١. إتمام الحنفا / ٢٩٠.

٢. تاريخ مصر لابن اياس ٨٦/١.

٣. ابوالبركات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن حسن بن عبدالله الحُبوشاني النيسابوري ٥١٠-٥٨٧ هـ.

فقيه صوفي محدث، ولد بحبوشان و تعلم بها و انتقل إلى مصر و حظي عند صلاح الدين الأيوبي، و دعاه و هو أول من خطب للعباسيين.

قال ابن الأثير: واتفق أن العاضد مرض هذا الوقت مرضاً شديداً فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار أمراءه، فمنهم من أشار به، و لم يفكر في المصريين؛ و منهم من خافهم إلا أنه ما يكتنه إلا امتثال أمر نور الدين.

وكان قد دخل إلى مصر إنسان أعجمي يعرف بالأمير العالم؛ رأيته أنا بالموصل، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام، و أن أحداً لا يتجاسر أن يخطب للعباسيين، قال: أنا أبتدئ بالخطبة لهم، فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب و دعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك، فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر و القاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد، و يخطبوا للمستضيء، ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عزاز؛ و كتب بذلك إلى سائر بلاد مصر، ففعل. و كان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أصحابه و أهله بقطع الخطبة.

قال صاحب «مرآة الزمان»: و في سنة ٥٨٧ توفي الشيخ نجم الدين الحُبوشاني، قدم إلى الديار المصرية و أظهر الناموس و تزهد، و كان يركب الحمار فيقف على السلطان صلاح الدين و أهله. و أعطاه السلطان مالاً فبنى به المدرسة التي بجانب الشافعي، و كان كثير الفتن، منذ دخل مصر إلى أن مات ما زالت الفتنة قائمة بينه و بين الحنابلة و ابن الصابوني و زين الدين بن نجية، يكفرونه و يكفرونهم. و كان طائشاً متهوراً نبش على ابن الكيزاني، و أخرج عظامه من عند الشافعي؛ و كان يصوم و يفطر على خبز الشعير فلما مات وجدله ألوف الدنانير، و بلغ صلاح الدين، فقال: يا خيبة المسمى!

الأعلام ٣٤٢/٧. البداية و النهاية ٣٤٧/١٢. حسن المحاضرة ٢٢٩/١. شذرات الذهب ٢٨٨/٤. الطبقات

العباسيين، فدعا على المنبر للخليفة المستضيء فلم ينكر عليه أحد؛ فأمر صلاح الدين في الجمعة الثانية جميع الخطباء أن يخطبوا باسم الخليفة العباسي ففعلوا. و هنا رواية ذهبت إلى أن الخليفة الفاطمي ( العاضد ) كان مريضاً فلم يُعلمه أحدٌ بما حصل و بقي جاهلاً عن الأمر إلى أن توفي ٥٦٧ هـ .

و رواية أخرى تفرد بها ابن إياس، في سبب موت آخر خليفة فاطمي فقال: و كان سبب موت العاضد أن نورالدين الشهيد لما أرسل إلى صلاح الدين يقول له: إقطع الخطبة عن اسم العاضد بالله! أرسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد: إن أهل مصر لا يطاوعوني على ذلك و أخشى أن يثبوا عليّ بسبب ذلك. فأرسل نورالدين الشهيد، يقول لصلاح الدين ثانياً: لابدّ من ذلك. فلما رأى صلاح الدين أن نورالدين الشهيد مصمّم على ذلك جمع أعيان أهل مصر، و ذكر لهم ما قاله نورالدين الشهيد؛ فقالوا له: و كيف يكون ذلك؟ فقال شخصٌ من أبناء العجم يسمى الأمين - و كان من أهل العلم - : أنا أفتح لكم باب هذا الأمر. فلما كان يوم الجمعة ثاني محرم سنة ٥٦٧ هـ. صعد ذلك الشخص الأعجمي إلى المنبر، قبل صلاة الجمعة و دعا إلى الخليفة المستضيء بالله العباسي - خليفة بغداد - فلما صعد المنبر و دعا إلى المستضيء لم يتكلّم أحد من الناس و لا أنكروا. فلما كان ثاني جمعة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر و القاهرة أن يقطعوا اسم الخليفة العاضد من الخطبة، و أن يدعوا باسم الخليفة المستضيء بالله العباسي؛ ففعلوا ذلك فلما بلغ العاضد ذلك انقهر و عمد إلى قَصّ من الألباس فابتلعه فمات من يومه و دفن<sup>١</sup>.

السبكي ١٩٠/٤. طبقات القاضي ابن شبة ٤٤/٢. العبر في خبر من غير ٩٥/٣. الكامل في التاريخ ١١/

٣٦٩. مرآة الجنان ٤٣٣/٣. معجم المؤلفين ٦٨/١٢. النجوم الزاهرة ١١٥/٦.

١. تاريخ مصر ٦٩/١.

و بعد هذه المرحلة الخطيرة من حياة العاضد قطع صلاح الدين الأذان بـ«حيّ على خير العمل» من ديار مصر كلّها و عزل قضاة مصر لأنّهم كانوا شيعةً و ولّى أقضى القضاة بها صدر الدين بن درباس الشافعي، و استتاب في سائر الأعمال شافعية<sup>١</sup>. و أرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين خلعة سنّية و معها أعلام سود و لواء معقود؛ ففرقت على الجوامع بالشام و الديار المصرية، و كتب له تقليداً (ذكر صورته السيوطي في حسن المحاضرة ١ ص ٢٢ - ٢٧) و هو دستورٌ سياسي يُلزم صلاح الدين بالسير وفق أصوله و فروعه.

فالدولة الفاطمية في الواقع - كما ذكر بعضهم<sup>٢</sup> - كانت من الدّول الإسلامية التي نجحت كلّ النجاح في تنفيذ خططها، و التي استقرّت بمصر فكانت أوفرها بين الدول بهاءً و أبقاها أثراً؛ و مازال الجامع الأزهر<sup>٣</sup> غرس الدولة الفاطمية اليانع يقوم منذ ألف عام أثراً خالداً و رمزاً باهراً لهذا العصر الزاهر و هذه الدولة المستنيرة العادلة. و ربّما كان العصر الفاطمي بين عصور مصر الإسلامية الغابرة أجودها من هذه الناحية بالدرس و التّحصيل، و أحفلها بالمواقف الشائقة و أكثرها سحراً و فتنة و أبعثها إلى التأمّل و العطف؛ لأن الخلافة الفاطمية بالرغم مما كان يحيق بأصولها و إمامها من الرّيب فقد

١. حسن المحاضرة للسيوطي ٢/٢١.

٢. الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية ٩.

٣. أول جامع أسّس بالقاهرة له زعامته و رسالته العلمية، بناء القائد جوهر بأمر المعتز لدين الله، فابتدأ به

يوم السبت لستّ بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩، و انتهى العمل و أقيمت أول جمعة به في ٧ رمضان سنة

٣٦١. تاريخ المساجد الأثرية / ٤٧-٦٣. مساجد مصر / ١٧-٢١ و في الكتابين دراسات مسهبية و تصاوير

فتوغرافية جميلة عن الأزهر و العمارات الطارئة عليه في العصور التي تلت العهد الفاطمي. و كتاب مساجد و

معاهد ١ / ٢٤ - ٩٣ و هو بحث عن الجامع الأزهر بقلم: عبدالرحيم فوده. طبع ضمن سلسلة كتاب الشعب

كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة و خلالها الباهرة تنثر من حولها فيض من العظمة و البهاء، و تطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما يحدّثنا التاريخ.

و لا غرو في ذلك فقد نجح الفاطميون منذ دخولهم مصر و استيلائهم على عرشها في تأسيس إمبراطورية شاسعة الأرجاء، و حضارة باهرة لم يعرفها الشرق من قبل إلا نادراً؛ تلك الحضارة التي اشتهرت بقوانينها الصحيحة و نظمها الإدارية و فنونها الجمّة و تسامحها الديني و عدالة محاكمها؛ وأهم من هذا كلّ تشجيعهم للحركتين الفكرية و العلمية في كلّ حاضرة و زمان.

و الخلاصة أنّ مصر - و إن كانت غنيّاً يسيراً للدولة الفاطمية - و لكنّها كانت أسطع جوهرة في تاجها، و أعظم قطر في تلك الإمبراطورية الشاسعة التي تُسيطر عليها.

و في أيّام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض، و أخذ الفنّ المصريّ الإسلامي يتألق في جميع نواحيه.

و في رعاية هذه الدولة، وثّبت العمارة الإسلامية وثبةً قويةً حتى قاربت الكمال؛ لأن خلفاءها تباروا في إنشاء و تأسيس المساجد الكبرى و الحصون و القصور و المناظر و الحدائق و البساتين، كما تبارت نساؤهم في هذا المضمار الخيريّ العظيم؛ و في هذا العصر الزاهي انتشر الزخرف في وجهات المساجد و عُني بتصميمها فأدخلت عليها أساليب جديدة، كما أدخلت إلى مصر بعض أساليب العمارة من بلاد المغرب؛ و انتعش التصوير و نبغ المصوِّرون، و ترقّت و دقّت صناعة الجصّ و الأخشاب؛ و أنشأت في عهدها مشاهد على القبور المنسوبة إلى أهل البيت، لها تصميم خاص كما امتازت دون غيرها باستعمال

المحاريب الخشبية المتنقلة؛ و انتشر البناء بالحجر بجانب الطوب، و تهدّبت المنارة وارتقت القبة و نقش داخلها، و تطوّرت من بساطتها إلى تضييع ظاهرها، و انتقال مقرنصها من حطة إلى حطّتين مع تعدّد طاقاته.

وكانت أيامهم كلّها أعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلالة الملك و طرب الشعب و بهجته، و كثيرٌ من الحفلات و التقاليد الباقية حتى الآن مدين بظهوره إلى هذه الدولة.

و هذه الدولة و إن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها العمارية كما أباد التعنّت الدينيّ و السياسي منشآتها المدنية التي أهمّها القصران و المناظر، إلّا أنّها أبقيا على بعض منشآتها الدينية و الكثير من طرفها الأثرية.

و جولة بين الآثار الدينية و الحصون الباقية من عصرهم في مصر و زيارة لدار الآثار العربية لمشاهدة طرف هذا العصر في شتّى الفنون تجعلنا نوقن بما كتبه المؤرّخون و شادوا به من ثراء هذه الدولة التي كانت أيام حكمها لمصر مواسم لها و أعياداً<sup>١</sup>.

لذلك أرى من الضروريّ البحث و التحقيق في الأسس التي تركّزت عليها الدولة الفاطميّة، و وضع دراسات عن الآثار الإسلامية التي شيّدت في عهدهم، شرط أن تكون على منهاج علمي مجرد عن شوائب الانحياز و المغالاة و الطعن و القدح. و أنا على يقين من أنّ نواحي هامّة كثيرة من تاريخ الفاطميين لازالت مجهولة و سيّما الجانب الحضاري؛ و قد قامت في مصر و سوريا، خلال السنين الأخيرة السالفة فئة من روّاد الحركة الفكرية و التحقيق، بالبحث عن الفاطميين؛ و أصدرت عدّة بحوث، و تناولوا فيها بعض نواحي الفاطميين، و اتّجهوا المنهاج العلمي في البحث و الدراسة؛ غير أنهم غيّرُوا مجرى

بحوثهم و انصرفوا عن مواصلة نشر موسوعاتهم الفاطمية لعوامل مجهولة.  
و في ضمن الكتب الموضوعه عن الدولة الفاطمية، كتاب وضعه السيد مصطفى غالب عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر<sup>١</sup> ضم بين دفتيه من الأباطيل و الأساطير الخيالية التي لا يُقرُّ بها فاطمي أو إسماعيلي؛ و إنَّ الفاطميين براء من الكتاب و عما جاء في طياته من الخرافات المنسوبة إليهم كبراءة الذئب من دم يوسف الصِّديق...و إن ادعى مؤلفه في مقدمة كتابه: أنَّه من المعتقدين بولايتهم و الممثلين لأوامرهم و نواهيهم بعد أن نفخ سيِّده الوالد فيه العقيدة الإسماعيلية...!

هذا والذي يستلزم الدراسة و الإمام هو تاريخ الشعب المصري في العهد الفاطمي الذي يُعدُّ بحقٍّ من أزهى العصور الإسلامية، و لازالت آثارهم الإسلامية في مصر تدل على ما خلفوه من الثروة الفكرية.  
لهذا وذاك منذ مدة بعيدة انصرفت لدراسة الفاطميين، و البحت عما وضع فيهم من المؤلفات الخاصة، أو ما ورد في طيات المعاجم و السير من البحوث و التعاليق، و تتبَّع الأحداث السياسية و الوقائع و القضايا الاجتماعية المتعلقة بذلك العهد الزاهر.

و كان من منن الله و توفيقه بعد الدرس و الاستقصاء و التحليل أن وضعتُ عدَّة دراسات عامة عن بعض نواحي حياة الفاطميين، الذي لم ينل الدرس و التحقيق و العناية و الاهتمام، و من بين تلكم النواحي «عيد الغدير» إذ يعدُّ من أهمِّ بواعث التطوُّر الفكري و العلمي عندهم؛ و لم تنل الناحية هذه الفكرية مع صلتها بترائنا الفكري الإسلامي، و أدبنا العربي أيةً عناية، لذلك آثرت تقديمها و نشرها كفاتحةٍ لبقية الدراسات الفاطمية التي ستتلوها

١. طبع في دارالبيقطة العربية للتأليف و الترجمة و النشر بسورية. و يقع في ٣٣٦ صحيفة.

إن شاء الله تعالى...

و الكتاب دراسةً لواقعة «عيد الغدير» و بيانٌ لمختلف مظاهرها عند الفاطميين و بحث عن القوى و العوامل الدافعة إلى حدوثها و أحداثها و الآثار الشعرية التي تدور حولها بإسهاب و تفصيل؛ معتمداً في دراستي لها على أهمّ المراجع و الوثائق و السجلات الفاطمية التي يطمئن إليها التاريخ الإسلامي الصحيح؛ و أخيراً ذكرُ الشعراء الذين نظموا هذه الإثارة ( عيد الغدير ) في قصائدهم على عهد الفاطميين و ما جاء في شعرهم من العقائد الفاطمية؛ و من ثمّ الخطبة الغديرية التي كانت تُلقى في «عيد الغدير» من قبل الخليفة الفاطمي بصورة رسمية. و ما توفيقى إلا بالله و عليه توكلت....

محمد هادي الأميني



مركز تحقيقات کهنه پور علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

العيد و الفاطميون





العيد اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام، و اليوم المقرّر على وجهٍ معتاد عائد، إمّا أن تعود السّنة أو يعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك. فالعيد عنوان يجمع أموراً كثيرة منها يوم عائد كيوم الفطر و يوم الجمعة، و منها أعمال تتبع ذلك من العبادات و العادات و التقاليد. و قد يختص العيد بمكان بعينه و قد يكون مطلقاً، و كلّ من هذه الأمور تسمّى عيداً و ربّما كان لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم و العمل فيه؛ و هو الغالب.

و حيث كان الناس شيعاً متفرقين منذ القدم، و فرقا مختلفين منذ بدء الخلقة، لم يكن البشر متفقين بالأعياد لأنّهم لم يكونوا متّحدي المسلك و المشرب؛ كما لم يكونوا متفقين في الدين و الاعتقاد؛ لذلك كان لكل أمة أعيادٌ خاصة، و لكل قُطر و قبيلة عيد مخصوص، فيتجمّلون فيه و يخرجون من بلادهم بزيّنتهم. و هذه عادة كانت لاتنفك عنها طائفة من طوائف العرب و

العجم و لا غیرهما من الأمم و الشعوب.

و لقد سنّوا لأوقات الفرح و ساعات السرور تقالید و مناهج لا تطاق بدونها حياة، و لا یحتمل مع عدمها عیش، و قد خلقوها خلقاً ليعیدوا لطباعهم المكدودة راحة، و لنفوسهم المحزونة مسرة؛ کیف و إنّ الأديان و الحكومات ساعدت هذه الأعیاد و المناسبات السعيدة لیخلص الناس فیها بعض الوقت إلى جوّ هاديّ مليء من الرحمة الإلهیة و الفرحة التي لا یألفونها على مدار العالم کلّه.

و لقد اتّخذت الأعیاد و المناسبات في أنحاء العالم المعمورة، لوناً خاصاً و طبعت بطابع یميزها عن غيرها. و التاریخ کثیراً ما یصف أعیاد المسلمين و الجوانب البهیجة من تلك الأعیاد. ثم تطوّرت تلك الجوانب و المراسم بتطوّر الأزمنة و تعاقب الملوك، فاحتفل الناس بها و أتوا من الرسوم بقدر ما یلائم أحوالهم و ظروفهم الوقتیة و تقالیدهم القومیة أو الدینیة؛ و لكن هذه المراسم غالت بها بعض المجتمعات الإسلامیة فی بعض الظروف بتوالي الأحقاب و الأيام كالعصر الفاطمی الذي استحلّ من الأمور و القضايا فی الأعیاد ما لا عهد للمسلمین الأولین بها، ولم یعمل المتأخرون به؛ ذلك لأن الدولة الفاطمیة كانت مبتكرة مجدّدة فی کثیر من قواعد الحكم و الإدارة، و فی کثیر من الرسوم و النظم الاجتماعیة، و كانت هذه الرسوم و النظم فی الوقت نفسه فوق طرافتها الدستوریة، تصبغها بنفس الصبغة الباذخة التي كانت تطبع الدولة الفاطمیة سایر مظاهرها علیها؛ لأنّ الخلافة الفاطمیة فی الواقع كانت بلاریب خلافة مذهبیة و إمامة دینیة، و لهذه الصبغة أو الخلافة كان الأثر الکثیر فی صوغ کثیر من الرسوم و النظم التي اختصّت بها و لم تنمّ و لم تنشأ و تترعرع منذ البداية إلّا بفضل ذلك الطابع الدینی و ظلّه العمیم؛ فإنها اکتفت بهذه الصبغة أكثر من اکتفائها بالخُطط العسکریة و الدینیة و المدنيّة المعروفة. و كان هذا کلّه

من حرص خلفائها الشديد على أن تطبع الشعب و المجتمع بطابعها الخاص، و أن تصوغ روح الشعب و عقليته و تفكيره و حياته العامة و الخاصة وفقاً لمنهاجها و دساتيرها و قوانينها. و نحن نرى أن الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي اتخذت صوراً و مظاهر خاصة تفرّدت بذلك العصر خاصة دون مشاركة و مقارنة أيّ عصر آخره.

و مهما يكن من شيء فقد افتتن الفاطميون في إقامة الحفلات و المواسم حتى يخيّل إلى من يقرأ تأريخهم أن حياة مصر في ذلك العصر الزاهر، كانت كلّها أعياد و مواسم و كلّها هو و مرح؛ و إن كُتب التاريخ قد أطنبت في ذكر بذخهم و إسرافهم في إقامة هذه الأعياد و إسرافهم في العطايا و النفقات، حتى قيل: أن الفاطميين قد ورثوا مال قارون الذي لا ينفد<sup>١</sup>.

و هنا حاول المؤرخون أن يعرفوا مصدر هذه الأموال و الكنوز التي كانت تتدفّق و تسيل على الخزائن العديدة التي أنشأها الفاطميون لهذا الغرض و هو إقامة الحفلات، و مواسم الأعياد؛ و كاد يجمع المؤرّخون على أنها أموال النجوى التي كان يأخذها الدعاة من المستجبين في كل مرتبة من مراتب الدعوة. و لكنّ القاضي النعمان بن محمد المغربي<sup>٢</sup> مؤلف كتاب «الهمة في آداب

١. الهمة في آداب أتباع الأئمة / ٢٩.

٢. القاضي الأجل أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي المتوفى ٣٦٣ هـ.

فقيه فاطمي، و عالم و مؤلف كبير عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، و يُعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسماعيلية المستعلية بسيدنا قاضي القضاة، و داعي الدعوة النعمان بن محمد، و قد يختصر المؤرّخون فيقولون: القاضي النعمان، و بعضهم يسمّونه: أبا حنيفة الشيعيّ خدام عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، التسع سنوات الأخيرة من حكمة، ثم ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة

أتباع الأئمة» لم يذكر لنا شيئاً عن هذه النجوى، وإنما ذكر لونا آخر من أنواع جباية الأموال وهو ما عُرف بأموال الغنيمة. والغنيمة ليست في الأصل من ابتداع الفاطميين و مستحدثاتهم فقد وردت في القرآن الكريم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>١</sup> و ذهب جمهرة من المفسرين و الفقهاء على أن الغنائم هي ما يصيب المسلمين من عساكر أهل الشرك في الجهاد في سبيل الله. و أفردت الدولة الاسلامية «ديوان جيش» لجمع الغنائم و تقسيمها على المجاهدين و

←

الثاني للفاطميين، و في عهد المنصور بالله عين قاضياً للمنصورية، و وصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع، إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة و داعي الدعاة. كان القاضي النعمان رجلاً ذا مواهب عديدة، و غزير العلم، واسع المعرفة، مجتهداً باحثاً محققاً، مكثراً مؤلفاً، عادلاً في أحكامه؛ و لما تمتع بثقة إمامه المعز لدين الله جعله الامام مستشاراً قضائياً له، و ساعد إمامه في المسائل الخاصة بالدعوة، فقد وضع أسس القانون الفاطمي، و ينظر اليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين. قال ابن خلكان: إن النعمان كان في غاية الفضل من أهل القرآن و العلم بمعانيه، و عالماً بوجوه الفقه، و علم اختلاف الفقهاء و اللغة و الشعراء الفحل و المعرفة بأيام الناس مع عقل و أنصاف.

و يقول عنه الدكتور محمد كامل حسين: انه من أكبر العلماء الذين عرفتهم مصر في القرن الرابع الهجري؛ توفي بالقاهرة ٢٩ جمادي الثانية سنة ٣٦٣ هـ. و صلى عليه الإمام المعز لدين الله.

و قد بلغت مؤلفاته نحواً من سبعة و أربعين كتاباً جمعت ألواناً شتى من العلوم: من فقه و تأويل و تفسير و أخبار. و قال ابن خلكان، نقلاً عن ابن زولاق: إنه ألف لأهل البيت من الكتب آلاف اوراق بأحسن تأليف... و منها: دعائم الاسلام، الهمة في آداب أتباع الأئمة، المجالس و المسامرات، أساس التأويل، القصيدة المستخبة، الرد على ابن قتيبة، اختلاف اصول المذاهب، التوحيد و الامامة.

الأعلام ٨/٩ أعيان الشيعة ١٣/٥٠، أمل الآمل ٣٣٥/٢، تنقيح المقال ٢٧٣/٣.

روضات الجنات ١٤٧/٨، الفوائد الرضوية ٦٩٣، الكنى و الألقاب ٥٧/١، مستدرک الوسائل ٣١٣/٣.

نوايغ الرواة ٣٢٤، وفيات الأعيان ٢١٩/٢، و مصادر كثيرة ضربنا عن ذكرها صفحا لطولها.

١. سورة الأنفال: ٤١.

غيرهم مما ورد ذكرهم في الآية القرآنية، وإن كان الفقهاء و المؤرخون قد اختلفوا فيما بينهم فيما كان الأمر بعد وفاة الرسول في نصيبه، و اختلفوا في المقصود بذي القربى؛ فذهب بعضهم: إلى أن ذي القربى هم بنو هاشم و بنو عبدالمطلب، و قال آخرون: ذو القربى الإمام خليفة الرسول؛ أما الشيعة الامامية فذهبوا أن هذه أسهم أهل البيت دون غيرهم. بيد أن مؤلف «الهمة» يذهب في الغنيمة تفسيراً لغوياً وأن المغنم هو المكسب، فكل ما يكتسبه الإنسان فهو غنيمة، و عليه ان يُخَرَّج خمس ما يكتسبه للإمام. و هو رأي غريب لا أكاد أجد له مثيلاً بين آراء الفقهاء والمفسرين. و مهما يكن من شيء فإن هذا الفعل يطلعنا على سرٍّ من أسرار الفاطميين في ناحية من النواحي المالية<sup>١</sup>.

و لا مشاحة أن ثروة الفاطميين لم تكن مستمدة منابعها من على طريق الغنيمة فحسب، و إنما أوجد الفاطميون في مصر نظاماً مالياً دقيقاً؛ فهناك الدواوين الخاصة بالخراج، و هناك الضرائب المتنوعة قد نظمت منذ الفتح العربي تنظيمًا دقيقاً و لم يُدخلوا عليه شيئاً من التحسين بل كانوا يرون سعادة الدولة تقوم على رضا الرعايا، و أن الدولة التي تعمل على ابتزاز أموال الرعية و افقارها يكون مآلها الإفلاس. و لكنّها في الوقت نفسه أبطلت نظام جباية الضرائب القديم، و أنشأت نظاماً جديداً في تقدير الأملاك و تعيين ما يحضر كلاً منها من الضرائب؛ و جمعت كل دوائره في مركز واحد و فحصت مصادر الضرائب على اختلافها، و تشددت الحكومة الجديدة في تحصيل ما تأخر منها؛ كما اهتمت بالنظر في كل ما تقدم إليها من الالتماسات و الشكاوي. و سلكت الحكومة في تنفيذ نظام الضرائب الجديد سبيل الحزم و الشدة و حمت دافعي

١. الهمة في آداب اتباع الأئمة / ٣٠.

الضرائب من دفع الأموال كرهاً و عسفاً. فكانت نتيجة هذه السياسة الرشيدة أن زادت موارد الدولة زيادةً كبيرة ملموسة<sup>١</sup>.

و لكن ممّا لامشاحة فيه أن المعزّ في مصر قد اشتدّ نوعاً ما في سبيل الحصول على المال لأن سياسته كانت ترمي إلى مواصلة الفتح في بلاد الشام، و طرد القرامطة منها، ثم المسير إلى العراق؛ فقد وضع نظاماً مالياً جديداً يتفق و سياستهم المذهبية، فعملوا على التقليل من قيمة النقد الذي كان يتداول في مصر، و عملوا على رفع قيمة النقود التي تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين. و ليس هذا وحده هو السبب بل أن الحكومة الفاطمية قد لجأت - خشية أن تُصاب خزانة الدولة بالإفلاس و الفقر المالي - إلى احتكار بعض المعادن مثل : الشبّ، و النطرون و بعض موادّ الصبّاعة مثل : ثمار أشجار السنط. ولأهمية هذا النوع من الاستغلال أنشأ الفاطميون ديواناً أطلقوا عليه اسم «ديوان المستغلات»<sup>٢</sup>. قال تقي الدين المقرئ: وأما الشبّ، فإنّ معادنه بالصعيد و كانت عادة الديوان الإنفاق في تحصيل القنطار منه بالليثي يبلغ ثلاثين درهماً، و كانت العربان تُحضره من معادنه إلى ساحل إخميم و سيوط و البهنّسا، ليُحمل إلى الإسكندرية أيام النيل في الخليج، و يشتري بالقنطار الليثي، و يباع بالقنطار الجروي؛ فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر ألف قنطار بالجرويّ بسعر أربعة دنانير، كل قنطار إلى ستّة دنانير. و يباع منه بمصر على اللبّوديين، و الصبّاغين نحو الثمانين قنطاراً بالجرويّ، سعر ستة دنانير و نصف قنطار. و لا يقدر أحد على ابتياعه من العربان و لا غيرهم، فإن عثر على أحد أنّه اشترى منه شيئاً أو باعه سوى الديوان، نكل به و استهلك ما وجد معه منه و قد بطل

١. الفاطميون في مصر / ١٨.

٢. المخطوط المقرئ / ١١٠.

هذا.

و أما النطرون، فيوجد في البرّ الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة و هو أحمرّ و أخضر؛ يوجد منه بالفاقوسية شيءٌ دون ما يوجد في الطرانة، و هو أيضاً مما حظر عليه ابن مدبر من الأشياء التي كانت مباحة و جعله في ديوان السلطان، و كان من بعده على ذلك إلى اليوم.

و قد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه في كلّ سنة عشرة آلاف قنطار و يعطى الضمان منه في كلّ سنة قدر ثلاثين قنطاراً يستسلمونها من الطرانة؛ فتباع في مصر بالقنطار المصري و في بحر الشرق و الصعيد بالجروي، و في دمياط بالليثي. قال القاضي الفاضل: و باب النطرون كان مضموناً إلى آخر سنة خمس و ثمانين و خمسمائة (٥٨٥ هـ) بمبلغ خمسة عشر ألفاً و خمسمائة دينار، و حصل منه في سنة ست و ثمانين مبلغ سبعة آلاف و ثمانمائة دينار، و أدركنا النطرون أقطاعاً لعدة أجناد.

و ثمر شجر السنط، كان لا يتصرف فيه إلا الديوان. و متى وجد منه مع أحد شيء اشتراه من غير الديوان نكل به و استهلك ما وجد معه منه. فإذا اجتمع أشجار السنط، أقيم منه مراكب تباع و يؤخذ من ثمنها الرُّبُع عند ما تصل إلى ساحل مصر، بعد ما تُقَوِّم أو ينادى عليها، و كان فيها حيف كبير و قد بطل ذلك<sup>٢</sup>.

و كذلك اهتمّ الفاطميون في سبك النقود التي عدّها جوهر الصِّقْلِيّ و المعزّ مصدر ثراء دائم للدولة؛ و كانت عناية المعزّ بالدينار الذي يحمل اسمه و اسم غيره من الفاطميين فائقة حقاً؛ حتى أنّه كما ذكرنا نقّص من قيم الدنانير

١. المصدر السابق / ١٠٩ - ١١٠.

٢. المصدر السابق / ١١١.

الأخرى التي لا تحمل اسمه؛ وأنشأوا في مدن مصر المختلفة دُوراً لضرب النقود. لقد كان هذا من أهم مصادر الثروة الفاطمية.

و استحدث الفاطميون في عهد الحاكم بأمر الله ديواناً للإشراف على الأموال المصادرة، أطلق عليه اسم «الديوان المفرد» وكذلك اهتموا بالأوقاف فأنشأوا «ديوان الأحباس» وهو أشبه بوزارة الأوقاف عندنا اليوم<sup>١</sup>.

إلى غير هذا من العوامل التي هيأت للفاطمين تلك الثروة التي ظن الكثيرون أنها ثروة قارون التي لا تنفد؛ و بذلوها في سبيل رغبات الدولة و مراسيمها كالأعياد الدينية الرسمية. و على سبيل المثال لأهم مظاهر الثروة و الترف التي امتلأت خزائن الفاطميين في عهد المعز بالأموال، يرجع ذلك إلى النظام المالي الدقيق الذي سنّه الفاطميون لاستغلال موارد الدولة و بذل تلك الأموال الضخمة التي أنفقها هذا الخليفة ( المعز ) في عام ٣٥١ هـ. حين عزم على ختان أبنائه: عبدالله و نزار و عقيل فقد رأى أن يشرك رعيته في أفراحه، و حتم أن يقدم الأهلون أبناءهم الصغار ليختنوا و يأخذوا من الدولة كفاء ذلك مالا معلوماً. و قد سار المعز على هذه السياسة في سائر بلاده و تدفقت الأموال من مدينة المنصورية - حاضرة الفاطميين - إلى الولايات المختلفة ليقوم الولاة بدفع الهبات و الهدايا لآباء الصغار المختنين.

و إذا دققنا النظر حول مقدار الكسوة التي كان يعطيها المعز كلاً من هؤلاء الأطفال و كانت تتراوح بين مائة و خمسين درهماً و مائتي درهم، و قد اختن في مدينة المنصورية وحدها نحو ربع مليون من الصبيان، و بذلك ظهرت لنا ضخامة الأموال التي أنفقها المعز في حاضرة خلافته و غيرها. و قد وصف لنا تقي الدين المقرئ و صفاء رائعاً لهذا الاختتان و قال : إنه

١. المعز لدين الله / ١٧٥.



كان يَخْتَنُ بِحَضْرَةِ الْمُعَزِّ يَوْمِيًّا - وَلَمُدَّةَ شَهْرٍ - عَدَدٌ لَا يُقَلُّ عَنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ صَبِيٍّ وَفَوْقَهَا وَدُونَهَا؛ وَخَتَنَ مِنْ أَهْلِ صِقْلِيَّةٍ وَحَدَّهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ صَبِيٍّ. وَكَانَ وَزْنُ خِرْقِ الْأَكْيَاسِ الْمَفْرَغَةِ مِمَّا أَنْفَقَ فِي هَذَا الْأَعْذَارِ مِائَةً وَسَبْعِينَ قَنْطَارًا بِالْبَغْدَادِيِّ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَنْفَقِ فِي ذَلِكَ مِمَّا حَمَلَ إِلَى جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَحَدَّهَا مِنَ الْمَالِ - سَوَى الْخَلْعِ وَالثِّيَابِ - خَمْسُونَ جِمْلًا مِنَ الدَّنَانِيرِ كُلُّ حَمَلٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِلَى كُلِّ عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِ مَمْلَكَتِهِ لِيُفَرِّقَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ<sup>١</sup>.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَخَامَةِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ وَالثَّرْوَةِ الْفَاطِمِيَّةِ تِلْكَ النُّقُودُ الَّتِي أَنْفَقَتْ دُونَ إِقَامَةِ الْأَحْتِفَالَاتِ بِالْأَعْيَادِ الرَّسْمِيَّةِ وَالشَّعْبِيَّةِ، وَقَدْ كَانَتْ فِي عَهْدِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ كَثِيرَةً جَدًّا؛ حَتَّى أَنَّ الْبَاحِثَ لَيَعْجَبُ مِنْ نِظَامِ هَذِهِ الْأَعْيَادِ وَكَثْرَتِهَا. وَقَدْ ذَكَرَ الْمُقْرِيزِيُّ وَابْنُ مَيْسَرٍ وَالْقَضَاعِيُّ وَالْمُسَبِّحِيُّ، وَ مِنْ تَبْعِهِمُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ الْمَعَاصِرِينَ لَهُمْ وَالْمَتَأَخِّرِينَ، ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ عِيدًا فِي كُلِّ عَامٍ؛ مِنْهَا: عِيدُ رَأْسِ السَّنَةِ، وَمَوْلِدُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَ مَوْلِدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ مَوْلِدُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ، وَ مَوْلِدُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَ مَوْلِدُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَ مَوْلِدُ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ الْحَاضِرِ، وَ لَيْلَةُ أَوَّلِ رَجَبٍ، وَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْهُ، وَ لَيْلَةُ أَوَّلِ شَعْبَانَ، وَ لَيْلَةُ نِصْفِهِ، وَ غُرَّةُ رَمَضَانَ، وَ الْجُمُعَةُ الْآخِرَةُ مِنْهُ، وَ مَوْسَمُ عِيدِ الْفِطْرِ، وَ مَوْسَمُ عِيدِ النَّحْرِ، وَ عِيدُ الْغَدِيرِ، وَ كَسْوَةُ الشِّتَاءِ، وَ كَسْوَةُ الصَّيْفِ، وَ مَوْسَمُ فَتْحِ الْخَلِيجِ، وَ يَوْمُ النِّيرُوزِ، وَ يَوْمُ الْمِيلَادِ، وَ يَوْمُ خَمِيسِ الْعَهْدِ، وَ مَوْسَمُ وِفَاءِ النَّيْلِ<sup>٢</sup>.

فَهَذِهِ الْأَعْيَادُ مِمَّا أَجْمَعَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ الْفَاطِمِيَّةَ كَانَتْ تَحْتَفِلُ

١. إِتْعَازُ الْحَنَفَا بِأَخْبَارِ الْإِمَامَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْخُلَفَاءِ / ١٣٦.

٢. الْخَطُّ الْمَقْرِيزِيُّ ٤٩٠/١.

بها احتفالاً رائعاً و في فيض من الروعة و البهاء و البذخ. و مهما تكن الأعياد و الاحتفالات بها من شيء فإنما تدلّ هذه الفكرة على سياسة دينية دقيقة، و هي كما ذكره بعضهم من أنّ الفاطميين عملوا بها لأجل كسب احترام رعاياهم و توجيه أنظارهم نحو الدولة؛ كما ساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب، و غالى خلفاؤهم في مصر في إقامة الحفلات و نظمها التي طبعوها بطابع خاص، و أقاموا المناظر و بخاصّة في أنحاء القاهرة. فكان المعزّ و من أتى بعده من الخلفاء يحتفلون بصلاة الجمعة - على ما رأينا - و صلاة العيدين، و توديع الحملات الحربية؛ و كما كانوا يحتفلون بيوم عاشورا، و مولد بعض أئمّتهم مثل: عليّ بن أبي طالب، و فاطمة الزهراء ابنة الرسول و زوجة عليّ، و مولد الحسن و الحسين عليه السلام؛ كما كانوا يحتفلون أيضاً ببعض الأعياد الأخرى التي تميّزهم عن السّنيّين مثل: عيد الغدير و مولد الخليفة القائم بالأمر. و كانوا يحتفلون كذلك بأعياد أخرى من ليلة أوّل رجب، و ليلة نصف رجب، و ليلة أوّل شعبان، و ليلة نصف شعبان، و بعيد غزوة رمضان و كانوا يشاركون الأهليين في بعض الاحتفال ببعض أعيادهم «الشّعبية» مثل: عيد فتح الخليج، و عيد النيروز. و شاركوا القبط في الاحتفال بيوم الغطاس، و خميس العهد و غيرها<sup>١</sup>.

١. و في رواية: موسم فتح الخليج، فكانت لهم فيه وجوه من البرّ، منها الركوب لتخليق المقياس، و مسيبت القراء بمجامع المقياس، و تشریف ابن أبي الرّدّاد بالخلع و غيرها، و ركوب الخليفة إلى فتح الخليج، و تفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين و المأكّل و التّحف. و عيد النوروز، هو أوّل السنة الشمسية الفارسية (شهر فروردین) و فيه كانت تخرج الناس بكسافة الوزراء و الشيوخ و الحواشي و المستخدمين و رؤساء العشاريات و بحارها، فتتعلّط فيه الأسواق ثلاثة أيام و ينصرف الجميع إلى المنزهات، و تفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة و أولادهم و نساءهم و الرسوم من المال و حوائج النوروز.

و نلاحظ على هذه الأعياد أموراً منها :

أنَّ المعزَّ، كان أول من مهَّد لهذه الأعياد في مصر و عمل على ترويحها و الدعوة إليها بإقامة الولائم الفخمة. فكان يُقيم الأسمطة في قصور الخلافة و في المساجد، ثم حذا خلفاؤه حذوه فكانوا يقيمون الأسمطة في قاعة الذهب بالقصر الكبير طوال شهر رمضان و أيام العيدين؛ و كانت هذه الأسمطة آيةً في الروعة و الجلال، و كان يُدعى إليها قاضي القضاة و كبار القوَّاد الموظفين و يمثِّلُ الخليفة فيها الوزير غالباً كما كانت الدولة تنفق عليها أموالاً طائلة مما يدل على وفرة ثروة مصر في عهد الفاطميين<sup>١</sup>.

و كان الفاطميون يتخذون هذه الأعياد وسيلةً لجذب الرعايا إليهم لذلك شارك المعزُّ حتى القبط في الاحتفال بعيد «خميس العهد» و عيد «يوم الغطاس»

←

و يوم الغطاس، من مواسم النَّصارى بمصر في اليوم الحادي عشر من طوية. قال المسعودي في مروج الذهب: و لليلة الغطاس بمصر شأنٌ عظيم عند أهلها لا يتقام الناس فيها، و لقد حضرتُ سنة ثلاثين و ثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر، و قد أسرج من جانب الجزيرة و جانب القسطنطين ألف مشعل، غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل و الشمع؛ و قد حضر النبل في تلك الليلة مئوَّلف من الناس من المسلمين و النَّصارى منهم في الزواريق و منهم في الدور الدائنة من النيل و منهم على الشطوط، لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المأكَل و المشارب و آلات الذهب و الفضة و الجواهر و الملاهي و العزف و القصف؛ و هي أحسن ليلة تكون بمصر و أشملها سروراً، و يحضر الرهبان و القسوس بالصلبان و النيران فيقوسوا هناك طويلاً إلى أن يغطسوا.

و خميس العهد، و يسميه أهل مصر من العامة خميس العدس، و يعملُه نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام و يتهادون فيه، و كان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس، ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خرَّوبة و تفرقتها على جميع أرباب الرسوم.

المخطوط المقرئ ٤٩٣/١ - ٤٩٥، مروج الذهب ٣٤٣/١.

١. ذهب المؤرخون أن نفقة سباطي عيد الفطر و النحر كانت ٤٠٠٠ ديناراً، و بلغ ما أنفق في عيد النحر عام ٥٤٥ هـ. ٤٣٧٠ ديناراً غير ما ذبح في أيام العيد؛ كما كانت سباط شهر رمضان فقط تقدر ٣٠٠٠ ديناراً. و قس على هذا نفقات الحفلات و المواسم الأخرى.

و «عيد الميلاد» و غيرها. و قد نهج أبناؤه و أحفاده نهجَه في ذلك، و لكن حقاً لم ينل عيد النيروز من تقدير المعزّ ماناله على يد الخلفاء الفاطميين الذي تولّوا الخلافة من بعده، فقد أمر هذا الخليفة في سنة ٣٦٢ هـ، بمنع الاحتفال بعيد النوروز؛ و شهر بكلّ من حدثته نفسه بالابتهاج بلياليه. و إنّما فعل المعزّ ذلك لما كان يصحب هذا العيد من عادات خلقية لم تنل رضا هذا الخليفة؛ فقد كان الفساد و المخلاعة يقرنان به كما يتبيّن ذلك مما أورده المقرّيزي في خطّطه نقلاً عن ابن زولاق حيث يقول عند كلامه على حوادث سنة ٣٦٣ هـ: : منع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز في السكك و من صبّ الماء يوم النوروز.

و يقول في حوادث سنة ٣٦٤ هـ: «و في يوم النوروز زاد اللّعب بالماء و وقود النيران و طاف أهل الأسواق و عملوا فيلة و خرجوا إلى القاهرة بلعبهم، و لعبوا ثلاثة أيام و أظهروا السجاجات و الحلّ في الأسواق؛ ثم أمر المعزّ بالنداء بالكف و أن لا توقد نار و لا يُصبّ ماء؛ و أخذ قوم فحُبسوا، و أخذ قوم فطيف بهم على الجبال».

و ليس معنى ذلك أنّ المعزّ، كان في وجه رعاياه و إنّما كان يعمل على حفظ الأمن و بسط الطمأنينة و انتشار السلام و المحافظة على الآداب و العلم و الفضيلة بعد أن كان عيد النوروز من أهمّ أعياد الفاطميين؛ مع العلم أنّ عيد النوروز في أيامهم كان من جملة المواسم، فتتعلّل فيه الأسواق و يقلّ فيه سعي الناس في الطرقات و تفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة و أولادهم و نسائهم و الرسوم من المال و حوائج النوروز.

قال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة و خمسمائة (٥١٦ هـ): « و فيها أراد الأمر بأحكام الله أن يحضر إلى دار الملك في النوروز الكائن في جمادي الآخرة في المراكب على ما كان عليه الأفضل ابن أمير الجيوش، فأعاد

المأمون عليه أنه لا يمكن، فإن الأفضل لايجري مجراه مجرى الخليفة. و حمل إليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جلية.

و قال ابن المأمون: و حلّ موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة و خمسمائة (٥١٧ هـ). و وصلت الكسوة المختصة به من الطراز و ثغر الإسكندرية، مع مايتباع من المذاب المذهبة و الحريري، و السوادج؛ و أطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية و النسائية و العين و الورق و جميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها، بتفصيلها و أسماء أربابها، و أصناف النوروز: البطيخ و الرمان و عراجين الموز و أفراد البسر و أقفاص التمر القوصي و أقفاص السفرجل و بكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج و لحم الضأن و لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برّ مارق.

قال: و أحضر كاتب الدفتر الأبنات بماجرت العادة به من إطلاق العين و الورق و الكسوات على اختلافها في يوم النوروز، و غير ذلك من جميع الأصناف و هو أربعة آلاف دينار و خمسة عشر ألف درهم فضة. و الكسوات عدّة كثيرة من شقق ديبقي مذهبات و حريريات و معاجر و عصائب مشاومات ملونات و شقق لاذ مذهب و حريري و مشفع و فوط ديبقي حريري فأما العين و الورق و الكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور و دار الوزارة و الشيوخ و الأصحاب و الحواشي و المستخدمون و رؤساء العشاريات و مجارثها و لم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب.

و أما الأصناف من البطيخ و الرّمّان و البسر و التمر و السفرجل و العنّاب و الهرائس على اختلافها، فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم، و

يشركهم في ذلك جميع الأمراء أرباب الأوطاق والأقصاب وسائر الأمائل<sup>١</sup>.  
و مما يدل على أن المعز، كان يتخذ من الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه  
تلك الجهود التي كان يبذلها لإحياء بعض الأعياد القومية: مثل عيد جبر  
الخليج، فقد سنّ المعز لخلفائه من بعده سنة التودد إلى المصريين في ذلك اليوم؛  
فكان الفاطميون ينفقون الأموال الجزيلة للاحتفال به فتعطل دواوين الحكومة  
وتحتفل به الدولة احتفالاً رسمياً.

أضف إلى ذلك أن المعز - وبقية الخلفاء من بعده - كان يشترك مع  
رعاياه في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية و مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -  
وليلة أول رجب ونصفه و أول شعبان ونصفه و موسم غرة رمضان، حتى  
لا يثير نفوس السنيين، و يقرب مسافة الخلاف بين المبادئ السنّية و العقائد  
الشيعة<sup>٢</sup>.

و لا يخفى أن الفاطميين، لم يشاركوا الشعب في أعيادهم و لم يذبوا دون  
إقامتها مادياً فقط، و إنما كان البعض منهم يشارك الشعب عامة و الشعراء  
بصورة خاصة أديباً يلقي عليهم ما تجود به قريحتهم الخصبية؛ و منهم الأمير تميم  
ابن المعز الفاطمي<sup>٣</sup> فقد كان يشارك المصريين لهوهم و يخرج إلى منتزهاتهم و  
يعبث مثلهم في أديانها. و قد أنشد في ذلك كله شعراً و مدح أخاه - الإمام العزيز  
بالله - بقصائد عدة، منها قوله يمدحه في عيد من الأعياد الدينية و أولها:

للعيد في كل عام      يومٌ يعيد سناء  
و أنت في كل يوم      عيد يلوح علا

١. الخطط المقرزية ٤٩٣/١.

٢. المعز لدين الله / ٢٨٤-٢٨٧.

٣. يأتي الحديث عنه في فصل « عيد الغدير و شعراء الفاطمية ».

و نعمة و سمود      للمعتفين و جاء  
يا من تُصلي المعالي      إليه حين تراه  
و من يبرّ اليتامى      من كل خلق سواه  
لو كان للفضل يوماً      مني لكنت مناه  
لأنّ منك استعار الزّ      مان حسن حلا<sup>١</sup>

وهنيّ أخاه بعيد من الأعياد الدينية أيضاً بقصيدة أولها قوله:

رأيت معداً كالحسين و إنما      تطول على المولود إن أنجب الجدّ  
تعرب فهما مثلها ذاب رقة      و ظرفاً لما في وصف كنه له حدّ  
به يشتني السمع الأصم بلفظه      و تشني برؤيا وجهه الأعين الرّمّد  
كأنّ ضياء الشمس ردّاه نوره      و أهدى إليه قلبه الأسد الورد  
و ليس ببالي أن يروح و يغتدي      من المال صفراً حين يصبوله المجد<sup>٢</sup>

و الخلاصة أنّ الفاطميين كانوا من المحنق و المهارة، بحيث استطاعوا أن يلفتوا إليهم نظر الشعب المصري، و أن ينشروا مبادئ المذهب الإسماعيلي لغة و نشرأ قويين، و أن يُشعروا العالم بعظمة الحكم الفاطمي. و قد كانت الأعياد من العوامل القوية التي اعتمد عليها الفاطميون للوصول إلى أغراضهم السياسيّة و المذهبية، بما أظهروه يومئذ من العناية العظمى بالمواسم العامة فزادوا في بهجة الرعية، و تودّدوا إليها و ملأوا أفواه زعمائها و شعرائها و سادتها و كموها، و منحوهم أئمن الفرص و طوّقوا رقابهم بعواطفهم و إحسانهم لإظهار سرورهم و بهجتهم بها و حديهم عليها. و إنّ شعر شعراء الفاطميين يدلّنا بوضوح على هذا المعنى، و هو أنّ كلّ الممدوحين منهم عند الشعراء كانوا يوصفون بالجود و

١. في أدب مصر الفاطمية / ١٦٣. ديوان نعيم بن المعز، ط مصر / ٢٤.

٢. ديوان نعيم / ٤٣.

الشَّجَاعَة و أصالة الرأي إلى غير ذلك من الصفات التي اعتاد الشعراء أن يذكروها. و لذلك أن القائمين على شؤون البلاد كانوا قد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ما تتخذ الأحزاب السياسية اليوم بعض الصحف و أبواق الدعاية آلة لتعبّر عن اتجاه هذه الأحزاب و آرائها.

و مهما يكن من شيء فإن الفاطميين، عرفوا قدر الدعاية و أثرها فاهتمّوا بها أيما اهتمام، و اصطفوا كلّ ما يفيدهم في دعوتهم من علماء و أدباء و شعراء؛ فأسرفوا دون ذلك و أغدقوهم من مال و رقيق و متاع، حتى كان بعض الشعراء من الثراء و الغنى على حظّ يحسدّهم عليه العباسيون في أوج مجدهم و سعة سلطانهم.

و خاتمة القول أن هذه الأعياد التي قد زخر بها عهدُ الفاطميين - دون نشر خصائص المذهب الإسماعيلي و عقائده نفسها - كانت جزءاً هاماً من برامج الدعاية السياسية التي فطنت لها الخلافة الفاطمية، و نجحت نجاحاً لا مثيل له في تاريخ بقية الدول الإسلامية الحاكمة في تاريخ الإسلام.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه پیر علوم اسلامی

عید الغدير

لسنا بحاجة إلى كثير شرح عن حفلات الفاطمية الرسمية و الشعبية؛ فالذي ذكرناه آنفاً يدلنا بوضوح على ذلك الفيض الفاطمي: من البذخ و الترف و البهاء الذي مرّ على التاريخ من الكرام، وظلّت الأمة الإسلامية تتنعم زهاء قرنين بتلك الرسوم الفخمة و المآدب الشهيرة، و البذل المأثور في المراسيم العامة، و الأعياد الدينية في تلك الأيام؛ و التي كانت تثير من حولها إجلالا أليماً إجلال، و روعة مافوقها روعة. و قد كانت أيامها و لياليها الساطعة منار البهجة و المرح العام؛ و كان بعض هذه الأعياد يجنح إلى نوع من الفخامة، و يتشع بأثواب من الرونق و البهاء، كـ «عيد الغدير»، و كان ذلك كله يرجع في الأغلب إلى أثر الدولة الفاطمية في بثّ هذه الروح و البهجة الباذخة إلى كثير من نواحي العامة و الخاصة في مصر الإسلامية<sup>١</sup>.

و إنّ المؤرخين - على اختلاف نحلهم و مللهم - من المعاصرين للدولة الفاطمية و الذين حضروا هذه المواكب و الحفلات، نجدهم معجبين بتلك المهرجانات؛ كما أن القارئ للتاريخ يجد تلك الصُور الرائعة التي يصفها

## المؤرخون أمثال: ابن زولاق<sup>١</sup>، والمسبّحي<sup>٢</sup>، وابن الطوير<sup>٣</sup>، وابن المأمون<sup>٤</sup>، و

١. أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق اللبني المصري ٣٠٦-٣٨٧ هـ.

المؤرخ الفاضل المتتبع، كان من أعيان علماء أهل مصر و وجوه أهل العلم، محدث سمع من جمع كثير، ولي المظالم في أيام الفاطمية، وكان يُظهر التشيع للفاطميين، وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير، مات سنة ٣٨٧.

له من التأليف: فضائل مصر. سيرة كافور. سيرة المعز. خطط مصر. أخبار قضاة مصر. سيرة العزيز. التاريخ الكبير على السنين.

أعيان الشيعة ١٦٢/٢٠. البداية والنهاية ٣٢١/١١. تاريخ أبي الفداء ١٤٠/٢. حسن المحاضرة ٣١٩/١. الكنى والألقاب ٢٩٨/١. لسان الميزان ١٩١/٢. معجم الأدباء ٢٢٥/٧. وفيات الأعيان ١٦٧/١.

٢. عز الملك المختار محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبدالعزيز المسبّحي الحراني المصري ٣٦٦ - ٤٢٠ هـ.

فقيه مؤرخ، أديب شاعر كاتب متتبع، فلكي من الأمراء، وكان على زي الأجناد، نشأ بمصر وأتصل بخدمة الحاكم بن العزيز الفاطمي، وحظي عنده، وكانت له مجالس ومحاضرات، وقلده البهنساء ثم ولاه ديوان الترتيب، مات بمصر في ربيع الآخر ٤٢٠ هـ.

من تصانيفه: تاريخ مصر ومن حل بها من الولاة والأمراء والأنمة والخلفاء، وما بها من العجائب والأبنية وذكر نيلها وأحوال من حل بها، في اثني عشر مجلداً. التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره في ثلاث مجلدات. الأمثلة للدول المقبلة في الحساب والنجوم. ديوان شعر.

الأعلام ١٤٠/٧. حسن المحاضرة ٢٤٨/١. الذريعة ٣٤٧/٢. روضات الجنات ٣٤٨/٧. شذرات الذهب ٢١٦/٣. العبر في خبر من غبر ٢٤١/٢. الكامل في التاريخ ٣٤٤/٧. مرآة الجنان ٣٦/٣. معجم المؤلفين ٢٧٦/١٠. النجوم الزاهرة ٢٧١/٤. الوافي بالوفيات ٧/٤. وفيات الأعيان ٦٥٣/١.

٣. ابن الطوير، لم أقف على ترجمته رغم البحث والتتبع، ولعلّه جاء في معاجم التراجم بغير هذا اللقب، وله كتاب «كنز الدرر» وهو من أهم مراجع تقي الدين المقرئ المتوفى ٨٤٥ هـ.، وينقل عنه كثيراً في خططه، وهو في الخلفاء الفاطميين، ويضم تاريخهم بصورة عامة.

٤. الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطانحي.

المقريري<sup>١</sup>، باهرة مبتهجة؛ كما أن كل فرد من الفاطميين الخلفاء، لم يكن يترك تلك الأعياد و المراسيم في أي ظرف و زمان، بل كانوا يهتمون بها اهتماماً بالغاً. فعصر الحاكم بأمر الله الفاطمي مثلاً - رغم الاحتدامات العنيفة و التطورات السياسية، و المخالفات المذهبية، والاضطرابات في أوضاع الحياة الاجتماعية - كان يقيم بمناسبة حلول الأعياد حفلات ساهرة، و مآدب خيرية؛ فتبدو القاهرة بأسرها في جنح ظلام الليل، شعلة مضيئة تضطرم جنباتها بحياة السمر واللهو، من كل ضرب و نوع؛ و هذه المراسيم كانت قائمة على قدم و ساق عند أوانها منذ بدء الدولة و استقرارها في مصر إلى انقراضها، و الشعب يستقبل الأعياد بقلب كله فرح تغمره السعة و المرح.

و اهتمام الفاطميين بعيد الغدير و عنايتهم به دون سائر الأعياد، قد كان أكثر و أكثر سيما في عهد المعز لدين الله معز بن العزيز بالله نزار، و الفائز بن الظاهر بأمر الله و غيرهم من خلفاء الفاطمية؛ و لهذا عيّنوا للاحتفال بهذا العيد

مركز تحقيق الكتب في علوم مصر

←

مؤرخ له كتاب عن تاريخ الفاطميين بصورة عامة، و أحسبه كان يعيش في ما بينهم، و كان واقفاً على جميع حالاتهم، له كتاب «الذخائر و التحف» و هو من أهم مراجع تقي الدين المقريري، و ينقل عنه كثيراً و بصورة وافية في كتابه «المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار» المعروف بالخطط المقريرية.

١. تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد المقريري البعلبكي الحنفي المصري العبيدي الحسيني ٧٦٩ - ٨٤٥ هـ.

مؤرخ متبع، محدث مشارك في بعض العلوم، ولد بالقاهرة و نشأ بها، و تفقه على مذهب أبي حنيفة، و اشتغل بالعلوم التي كانت معروفة في عصره، و ولي حاسبة القاهرة، و نظم و نثر، و ألف كتباً كثيرة، حتى قيل: إنها زادت على مائتي مجلد، و أن شيوخه بلغت ستمائة نفس، مات في القاهرة ١٦ رمضان ٨٤٥ هـ.

من كتبه: المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. مجمع الفوائد و منبع الفوائد. إتحاف الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء. السلوك في معرفة دول الملوك.

الأعلام ١٧٢/١. حسن المحاضرة ٣٢١/١. شذرات الذهب ٢٥٥/٧. الضوء اللامع ٢١/٢. الكنى و

الألقاب ٢٠٤/٣. معجم المؤلفين ١١/٢. معجم المطبوعات العربية ١٧٧٨.

و أمثاله إحدى قاعات البلاط الملكي؛ و سُميت «قاعة الذهب»<sup>١</sup> و سنّوا له مراسيمَ و قوانين كإحيائهم ليلته بالصلاة، و الصلاة في صبيحته ركعتين قبل الزّوال، و لبس الحديد و عتق الرقاب، و عمل البرّ. و قد ذكر المقرئزي المؤرخ المعاصر لهم، نقلاً عن المسبّحي المعاصر للفتح الفاطمي في مصر، وصفاً رائعاً ليوم الغدير بعد أن حضر بنفسه الحفلات الغديرية في القاهرة، و شاركهم فيها عندهم.

قال مانصّه: و في يوم الغدير - و هو ثامن عشر ذي الحجة - اجتمع الناس بجامع القاهرة و القراء و الفقهاء و المنشدون في مراتبهم؛ فكان جمعاً عظيماً، أقاموا فيه إلى الظهر ثم خرجوا إلى القصر فخرجت إليهم الجوائز<sup>٢</sup>. و نقل أيضاً في كتابه عن المؤرخ ابن الطوير، مشهداً دقيقاً آخر للمراسيم المستنّة عندهم في شأن «عيد الغدير» عند مختلف الطبقات؛ قال: إذا كان العشر الأوسط من ذي الحجة اهتمّ الأمراء و الأجناد، بركوب «عيد الغدير» و هو في الثامن عشر منه و فيه خطبة، و ركوب الخليفة بغير مظلة و لاسمة و لا خروج عن القاهرة، و لا يخرج لأحد شيء؛ فإذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر و في دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته. فيخدم و يخرج و يركب من مكانه من الدهليز، و يخرج فيقف قبالة باب القصر و يكون ظهره إلى دار فخرالدين جهار كرس اليوم؛ ثم يخرج الخليفة راكباً أيضاً فيقف في الباب و يقال له «القسوس» و حواليه

١. قاعة الذهب، و يقال له: قصر الذهب، و هو أحد قاعات القصر الذي هو قصر المعز لدين الله معبد، بناه العزيز بالله تزار بن المعز، و كان يدخل إليه من باب الذهب الذي كان مقابلاً للدار القطبية، و يدخل إليه أيضاً من باب البحر، و جدّد هذا القصر من بعد العزيز، الخليفة المستنصر سنة ثمان و عشرين و أربع مائة (٥٤٢٨هـ) و بهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الإثنين و يوم الخميس، و بها كان يعمل سباط شهر رمضان للأمراء، و سباط العيدين، و بها كان سرير الملك. الخطط المقرئزية ٣٨٥/١.

٢. الخطط المقرئزية ٣٨٩/١.

الأستاذون المحنكون رجاله و من الأمراء المطوقين من يأمره الوزير بإشارة خدمة الخليفة على خدمته، ثم يجوز زيّ كل من له زيّ على مقدار همته.

فأول مايجوز زيّ الخليفة و هو الظاهر في ركوبه فتجد الجنائب الخاص التي قدّمنا ذكرها أولاً، ثم زيّ الأمراء المطوقين لأنهم غلمانهم واحداً فواحداً بعددهم و أسلحتهم و جنائبهم إلى آخر أرباب القصب و العماريات؛ ثم طوائف العسكر أزمّتها أمامها و أولادهم مكانهم، لأنهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة، فيكونون أكثر عدداً من خمسة آلاف فارس؛ ثم المترجلة الرّماة بالقسيّ بالأيدي و الأرجل و تكون عدّتهم قريباً من سبعة آلاف كل منهم يزمام و بنود ورايات و غيرها بترتيب مليح مستحسن.

ثم يأتي زيّ الوزير مع ولده أو أحد أقاربه و فيه جماعته و حاشيته في جمع عظيم و هيئة هائلة؛ ثم زيّ صاحب الباب و هم أصحابه و أجناده و نواب الباب و سائر الحجاب؛ ثم يأتي زيّ اسفهلار العساكر بأصحابه و أجناده في عدّة وافرة، ثم يأتي زيّ والي القاهرة و زيّ والي مصر؛ فإذا فرغا خرج الخليفة من الباب و الوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجاً عن صبيان ركابه الخاص، فإذا وصل إلى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلاً من الدرب هناك جائزاً على الخوخ؛ فإذا وصل إلى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني، فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة و الشهود، فإذا وازاهم خرجوا للخدمة والسّلام عليه، فيسلّم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه و الشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة؛ ثم يعودون و يدخلون من ذلك الدهليز إلى الأيوان الكبير، و قد علّق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته، و غير القرقوبية سترأ فسترأ. ثم يعلّق بدائره على سعته ثلاثة صفوف: الأوسط طوارق فارسيّات مدهونة، و الأعلى و الأسفل درق؛ و قد نصب فيه كرسيّ الدعوة و فيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد،

فيجلس القاضي و الشهود تحته و العالم من الأمراء و الأجناد و المتشيعين و من يرى هذا الرأي من الأكابر و الأصاغر، فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الأيوان إلى باب الملك فيجلس بالشُّبَّاك و هو ينظر القوم، و يخدمه الوزير عند ما ينزل، و يأتي هو و من معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب. و يكون قد سير لخطيبه بدلة حرير يخطب فيها و ثلاثون ديناراً و يدفع له كراس محرر من ديوان الإنشاء يتضمن نص الخلافة من النبي - صلى الله عليه [واله] وسلم - إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه ورضي عنه - بزعمهم<sup>١</sup>. فإذا فرغ و نزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين، فإذا قضيت الصلاة قام الوزير إلى الشُّبَّاك فيخدم الخليفة و ينفض الناس بعد التهانى من الإسماعيلية بعضهم بعضاً و هو عندهم ( عيد الغدير ) أعظم من عيد النحر، و ينحر فيه أكثرهم<sup>٢</sup>.

و يذكر المقرئ غير هذين الوصفين، وصفاً ثالثاً لعيد الغدير نقلاً عن المؤرخ ابن البطايحي قال مانصه: واستهل «عيد الغدير» يعني من سنة ست عشرة و خمسمائة، و هاجر إلى باب الأجل يعني الوزير المأمون البطايحي، الضعفاء و المساكين من البلاد و من انضم إليهم من العوالي و الأدوان على عادتهم في طلب الحلال و تزويج الأيتام؛ و صار موسماً يرصده كل أحد و يرتقبه كل غني و فقير؛ فجرى في معروفة على رسمه، و بالغ الشعراء في مدحه بذلك و وصلت كسوة العيد المذكور ( الغدير ) فحمل ما يختص بالخليفة و الوزير، و أمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر، فارسها و راجلها من عين و كسوة؛ و مبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة و تسعون ديناراً، و من الكسوات مائة و

١. كأن المقرئ بعد هذه كلمة، لم يوافق الفاطمية بل الطائفة المسلمة جمعاً على نص النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - بالخلافة لعلي بن أبي طالب - عليه السلام - في يوم غدير خم، بعد أن تسالمت الأمة و أجمعت على صحتها و نصها كافة الفرق الإسلامية.

٢. المخطوط المقرئ ٣٨٩/١.



أربع و أربعون قطعة، و الهياة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة و شيوخها و أمرائها و ضيوفها، و الأستاذين المحنكين و المميزين منهم خارجاً عن أولاد الوزير وإخوته. و يفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان و خمسمائة دينار و ثمانون ديناراً. و أمر بتعليق جميع أبواب القصور و تفرقة المؤذنين بالجوامع و المساجد عليها، و تقدّم بأن تكون الأسمطة بقاعة الذهب<sup>١</sup>.

ثم ذكر المقريري أيضاً في خططه، تحت عنوان: ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميين يتخذونها أعياداً و مواسم تتسع بها أحوال الرعية و تكثير نعمهم، عيد الغدير من تلك المواسم و الأعياد فقال: و فيه تزويج الأيامي و فيه الكسوة و تفرقة الهبات لكبراء الدولة و رؤسائها و شيوخها و أمرائها و ضيوفها و الأستاذين المحنكين و المميزين؛ و فيه النحر أيضاً، و تفرقة النحائر على أرباب الرسوم و عتق الرقاب، و غير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم<sup>٢</sup>. فهذه أوصاف إن دلت على شيء، فإنما تدلّ على أن «عيد الغدير» كان من الأعياد الحكومية و الشعبية، و يشترك فيه جميع الطبقات بأسرهم. و للقلقشندي<sup>٣</sup> في الموضوع هذا كلمة تنبئ أن عيد الغدير فضلاً على تلك المراسيم، و أنّه عيدٌ كساير الأعياد المذهبية، كان يوماً خاصاً لاستعراض

١. الخطط المقريرية ٣٩٠/١.

٢. نفس المصدر ٤٩٢/١.

٣. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله المصري الشافعي ٧٥٦-٨٢١ هـ.

أديب، فقيه قوي المحافظة، كثير التأليف، كتب في الإنشاء، و ناب في الحكم، مات في جمادى الآخرة. من تأليفه: صبح الأعشى في قوانين الإنشاء. عناية الأرب في معرفة قبائل العرب. حلية الفضل و زينة الكرم في المفاخرة بين السيف و القلم. ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المشر.

الأعلام ١٧٢/١. إنباء الغمر بأبناء العمر ١٧٨/٣. إيضاح المكنون ٤٢١/١. شذرات الذهب ١٤٩/٧. الضوء

اللامع ٨/٢. الكنى و الألقاب ٨٠/٣. معجم المؤلفين ٣٧١/١. هدية الأحياب ٢٢١/١. هدية العارفين ١٢٢/١.

الجنود و تفتيش الحرس. قال عند ذكره أبواب قصر الذهب في القاهرة: ثم استجدّ المأمون ابن البطايحي وزير الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور، تحت القوس الذي بين باب الذهب و باب البحر ثلاث مناظر، و سُمّي إحداها الزاهرة و الثانية العافرة و الثالثة الناضرة. و كان الأمر يجلس فيها لعرض العساكر في عيد الغدير، والوزير واقفٌ في قوس باب الذهب<sup>١</sup>.

والذي يعلم بوضوح أن كثيراً ما كان الاحتفال بالأعياد الدينية من الأسباب التي استطاع الفاطميون بها محاربة العباسيين في القطر المصري مشفوعة إلى غير ذلك من العوامل التي تضعف شأن العباسيين عند الشعب عامة.

و يمكن القول أن الاحتفال بعيد الغدير يُعتبر من تلك العوامل التي اتخذها المعزّ لدين الله و غيره من الخلفاء نهجاً دينياً اجتماعياً لمخاصمة العباسيين؛ و مما يدلّ على كره الفاطميين للعباسيين منذ قيام عبيد الله المهدي للدعوة بالمغرب و قد حذا حذوه الخلفاء. و يذهب إلى دعم هذا القول و تأييده، ماجاء في كتاب «المعزّ لدين الله»<sup>٢</sup> و نصّه:

و مما يوضح هذه السياسة التي سار عليها الإسماعيلية خلال السنين احتفال المعزّ بعيد الغدير؛ و لأوّل مرّة في تاريخ مصر أن يشهد المصريون احتفالات رائعة، يرمي القائمون بها إلى تقديس أشخاص الأئمة و الإشادة بمذهبهم؛ و يربطون علياً بالرسول برباط وثيق؛ و الحقيقة أنّه كان عليّ أوّل من أسلم من الصبيان و كان ابن عمّ الرسول و زوج ابنته فاطمة، و أشجع من دافع عن الإسلام في أدوار محنته؛ كما كان موضع تقدير الرسول و أحبّ الناس إلى

١. صبح الأعشى ٣/ ٣١٥.

٢. تأليف: الأستاذ حسن إبراهيم حسن والأستاذ طه أحمد شرف / ٢٥٠-٢٥٢.

قلبه. لكن الشيعة رأوا أن يحاربوا العباسيين بنفس سلاحهم، لأن هؤلاء يقولون: إن العباس جدّهم عمّ الرسول، وإنّ عليّ بن أبي طالب جدّ العلويين ابن عمه، و العمّ أقرب من ابن العم بالطبع. و يقولون أيضاً: إنّ العباس يرث الرسول بالعصبة، وإنّ أبناء فاطمة بنت الرسول لا يستطيعون ذلك كما يتبين من قول شاعر العباسيين:

أنى يكون - وليس ذاك بكائن - لبني البنات ورائة الأعمام؟

عمل العلويّون على محاربة العباسيين كما تقدّم، فأوحوا أن الرسول آخى علياً في يوم الغدير، وأنّه أخذ بيد عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. عليّ مني بمنزلة هارون من موسى. اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!... وكانوا يرمون من وراء ذلك إلى أن يصبغوا دعواهم في الخلافة و الإمامة بصبغة شرعية.

و إنّ «عيد الغدير» الذي احتفل به المعزّ - و لا يزال الشيعة يحتفلون به إلى اليوم - يؤيد النظرية التي يقول أصحابها: إنّ عليّ بن أبي طالب وليّ عهد رسول الله دون سواه؛ و أنّه كان يجب أن يخلفه في زعامة المسلمين؛ و من ثم يرى الشيعة أنّ أبا بكر و عمر و عثمان و بني أميّة ثم بني العباس، اغتصبوا حقّ الخلافة من عليّ و أبناؤه. و بذلك عمل المعزّ على جذب أنصار الخلفاء الراشدين و الأمويين ثم العباسيين إلى الدعوة الفاطمية، و أنّه استطاع التأثير فيهم؛ و قد عني المعزّ بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة، و هذا خلفاؤه حذوه في هذا السبيل. فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كلّ سنة من أهمّ الاحتفالات الدينية التي كانت تهتزّ لها جوانب القاهرة فرحاً و سروراً؛ و يقف

منها السنيون المتفرجون معجبين، لأنها كانت من عوامل تسليتهم. وقد كان يُعدُّ «عيد الغدير» - كما تقدّم - من أهمّ أعياد الفاطميين فهيئ الإسماعيلية بعضهم بعضاً، و ينحرون فيه أكثر مما ينحرون في عيد الأضحى لأنهم يفضلون عيد الغدير عليه.

و جاء بعد هذا القول كله - مع عدم موافقتنا له في الكتاب نفسه و نظريته الهزيلة المختلقة - نقلاً عن المقرئ عن ابن زولاق: أن في يوم ثمانية عشرة من ذي الحجة سنة اثنتين و ثلاثمائة، و هو عيد الغدير تجمع خلق كثير من أهل مصر و المغاربة و من تجمعهم للدعاء، لأنه يوم عيد لأن الرسول [صلّى الله عليه وآله وسلم] عهد إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب [عليه السلام] فيه، و استخلفه، فأعجب المعزّ من فعلهم و كان هذا أوّل من عمل بمصر. و يقول المسيحي في يوم الغدير هذا: اجتمع الناس بجامع القاهرة (الأزهر) و منهم القراء و الفقهاء و المنشدون؛ فكان جمعاً عظيماً أقاموا إلى الظهر ثم خرجوا إلى القصر فخرجت إليهم الجائزة. و بذلك كان اهتمام المعزّ بهذا اليوم كبيراً حتى أنه كان يخرج إلى قنطرة المقس و يعرض الأسطول و يعوذه<sup>١</sup> و يباركه و يدعوله<sup>٢</sup>. و قال تقي الدين المقرئ قبل كلامه هذا: أعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً و لأعماله أحدٌ من سالف الأمة المقتدى بهم؛ و أوّل ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة عليّ بن بويه فإنه أحدثه في سنة اثنتين و خمسين و ثلاثمائة فاتّخذ الشيعية من حينئذ عيداً.

قال شيخنا الأكبر العلامة الحجة الشيخ الأميني - قدس الله روحه - في الإجابة على هذا القول المختلق السخيف و الزعم الباطل: «ما عساني أن أقول

١. أي يقرأ المعوذتين.

٢. الخطط المقرئية ٨٩/١.

في بحاثته يكتب عن تاريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته؛ أو أنه عرف نفس الأمر فنسبها عند الكتابة؟ أو أغضى عنها لأمر دُبر بلبيل؟ أو أنه يقول و لا يعلم ما يقول، أو أنه ما يبالي بما يقول؟ أوليس المسعودي (المتوفى ٣٤٦) يقول في «التنبيه و الأشراف» (ص ٢٢١) : و ولّد عليّ - رضي الله عنه - و شيعته يعظّمون هذا اليوم؟ أوليس الكليني - الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي - توفي سنة ٣٢٩ و قبله فرات بن إبراهيم الكوفي - المفسر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره - الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور ؟ فالكتب هذه ألّفت قبل ما ذكره من التاريخ (٣٥٢). أوليس الفياض بن محمّد بن عمر الطوسي، قد أخبره سنة ٢٥٩ ؟ و ذكر أنه شاهد الإمام الرضا - سلام الله عليه - (المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) يتعيّد في هذا اليوم و يذكر فضله و قدمه، و يروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام ؟ و الإمام الصادق (المتوفى سنة ١٤٨ هـ) قد علّم أصحابه بذلك كلّهم و أخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبياء، من اتّخاذ يوم نصبوا فيه خلفائهم عيداً كما جرت به العادة عند الملوك و الأمراء من التعيّد في أيام تستموا فيها عرش الملك و ولاية العهد؟ و قد أمر أئمة الدين - عليهم السلام - في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برّية و دعوات مخصوصة بهذا اليوم، و أعمال و طاعات خاصة به. و الحديث الذي مرّ عن «مختصر بصائر الدرجات» يُعرب عن كونه من أعياد الشيعة الأربعة المشهورة في أوائل القرن الثالث الهجري.

هذه حقيقة «عيد الغدير» لكن التّويري و المقريري، أرادوا طعناً بالشيعة فأنكروا ذلك السلف الصالح و صوّراه بدعة معزّوة إلى معز الدولة، و هما يحسبان أنّه لا يقف على كلامهما من يعرف التاريخ فيناقشهما الحساب<sup>١</sup>.

و من جراء هذا كله - و هو العناية و الاحتفال بالغدير - رأينا كيف كان  
يبتهج الشعبُ و الرؤساء و كافة طبقات الشعب بالعيد، و يتقبلونه قبل إبان  
يومه السعد بمراسيم و عدّة و عدد. و كيف يصبح القطر المصري قطعة ضياء و  
شعلة و كيف كانت تلك الأيام تنشر حولها من روعة و جمال أوحى منظرها  
البهيج أسمى المعاني و البيانات للشعراء؛ فوصفوا منظر مصر في تلك الأعياد  
سيما ليلة الغدير و يومه، فوقع التشبيه بأيامه و لياليه في الحسن و الوداعة و  
الجمال و البهجة، في قول الأمير تميم بن المعز<sup>١</sup> في قصيدته التي أولها:

أَسِرْبُ مُهَاهُنَّ<sup>٢</sup> أَمْ سِرْبُ جَنَّةٍ      حَاكِمِينَ وَ لَيْسَنَ هِنَّةٍ؟  
أَأَنْتَنَ أَنْجَمَ ذَا الْجَوِّ أَمْ      بَرُوجَ النُّجُومِ جَلَا بَيْنَكُنَّةٍ؟  
وَلَمْ أَرِ عِيداً سِوَاكَنَ حَبَسَنَ      فَأَشْبِهَنَ فِي لَيْلِهِنَّ الْأَعْنَةَ؟

إلى أن يقول في وصف أيام العيد على عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي:

تَرْوَحُ عَلَيْنَا بِأَحْدَاقِهَا      حَسَانَ حَكَمَةٍ مِنْ نَشْرِ هِنَّةٍ  
نَوَاعِمَ لَا يَسْتَطِيعُ النَّهْوُضُ      إِذَا قَمْنُ مِنْ ثَقُلَ أَرْدَاقُهَا  
حَسُنَّ كَحُسْنِ لَيْالِي الْعَزِيزِ      وَ جُنُنَ بِبَهْجَةِ أَيَّامِهَا<sup>٣</sup>

و ما ذهب إليه السيد محمد راغب الطباخ في تصحيحه و تحقيقه لكتاب  
«دمية القصر» لأبي الحسن الباخري في ذكر البيت الأخير (ص ٣٨) هكذا:  
حَسُنَّ كَحُسْنِ لَيْالِي الْغَدِيرِ      وَ جُنُنَ بِبَهْجَةِ أَيَّامِهَا  
فتصحيف فاحش مع العلم أن البيت الذي يليه هو:

١. ستأتي ترجمته في فصل «الغدير و شعراء الفاطمية».

٢. في الأصل: عن.

٣. دمية القصر / ٣٨. ديوان تميم بن المعز / ٤٤١.

إمام یضنّ علی عرضه ولا یتریه علی المال ضنّ

بالرغم من أن القصيدة كانت في مدح الخليفة العزيز و وصف أيامه و عطایاه و سجایاه و بذله و إنفاقه علی الشعراء و العلماء؛ كما جاء في ديوان الشاعر.

و لعمارة الیمنی - الآتی ذكره - وصف شعري إن دلّ علی شيء فإنما يدلّ عن مدى تأثير تلك الأعیاد، بأیامها و لیالیها في نفوس الشعراء. قال في قصیدته التي یرثي بها الدولة الفاطمية بعد انقراضها و یشید بذكر الأعیاد التي كانت تحتفل بها؛ قال ابن سعد: و لم یسمع فیما یكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها؛ و هي :

رمیت - یا دهر - کفّ المجد بالشلل	وجیده بعد حسن الحلی بالعطل
سعیّت في منهج الرأي العشور فإن	قدّرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنک الأقنى فأنفک لا	ینفک ما بین قرع السنّ و الخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل	سعیّت سهلاً أما تمشي علی مهل!
لهني و لهف بني الآمال قاطبة	علی فجیعتها في أکرم الدول
قدمت مصرأ فأولتني خلائفها	من المکارم ما أربی علی الأمل
قوم عرفت بهم کسب الألف و من	کمالها أنّها جاءت و لم أسل
و كنت من وزراء الدست حين سما	رأس الحصان یهادیه علی الکفل
ونلت من عظماء الجيش مکرمه	وخلة حرس من عارض الخلل
یا عاذلي في هوی أبناء فاطمة	لك الملامة إن قصّرت في عذلي!
بالله دُرّ ساحة القصرین و أبک معي	عليها لا علی صفین و الجمّل
و قل لأهلبيها؛ و الله ما ألتحمت	فيکم جراحی و لا قرحي بمندمل
ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلة	في نسل آل أميرالمؤمنين علی؟
هل كان في الأمر شيء غیر قسمة ما	ملکتوا بين حکم السبي و النفل؟

وقد حصلت عليهما واسم جدكُم  
مررت بالقصر والأركان خالية  
فسلت عنها بوجهي خوف منتقد  
أسلت من أنسي دمعي غداة خلت  
أبكي على ما تراءت من مكارمكم  
دار الضيافة كانت أنس وافدكم  
وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم  
وكسوة الناس في الفصلين قد درست  
وموسم كان في يوم الخليج لكم  
وأول العام والعيدين كم لكم  
والأرض تهتز في يوم «الغدير» كما  
والخيل تعرض في وُشي وفي شية  
ولاحتمتم قرى الأضياف من سعة الـ  
وما خصصتم ببر أهل ملتكم  
كانت رواتبكم للذمتين وللضي  
ثم الطراز بتئيس الذي عظمت  
وللجوامع من إحسانكم نعم  
وربما عادت الدنيا فعقلها  
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم  
ولاسق الماء من حرّ ومن ظمأ  
ولا رأى جنة الله التي خلقت  
أنمتي وهداتي والذخيرة لي  
تالله لم أوفهم في المدح حقهم  
ولو تضاعفت الأقوال واتسعت

محمد وأبوكم غير منتقل  
من الوفود وكانت قبلة القبل  
من الأعادي ووجه الود لم يمل  
رحابكم وغدت مهجورة السبل  
حال الزمان عليها وهي لم تحل  
واليوم أوحش من رسم ومن طلل  
تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل  
ورث منها جديداً عندهم وبلي  
يأتي تجملكم فيه على الجمل  
فيه من وبلي جود ليس بالوشل  
يهتز ما بين قصر يكم من الأسلي  
مثل العرائس في حلّي وفي حلل  
أطباق إلا على الأكتاف والعجل  
حتى ععمم به الأقصى من الملل  
فالمقيم وللطاري من الرسل  
منه الصلات لأهل الأرض والدول  
لمن تصدر في علم وفي عمل  
منكم وأضحت بكم محلولة العقل  
ولا نجا من عذاب الله غير ولي  
من كف خير البرايا خاتم الرسل  
من خان عهد الإمام العاضد بن علي  
إذا ارتهنت بما قدمت من عملي  
لأن فضلكم كالوابل الهطل  
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل



باب النجاة هم دنياً و آخرة      و حبهم فهو أصل الدين و العمل  
نور الهدى و مصابيح الدجى و مح      ل الغيث إن ربت الأنواء في المحل  
أئمة خلّقوا نوراً فنورهم      من محض خالص نور الله لم يغل  
والله ما زلت عن حبي لهم أبداً      ما أحر الله لي في مدّة الأجل

\*\*\*\*\*

هذا «عيد الغدير» عندهم؛ و بقي الوقوف على مدى تأثير هذا العيد في شعر شعراء الدولة الفاطمية، بعد ما أسلفنا الحديث أن موسم «عيد الغدير» عند الفاطميين كان أفضل موسم يعبرون فيه عن مشاعرهم و عواطفهم و الإسراف في البذخ و الترف و الجوائز و عتق الرقاب و تفرقة الذبايح و الهبات و الكسوات، لكبراء الدولة المميزين، و مشاركتهم الشعب في جميع هذه الأعياد على كثرتها و صعوبتها. و يمكننا القول أن بهذه المناسبات نهضت الحركة الأدبية في عهدهم، و أقيمت لها بمصر سوق رائج؛ و السبب يعود إلى تشجيعهم الأدب بالمال و الجوائز و الشاء على الشعراء.

و لهذا نرى الكثيرين من شعراء الدولة العباسية، هربوا من مدينة المنصور إلى مدينة المعز، مع العلم أن الشعراء يومئذ لم يقدوا إلى مصر من بغداد فحسب، و إنما وفدوا إليها من جميع أنحاء المعمورة؛ و انضم هؤلاء جميعاً إلى شعراء مصر، و ازدحموا على أبواب خلفاء الفاطميين و وزراءهم يترقبون. ولولا هذه الأعياد و المناسبات الوافرة من سفر و غاد و موت و ولادة و فتح و غزوة و نصر و عرس و ختان و ... لما شهدوا منهم من العطاء الوافر و السخاء الغزير الذي لم يحلموا به قط في حياتهم الأدبية و غيرها.

١. الحاكم بأمر الله / ٢٢٧. المخطوط المقرئ ٤٩٥/١ - ٤٩٦. الغدير ٤/٤١٤. نسمة السحر ٢ ق ١/١٨٣ -

و كل ذلك في مواسم الأعياد و المناسبات التي عنى الفاطميون بها عناية عجيبة، واحتفلوا بها احتفالاً بالغاً حتى كانت الأعياد لكثرتها قد أصبحت جزءاً من الخطط التي وضعوها للترويج عن دعوتهم؛ فزادت هذه الأعياد في بهجة الشعب المصري من جهة، و أطلقت السنة الشعراء و الكتاب من جهة أخرى، و أتاحت للشعراء أئمن الفرص التي يستطيعون بها نيل جوائز ثمينه من الخلفاء و الوزراء و غيرهم من كبار الدولة إلى جانب صقل مواهبهم و قرائحهم و تهذيبها.

و لا يتسع المجال هنا للحديث عن الهبات التي كانت تغدق على العلماء و الشعراء الذين استوطنوا مصر من البلاد الأخرى؛ فوفدوا على مصر و أقاموا بها في طلب العلم و الكسب ربحاً من الزمن، ثم تركوها إلى بلادهم و مع كل واحد ما كسبه من الأموال. و على سبيل المثال يحدثنا «السيوطي جلال الدين» عن ابراهيم بن محمد بن محمد الهاشمي<sup>١</sup> و هو كوفي رحل إلى الشام و مصر، ثم عاد إلى موطنه و به توفي في شوال سنة ٤٦٦ هـ. و كان له حظ من

١. أبو علي إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن الإمام علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب الحسيني الهاشمي الكوفي ٤٠٠-٤٦٦ هـ. عالم فاضل، له معرفة حسنة بالنحو و اللغة و الأداب، و حظ من قرض الشعر جيد من مثله، سافر إلى الشام و مصر فأقام بهامدة ثم رجع إلى وطنه بالكوفة إلى أن مات في شوال سنة ست و ستين و أربعائة (٤٦٦) عن ست و ستين سنة.

من تأليفه: ديوان شعر. شرح اللمع.

و ما جاء في معجم المؤلفين فكله تحريف و لم يتتبع نسبه المؤلف الفاضل. فقال: زيد بن علي بن أبي طالب. و جاء فيه مات بالكوفة و له ٢٣ سنة و الصحيح ست و ستين سنة، فعام ولادته ٤٠٠ لا ٤٤٣، و كم في المعجم لدة هذه القضايا التاريخية المصحفة التي جاءت من عدم التتبع و التحقيق.

إنباء الرواة ١/ ١٨٥. بغية الوعاة ١٨٨. عمدة الطالب / ٢٦٥. معجم الأدباء ١٠/ ٢ - ١٤. معجم المؤلفين

الشعر، و تفوّق في النحو و اللغة، و هو صاحب القصيدة التي أنشدها و هو في مصر، و منها:

«فإن تسأليني: كيف أنت؟ فأنتي» تنكرتُ دهري و المعاهد و الصبرا  
و أصبحت في مصرٍ كما لا يسرّني بعيداً عن الأوطان منتزحاً عزبا  
وإنّي فيها كامرئ القيس مرّةً و صاحبه لما بكى و رأى الدربا  
فإن أنج من بابي زويلاً فتوبةً إلى الله أن لامس خفي لها ثربا

قال السمعاني: قال لي الشريف: قال أبي، قلت هذه الأبيات بمصر و ما كنت ضيق اليد، و كان قد حصل لي من المستنصر خمسة آلاف دينار مصرية<sup>١</sup>.

و لقد اتخذ هؤلاء الشعراء في صوغ الشعر الذي يقال في مدح الخلفاء الفاطميين، منهجاً لم يتخذه أيُّ شاعر قبلهم؛ و هو صوغ معان تمتاز بطابع الغلو إلى درجة لا ترضى عنها أذواق أهل السنّة و بقية خلفاء الدول مع سرد العقائد الفاطمية فيها. و قد رسموا بهاتين الصفتين في أشعارهم المثل الأعلى للشعر الوارد في مدح الخلافة المصرية. و الواقع أن مدح الشعراء للفاطميين كان من أجل كرمهم و علوّ همهم؛ و هو مدح أربت عليه جوائز الفاطميين أنفسهم. أجل كلّ ذلك يوشك أن يتخلّص في قول أحدهم إذ يقول:

مذاهبهم في الجود مذهب سنّة و إن خالفوني في اعتقاد التشيع<sup>٢</sup>

و معنى ذلك أن شعراء مصر - أو الذين و فدوا على أبواب البلاط

١. معجم الأدباء، ١١/٢.

٢. الحركة الفكرية في مصر / ٢٦٨. [ ذكر هذا البيت بصورة أخرى الاستاذ حسن الأمين في كتابه «صلاح

الدين الأيوبي بين العباسيين و الفاطميين و الصليبيين » ط دارالجديد ١٩٩٥ م. ص ٥٩. ]

الفاطميّ، من كل صوب وحذب - لم يمدحوا الفاطميين بدافع العقيدة و الإخلاص من حيث تشيّعهم، و لكن مدحوهم من حيث مذهبهم في الجود و الكرم، و تلطفهم في اجتذاب قلوب الرعية عامّة - و الشعراء منهم خاصّة - و إشباعهم بالجوائز و النقود. لذلك نرى الكثيرين منهم تحوّلوا بعد انقراض الفاطميّة إلى أبواب العبّاسيّين و لازموا أعتابهم. و منهم من عاد إلى وطنه و ترك أبواب الفاطميين، لأنّه لم يحصل على المال الجسيم الذي كان يحلم به.



مرکز تحقیق کتب و تراث اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

عید الغدير  
و شعراء الفاطمية



حريُّ بنا هنا ذكر بعض من شعراء الدولة الفاطمية الذين كانوا يتبارون في ميدان المدح - و ما أكثرهم يومئذ! - و ذكرُ شطريسير عن حياتهم و شعرهم في الموضوع هذا، و في غيره من المناسبات التي كانت داعيةً لازدهار الشعر في عهد الأئمة و الوزراء الفاطميين؛ فقد فتحوا كما قلنا أبواب القصور للعلماء و الشعراء و مشايخ إفريقية، و أباحوا لهم جميعاً الاطلاع و الوقوف على الكتب المختلفة و دراستها، و استنساخها و التعلُّم منها، و التفقُّه فيها؛ كما أباحوا للناس كافةً سماع محاضرات كبار العلماء الذين كان يوثق بهم. لذلك فالعلم و الشعر نهضاً في عصور الفاطمية نهضةً واسعة مباركة بفضل ما كانوا يدرونه على الشعراء من هبات و أموال؛ فكانت قصورهم كعبة العلماء و الشعراء و المفكرين؛ كما شارك الخلفاء أنفسهم في هذه النهضات، و أخذوا بنصيب كبير منها. فمال الشعراء إلى الغلو المذهبي؛ و هذا ما يمتاز به الشعر في عهدهم، إذ كان للعقائد الفاطمية تأثير قوي في شعر شعراء الفاطمية، و ذلك أن الشعراء الذين

اتصلوا بالأئمة كانوا يمدحونهم بالصفات التي صبغها المذهب على الأئمة، و قد يتعمد الشاعر أن يستعمل في شعره المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المذهب و دعائه. و كلما أمعن الشاعر في استخدام هذه المصطلحات الفاطمية، و إدخال هذه الصفات الإسماعيلية في شعره، ازدادت قيمته عند الأئمة و كبار رجال الدعوة. فالشعراء على هذا المنوال كانوا من أدق الوسائل للدعوة إلى الأئمة و العقائد، دون أن يكون لهم في مراتب الدعوة شأن ما. ثم طغت تلك الموجة الأدبية على مصر، و سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية! فضاع الشعر و لم يُبق لنا التاريخ منه إلا النزر اليسير منه.

و هذه جناية أدبية و تطاول سياسي، سجلها التاريخ للأيوبيين. فقد تعمّدوا منذ خطبة صلاح الدين الأيوبي للمستضيء العباسي، أن يحوا كل أثر أدبي أو علمي أو مذهبي يمتُّ للفاطميين بصلة؛ فتروي لنا كتب التاريخ أنهم إبّان ورودهم لمصر أحرقوا أكثر مكاتب الفاطميين، بما فيها من دواوين الشعراء و كتب العلماء خشية أن يكون فيها مدحاً للأئمة و هو كفرٌ بزعمهم ارتكبها الفاطميون في التاريخ!

فضلاً على أن صلاح الدين الأيوبي قتل طائفة كبيرة من الشعراء والمشايع والأدباء الذين مدحوا الفاطميين في عهدهم، بثّم باطلة و مزاعم مختلقة؛ فقتل عمارة اليميني مع جمع نُسب إليهم التدبيرُ على صلاح الدين و مكاتبة الفرنج واستدعائهم إليه حتى يجلسوا ولداً للعاقد؛ و كانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر، فحضر عند صلاح الدين و أخبره بما جرى، فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكراً. فأمر بصلبهم و صُلبوا يوم السبت في شهر رمضان سنة تسع و تسعين و خمسمائة ( ٥٩٩ هـ ) بالقاهرة؛ و قد قبض عليهم يوم الأحد الثالث و العشرين من شعبان. و صُلب مع الفقيه



عمارة، قاضي القضاة أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن الكامل، وابن عبد القوي داعي الدعاة؛ كان يعلم بدقائق القصر فعوقب ليدلّ عليها فامتنع من ذلك فمات واندرست. و العويرس ناظر الديوان، و شبريا كاتب السر، و عبد الصمد الكاتب أخذ أمراء مصر، و نجاح الحمامي، و منجّم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتمّ لهم<sup>١</sup>.

و مهما يكن من شيء فإن الوثائق و السجلات الأدبية التي وصل بعض منها لأيدينا إن دلت على شيء فإنما تدلّ على أنّ العصر الفاطمي كان خصباً بانتاج الشعر؛ بحيث استطاع شعر مصر الفاطمية أن يقف بجوار غيره من الشعر في الأقطار الإسلامية في أرقى عصوره و صورته. فالعوامل التي تحدّث عنها، والآثار التي وصلتنا، و ما نقله الرواة عن شعر مصر، كل ذلك يجعلنا نقول : إنّ شعر مصر الفاطمية كان يحتلّ هذه المكانة الممتازة في الحياة الأدبية، و يتطور هذا التطور الذي تلمّسه في العصر الفاطمي<sup>٢</sup>.

فالشعراء في الواقع لو ألقينا نظرة عابرة على دواوينهم، لرأيناها زاخرة بمدح الملوك والوزراء الفاطميين، و كانوا يتجهون إليهم بمدائحهم؛ و ربّما كان جميع شعر الشاعر فيهم فحسب. و الويل كلّ الويل للشاعر الذي لم يجعل في شعره مكانة هؤلاء أو لم يجعل في شعره مدحة لهم! فإنه يُبعد و يُنفى و يُطرد من القصر ولا يُعتنى بشأنه مهما أجاد الشاعر و بذل من حول و طول في سموّ شعره و عواطفه. بل على الشاعر أن ينشد في مواسمهم و أعيادهم و حفلاتهم التي كانت تقام لأيّ حادثة كبرت أو صغرت إلى غيرها من مناسبات مختلفة. فإذا قصد الخليفة الفاطمي مدّحه؛ و إذا سافر مدّحه؛ و إذا أهداه شيئاً مدّحه؛ و كلّ

١. الغدير ٤ / ٤١٥.

٢. في أدب مصر الفاطمية / ١٤٠.

ذلك بجانب القصائد التي قيلت بمناسبة الأعياد.

و قد جاء أن الخليفة الحافظ، ملّ من طول الشعر و كثرت فأمراً أن يختصر الشعراء مدائحهم؛ فلم يعجب ذلك الشعراء، فقال الشعراء في ذلك شعراً و منهم أبو العباس أحمد بن مفرّج الشاعر، يخاطب الخليفة و يمدحه بقوله :

أمرت أن نصوغ المدح مختصراً      لم لا أمرت ندى كفيك يختصراً؟  
والله لا بد أن تجري سوابقنا      حتى يبين لها في مدحك الأثر<sup>١</sup>

و إن الشعراء الذين لم يكن لهم الحظ الوافر و لم يسعدهم الإقبال بالحصول على مكانة مرموقة عند الفاطميين ... شأن بقية الشعراء فكثيرون؛ بل هناك من نفي و أبعد عن مصر، أو قتل لعدم تخصص شعره في الفاطميين و عقايدهم؛ و منهم: أبوطاهر إسماعيل بن محمد<sup>٢</sup> المعروف بـ «ابن مكنسة»، فقد كان من أبلغ الشعراء كثير التصرف قليل التكلف، يفتن في نوعي جدّ القريض و هزله، و يضرب بسهم وافر في رقة شعره و عاطفته و جزله. و مع ذلك كلّه فقد ظلّ في مصر بعيداً عن شعراء الخلفاء و الوزراء، و لم يوفق إلى نيل حظوة عندهم.

والسبب في ذلك أن الشاعر «ابن مكنسة» كان قد انقطع إلى مدح عامل في القطر المصري من التّصارى يعرف بأبي مليح، و أكثر أشعاره فيه، و عندما توفي هذا العامل رثاه بقصيدة أولها قوله :

طُويت سماء المكرماً      بـ و كُورت شمس المديح

١. في أدب مصر الفاطمية / ١٦٨.

٢. أبوطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة الإسكندراني المتوفي حدود الخمسمائة، و جاء ٥١٠ هـ. شاعرٌ مكثّر من أهل الاسكندرية، و ذكر شعره في بعض معاجم التراجم، و لم يُعرف عنه أكثر مما ذكرناه.

الأعلام ١ / ٣٢٢. فوات الوفيات ١ / ١٩٤.

ماذا أرجى في حياتي      بعد موت أبي مليح؟  
 ما كان بالنكس الدني      من الرجال ولا الشحيح  
 كفر النصارى بعدما      عقدوا به دين المسيح<sup>١</sup>

و بعد أيام و شهور وُلِّي الأفضل<sup>٢</sup> الوزارة و ذلك في عهد الحافظ بأمر الله الفاطمي، فأراد الشاعر (ابن مكنسة) أن يتقرب إليه و يتصل به فعمل في حقه قصائداً و مدحه؛ ولكن الأفضل بن بدر الجمالي لم ينس شعره في أبي مليح وراثته فيه بعد موته، فلم يقبل مديحه، حتى يش الشاعر منه و أرسل له بأبيات يتضرع فيها و يستعطفه على حاله، ولكنه بالرغم من كل ذلك أبي؛ و منها قوله :

مثلي بمصر و أنت ملك      يقال ذا شاعر فقير  
 عطاؤك الشمس ليس يخفى      وإنما حظي الضمير

و لعل ابن مكنسة كان أحسن حظاً من الشاعر علي بن عباد الإسكندري، فقد كان هذا الشاعر منقطعاً لمدح الوزير أبي علي أحمد بن الأفضل عندما كان هذا الوزير مستبداً بالبلاد و بالخليفة، بل حبس الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي حتى بلغ استبداده حداً لا يطاق؛ و استطاع الحافظ أن يتمكن منه و أن يقتله في الميدان، و تتبّع كل من كانوا على صلة بهذا الوزير الطاغية فقتلهم. و منهم هذا الشاعر (علي بن عباد) و يروي بعض المؤرخين أن هذا الشاعر مدح ابن الأفضل بقصيدة مطلعها :

١. المصدر السابق / ١٨٨. المخطوط المقرئ ٢ / ١٦٠.

٢. أمير الجيوش الأفضل أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي المصري المقتول سنة ٥١٥ هـ. كانت ولايته ٢٨ سنة، و كان حسن السيرة عادلاً، و تولّى بعده ابنه أبو علي أحمد بن الأفضل المقتول سنة ٥٢٥ هـ.

النجوم الزاهرة ٥٥ / ٢٢٢، ٢٤٧.

تبسم الدهر لكن بعد تعبسي ...

و تعرض فيها بالخلفاء الفاطميين سيما في قوله :

وقد أعاد إليه الله خاتمته فاسترجع الملك من صخر بن إبليس<sup>١</sup>

فكانت هذه القصيدة سبب مقتله. و يقول ابن ميسر : إن المحافظ أمر بإحضار الشاعر، فلما امتثل بين يديه، قال له : أنشدني قصيدتك فأخذ الشاعر في إنشادها حتى قال منها في بيت :

... ولا ترضوا عن أنجس المناجيس

يعني به المحافظ و آباءه؛ فأمر حينئذ أن يلكمه الغلمان حتى مات بين يديه. بل كانت هذه القصيدة سبباً في قتل القاضي ابن ميسر سنة ٥٣١ هـ. فقد روي أن القاضي عندما سمع الشاعر ينشد القصيدة بين يدي ابن الأفضل، قام و ألقى عرضيته طرباً؛ فلما قُتل الوزير صُرف القاضي عن عمله و قُتل. و عن هذا الشاعر يقول ابن فضل الله، علي بن عباد الاسكندري: شاعر كان يجلو غرر المدايح، و كانت من الوزراء تستعطف أعنة قصائده فيرد عليهم مسردها.

و من هؤلاء الذين نغم عليهم فنفوا و طردوا من مصر، الشاعر الملقب الناجي المصري و كان في بدء أمره من شعراء الأفضل بن بدر الجمالي، و يعدّ من شيوخ الأدب في عهد الأفضل - الذي كان من أزهى العصور الأدبية التي شاهدها مصر الإسلامية - و من الشعراء الذين كان الأفضل يجزل العطاء لهم و يجلس إليهم و يستمع إلى أشعارهم و روايتهم للشعر؛ بيد أن الشاعر (الناجي المصري) لأمر و أسباب هو أعرف بها منا، هجا الأفضل أخيراً بقوله:

١. خرقة القصر، قسم شعراء مصر / ١٠.

قل لابن بدرٍ مقال من صدقةً      لا تفرحن بالوزارة الخليفة  
إن كنت قد نلتها مراغمة      فهي على الكلب بعدكم صدقة

فأمر الأفضل بنفيه إلى الواحات فأقام بها عند علم الدولة المقرب بن ماضي<sup>١</sup>.

و العجب أن المؤرخين ممن عاصروا هؤلاء الشعراء أو من تأخر عنهم، لم يفردوا لهم تراجماً خاصة لهم، بيد أن توجد من أخبارهم شذرات يسيرة في كتب لم تصل بأيدينا منها إلا شيء قليل؛ ولكننا اعتمدنا في سرد أخبار هؤلاء الشعراء الثلاثة<sup>٢</sup> الذين نقيم عليهم، ما ذكره مؤلف «في أدب مصر الفاطمية» (ص ١٨٨ - ١٩٠) من سيرة بسيطة هؤلاء معتمداً فيها على أهم المصادر و الوثائق الخطية الواصلة إليه.

و مهما يكن من شيء فإن هذه العوامل كانت سبباً في اتجاه الشعراء نحو الفاطميين في شعرهم، و إرهابهم بالنبي و القتل و الضجر عن مدح ماسواهم من الدول و الخلفاء، حتى كأن الشعراء، لم يعرفوا في الحياة من ينبغي مدحهم دون هؤلاء. و لهذا نرى الشاعر يجهد نفسه في أن يأتي شعره على وفق ميل إمام عصره، و يأتي فيه ببعض العقائد الفاطمية، و أن يلائم بين هذه ضروريات الشعر. فالشاعر كان يتكلف و ينفق جهداً كبيراً في إنشاد الشعر. و إذا ألقينا نظرة عابرة على الشعر الفاطمي رأينا أن في قصيدة واحدة لشاعر واحد لونين من الشعر، فالمقدمة التي كان يجعلها الشاعر مقدمة لقصيدته لون، و للآيات التي بها ذكر العقائد لون آخر؛ فهو يظهر في المقدمة فن الشاعر و طبيعته و عبقريته، و تظهر في اللون الثاني الذي به ذكر العقائد، صناعة الشاعر و تلاعبه و تكلفه. و قد عبّر عن هذا النوع من الشعر بعض أساتذة الأدب و

١. ابن خلّكان ١/ ٢٤٢.

٢. أبو طاهر اسماعيل بن محمد (ابن مكنسه) علي بن عباد الإسكندري و الناجي المصري.

الشعر، بالشعر الرمزي و كان في العصور الفاطمية يسمّى بشعر الصوفيّة. فشعر الصوفيّة هو تطوّر لتأويل الباطن عند الإسماعيلية<sup>١</sup>.

و خشية أن يطول بنا الأمر، نضرب عنه صفحاً، و نعود إلى تقديم سير عن حياة شعراء الدولة الفاطمية الذين نظموا واقعة «الغدير» في أشعارهم و أشادوا بهذه الإثارة الإلهية بحضور من الخليفة. و سترى فيه ألواناً من الفنّ الذي تمثل لنا أخيلة شعراء العصر الفاطمي، و إنها صورة منزّعة من الحياة الفاطمية، و إن توسّع الشعراء الفاطميون في استعمال هذه الألوان و المغالاة كانت ضرورة اضطرّتهم إليها حياة العصر الفاطمي نفسه. ولا غرابة من ذلك فإنّ مصر الفاطمية منذ ورود المعزّ لها كانت تمتاز بالغلوّ في كل شيء، فترى غلوّ الفاطميين في الدين و غلوّهم في اللّهُ و غلوّهم في التزيّن و التجمّل و غلوّهم في الملبس و المسكن و غلوّهم في أعياد فرحهم، و غلوّهم في ذكريات مآثمتهم. فظهر هذا الغلوّ في فنّ الشعر ظهوره البالغ في نواحي الحياة المختلفة؛ فأسرف الشعراء في العصر الفاطمي في استخدام ألوان الزينة البديعية، حتى تلائم إسراف الفاطميين في حياتهم تحت مظلة الإسلام.

فإنّ طبيعة المجتمع و الحياة يومذاك كانت تمد الشعراء بهذه الألوان المحسّنة عن الزينة. و ليس معنى ذلك أن الشعراء في غير مصر الفاطمية لم يعرفوا الزينة البديعية، و أنّهم لم يسرفوا في استخدامها؛ بل كانت الزينة البديعية في الشعر العربي، أقدم عهداً من الفاطميين؛ و إنّ هذه الزينة عرفها شعراء العراق قبل أن تقوم دولة الفاطميين في مصر؛ و إنّما أسرفوا في استخدام هذه المحسنات البديعية، فسبقوا غيرهم في مضماره، و ذلك لما في المصريين من دقّة الحس و رقة الشعور و ميل إلى الفكاهة و خفة الروح.

هذا وإليك تراجم بعض الشعراء الفاطميين الذين نظموا قصة «الغدير»

في قصائدهم حسب ترتيب عام وفياتهم:

١. في أدب مصر الفاطمية / ١٦٢ و ٣٠٠.

## أبو عبد الله الخصيبي

(المتوفى: ٣٥٨ هـ)

إِنَّ يَوْمَ «الغدير» يَوْمُ السُّرُورِ  
 وَحُبِّ «خَمٍّ» بِالْجَلَالَةِ وَالتَّفْ  
 وَبِالْأَفْضَالِ وَالتَّزَايُدِ بِإِلَّا  
 يَوْمَ نَادَى مُحَمَّدٌ فِي جَمِيعِ الدَّ  
 قَائِلًا لِلْجَمِيعِ مِنْ فَوْقِ دُوحٍ  
 إِنَّ هَذَا بَارِكُمْ فَأَعْلَمُوهُ  
 إِنَّ هَذَا إِلَهُكُمْ فَأَعْرِفُوهُ  
 إِنَّ هَذَا رَبُّكُمْ وَحَدُّهُ  
 إِنَّ هَذَا مَهِيْمُنٌ صَمَدٌ فَصَدِّقُوا  
 وَهُوَ الْأَوَّلُ الْقَدِيمُ وَالْآخِرُ  
 وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَمْ يَغِبْ  
 وَهُوَ الْحَيُّ الْمَمِيتُ وَهُوَ الْبَاقِي  
 وَهُوَ الرَّاحِمُ الْمُخَلِّدُ فِي الْجَنَّةِ  
 وَأَنَا عَبْدُهُ الرَّسُولُ إِلَيْكُمْ  
 قَالَ : بَلَغَ عَنِّي عِبَادِي فَإِنِّي  
 فَتَخَوَّفْتُ مِنْكُمْ أَنْ تَضَلُّوا  
 فَأَتَيْتُنِي حَمَاةُ آيَةِ اللَّهِ  
 وَلَنْ لَمْ تَبْلُغُنَّ فَمَا بَدَأَ  
 فَكَشَفْتُ الْغَطَاءَ طَوْعًا لِدِينِ  
 وَتَجَلَّى لَكُمْ لَكِي مَا يُرِيكُمْ  
 وَسَمِعْتُمْ مَا قُلْتُ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ

بَيَّنَّ اللَّهُ فِيهِ فَضْلَ «الغدير»  
 ضَيْلٍ وَالتَّحْفَةِ الَّتِي فِي الْحَبُورِ  
 نَعَامٌ فَخْرٌ يَجُوزُ كُلَّ الْفَخْرِ  
 خَلَقَ إِذْ قَالَ مَفْصَحُ التَّخْبِيرِ  
 جَمَعُوهُ لِأَمْرِهِ الْمَقْدُورِ  
 إِنَّ هَذَا مَصُورُ التَّصْوِيرِ  
 إِنَّ هَذَا مَعْبُودُكُمْ فِي الدَّهْرِ  
 قَدْ تَعَالَى عَنْ مِثْلِهِ وَنَظِيرِهِ  
 وَهَذَا خَلْقٌ بَدَأَ الْقَطُورِ  
 خَرُّهُ بَاطِنٌ بِغَيْرِ ظَهْرِ  
 قَطٌّ عَنِ الْعَارِفِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ  
 عَثَّ وَالْوَارِثُ الْمَكْرُ الْكَرُورِ  
 تَمْلِكُ عِدْوَهُ فِي السَّعِيرِ  
 بَكْتَابٌ مَنَزَّلٌ مَسْطُورِ  
 أَنَا مَوْلَاهُمْ وَخَيْرُ نَصِيرِ  
 وَتَتَوَهَّوْا فِي غَمْرَةِ التَّحْيِيرِ  
 لَمِيعٌ أَنْ بَلَّغَا بِصَوْتِ جَهْرِ  
 نَحْتُ وَحْيٍ وَأَنْتَ غَيْرُ نَذِيرِ  
 مَظْهَرٌ كُنْهٌ ذَاتُهُ الْمُسْتَوْرِ  
 قُدْرَةُ الْقَادِرِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ  
 سَقُّ فَأَنْفَرْتُمَا بِشَرِّ نَفُورِ

فصددتم عنه ولم تستجيبوا      و تسعرضتم لإفك وزور  
ثم قلت قد قال : من كنت مولا      ه فهذا مولا غير نكير<sup>١</sup>

#### الشاعر

لم يكن هذا الشاعر مصرياً ولا وفد إليها؛ وإنما هو فاطمي عاش في القرن الرابع في بلاد الشام، وجاهد دون عقيدته؛ وذب عنها وناضل وبت الرسالة الإسماعيلية في ربوع الشام ونواحيها، إلى أن توفي فيها سنة ٣٥٨ من شهر ربيع الأول.

و هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان بن الخصيب الخصببي الجنبلائي؛ كان فقيهاً شاعراً مجيداً. وله مؤلفات و آثار نثرية إلى جانب ديوان شعره؛ ومنها : كتاب في أسماء النبي - صل الله عليه وآله وسلم - و أسماء الأئمة و الإخوان و المائدة، إلى غير ذلك من البحوث العقائدية الإسماعيلية. غير أن الفقيه و الشاعر هذا، قد أهمل مع الأسف كله من قبل المؤرخين و الباحثين و لم يوجد من شعره إلا نتفاً يسيرة مبثوثة في بعض من المعاجم؛ و منها كتاب «سبيل راحة الأرواح و دليل الشرور و الأفراح إلى فائق الإصباح» المعروف بمجموع الأعياد<sup>٢</sup> تأليف : أبي سعيد ميمون بن القاسم الطبراني النصيري<sup>٣</sup>.

والقصيدة المذكورة تقع في ٧٠ بيتاً و آخرها قوله :

١. سبيل راحة الأرواح / ٥٦.

٢. طبع في مبورغ سنة ١٩٤٣ م بتحقيق : ر. شتروطمان. في ٢٧١ صحيفة؛ و توجد نسخة منه في مكتبة العقيد الاستاذ كاظم عبود شريف في النجف الاشرف.

٣. أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني كان حياً ٣٩٨ هـ. فاضل أديب، له تأليف منها : مجموع الأعياد و الدلالات و الأخبار المبهرات. حدث به في طرابلس سنة ٣٩٨ هـ. معجم المؤلفين ١٣ / ٦٥.



ذاك مولى الولاية حقاً ولا مو  
و من شعره أيضاً قوله :

تشخص للأنام فشبهوه	بأنفسهم ولم يتحققوه
ولو عرفوا الذي عرفت منه	على تحقيقه لتألهوه
ولم يخفى عن العقلاء لما	أتى بالمعجزات فوحدوه
فأحمد سيدي حمداً كثيراً	و أعرف منه ما لم يعرفوه
لقد دلّ الحجاب عليه حتى	تجلى للعباد فعاینوه
فلما عاینوه قد تجلى	لهم «يوم الغدير» تناكروه <sup>١</sup>

إنَّ الخُصبي في التاريخ؛ وإن أهمله الكثيرون من الباحثين، و لكنَّه كان  
كغيره من فقهاء عصره يضربون في كل فن بسهم وافر من الفضيلة و الثقافة  
العامة؛ فهو فقيه و هو كاتب و أيضاً فهو شاعر؛ يتذوق الشعر و ينشده و ينظم  
في ركب الشعراء؛ و يرسل القصائد تلو القصائد في المناسبات المذهبية التي  
كانت تطل عليهم.

فهو على كلِّ حال، فاضل عالم محدث من القدماء، غير أنه أتهم بالغلو. و  
روى عنه أبو العباس ابن عقدة الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي  
(٢٤٩ - ٣٣٣ هـ) و أثنى عليه، و قيل : إنه كان يؤمَّ سيف الدولة. و له أشعار  
في مدح أهل البيت عليهم السلام.

و من تأليفه: الإخوان. المسائل. تاريخ الأئمة. الرسالة. أسماء النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم. أسماء الأئمة. الهداية في الفضائل. أحوال أصحاب الأئمة - عليهم السلام -  
و أخبارهم.

و في أكثر المراجع جاء : أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخُصبي

الجنبلائي، و تارة الحضيبي، إلا أن المترجم له، اتهم بفساد المذهب و التخليط، و أنه خلط و صنف في مذهب النصيرية، و كان يقول بالتناسخ و الحلول؛ غير أن السيد الأمين العاملي في أعيانه، هاجم الذين اتهموه بأمثال هذه الأباطيل ورد عليهم. و قال : كذبوا عليه و نسبوا إليه الترهات، ولا غرابة في افتراء هؤلاء النسب الباطلة إلى العلماء.

و الخلاصة أن أبا عبد الله الحضيبي، من شيوخ المشايخ؛ روى عنه الشيخ الثقة الجليل القدر عظيم المنزلة واسع الرواية عديم النظير أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري الشيباني (المتوفى ٣٨٥ هـ) و هو في الوقت نفسه أحد المصنفين في فقه الإمامية.

أما شيخنا الأكبر العلامة الأميني النجفي كرم الله وجهه - الوالد المعظم - فلم يذكره في «الغدير» لعدم وقوفه على كتاب «سبيل راحة الأرواح».



مركز تحقيقات كتب تراث علوم اسلامی

مصادر ترجمته

- أعيان الشيعة ٢٥ / ١٤٤. تنقيح المقال ١ / ٣٢٦. جامع الرواة ١ / ٢٣٧. الجامع في الرجال ١ / ٥٩٣. خلاصة الأقوال (رجال العلامة الحلي) / ٢١٧. رجال ابن داود الحلي / ٢٤٠. رجال الشيخ الطوسي / ٤٦٧. رجال النجاشي / ٤٩. رياض العلماء ٢ / ٥٠. الفوائد الرضوية / ١٣٤. فهرست الشيخ الطوسي / ٥٧. لسان الميزان ٢ / ٢٧٩. مجمع الرجال ٢ / ١٧٢. معجم رجال الحديث ٥ / ٢٢٤. معجم المؤلفين ٤ / ٥.

## تميم بن المعز لدين الله

(٣٣٧ - ٣٧٤ هـ)

جأدك الغيث من محلة دار  
حكمت بعد قاطنك الليالي  
ورمتك الخطوب منهم ببين  
يا بني هاشم ولسنا سواء  
إن نكن ننتمي لجد فإنا  
ليس عبّاسكم كمثّل عليّ  
من له الفضل والتقدّم في الإس  
من له الصهر والمواساة والنص  
من دعاه النبيّ خدناً وسمّاً  
من له قال : أنت منّي كهّا  
ثم يوم «الغدير» ما قد علمتم  
من له قال : لافق كعليّ  
وبمن باهل النبيّ؟ أنتم  
أبعبد الإله، أم بحسين  
يا بني عمّنا ظلمتم وطرتم  
كيف تحوون بالأكف مكاناً  
من تولّى الفراش يخلف فيه  
أين كان العبّاس إذ ذاك في  
ألکم مثل هذه يا بني العب  
ألکم حرمة بعمّ رسول اللّ  
ولنسا حرمة الولادة والأ

وثوى فيك كلّ غارٍ و سارٍ  
في مغاني رساك بالإقفارِ  
ورحيل القطين موت الديارِ  
في صغار من العلي أو كبارِ  
قد سبقناكم لكلّ فخارِ  
هل تقاس النجوم بالأقمارِ؟  
لام و الناس شيعة الكفارِ؟  
رة و الحرب ترقي بالشرارِ؟  
ه أخساً في الخفاء والإظهارِ؟  
رون و موسى؟ أكرّم به من نجارِ  
خصّه دون سائر الحضارِ  
لا ولا منصل سوى ذي الفقارِ؟  
جهلاء بواضح الأخبارِ؟  
و أخيه سلالة الأطهارِ؟  
عن سبيل الإنصاف كلّ مطارِ  
لم تنالوا رؤياه بالأبصارِ؟  
أحمداً و هو نحو يثرب ساري؟  
الهجرة أم في الفراش، أم في الغارِ؟  
اس مأثورة من الآثارِ؟  
ه ليست فيكم بذات بوارِ؟  
عمام و السبق والهدى و المنارِ

ولنا هجرة المهاجر قَدْماً  
ولنا الصَّوم والصَّلَاة وبذل  
نحن أهل الكِسَاء سادسنا الر  
نحن أهل التُّقَى وأهل المواسا  
فدعوا خطة العلى لذويها  
أو فلو موا الإله في أن برانا  
أجعلتم سقى الحجيج كمن آ  
أو جعلتم نداء عباس في الحر  
كوقوف الوصي في غمرة المو  
حين ولّى صحبُ النبي فراراً  
واسألوا يوم خيرٍ واسألوا مك  
واسألوا يوم بدر من فارس  
واسألوا كل غزوة لرسول الله  
يا بني هاشم أليس علي  
فهاذا ملكتم دوننا إر  
أبقرى؟ فنحن أقرب للمور  
أم بَارِث ورثتموه؟ فإنا  
لاتغطوا بحيفكم واضح الح  
وأصيخوا لوقعة تملاً الأر  
تحت أعلامه من الفاطمي  
فاصدروا عن موارد الملك إنا  
ولنا العزّ والسّموّ عليكم

ولنا نصرة من الأنصار  
العرف في يسرنا وفي الإعصار  
وح أمين المهيمن الجبار  
ة وأهل النوال والإيسار  
من بني بيت أحمد الأبرار  
فوقكم واغضبوا على المقدار  
من بالله مؤمناً لا يداري؟  
ب لمن فرّ عن لقاء السفار  
ت لضرب الرؤوس تحت الغبار؟  
وهو يحمي النبيّ عند الفرار؟  
سنة عن كرهه على الفجار  
الإسلام فيه وطالب الأوتار؟  
ه عمن أغار كل مفار؟  
كاشف الكرب و الرزايا الكبار؟  
ث نبيّ الهدى بلا استظهار؟  
وث منكم ومن مكان الشعار  
نحن أهل الآثار والأخطار  
ق فيقضي بكم لكل دمار  
ض عليكم بحفل جرّار  
ن أسود ترمي شبا الأظفار  
نحن أهل الإيراد والإصدار  
و المساعي وقطب كل مدار

يا بني فاطم! إلى كم أقيكم بلساني ومنصلي وانتصاري؟<sup>١</sup>

### الشاعر

الأمير أبو علي تميم بن الخليفة المعز لدين الله معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ابن الخليفة المهدي عبيد الله الإسماعيلي الفاطمي.

ولد سنة ٢٣٣٧ في مدينة المهديّة بتونس؛ تلك المدينة التي بناها مؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي، واتخذها عاصمة له عام ٣٠٧ هـ. واستقر بها هو وشيعته و كبار رجال أنصاره؛ إلى أن بنى المنصور بالله مدينة المنصورية سنة ٣٣٧، وانتقلوا إليها. فنشأ المترجم في هذه المدينة، وترعرع في أيّمة الملك إلى أن اتخذ لنفسه عبيداً و داراً في القصر بالمنصورية<sup>٢</sup>. وقد كان من رسوم الفاطميين تربية أبناء كبار رجال الدولة و المقربين إليهم في قصر الخلافة مع الأمراء من أبنائهم. ولكننا لانعرف كيف نشأ تميم ولم نعرف شيئاً كذلك عن أساتذته و مربّيه؛ بالرغم مما نعرفه عن شغف الفاطميين بالعلوم و تشجيع العلماء والادباء و الشعراء. و جمع الكتب النفيسة في كلّ فن. فلا شك أن هذه البيئة الثقافية التي كانت في البلاط الفاطمي، كان لها أثرها الخالد في تلوين الشاعر بهذا الاتجاه الفني الذي اتّجه إليه.

قدم الأمير تميم مصر في الخامسة و العشرين من عمره، و سكن القصر

١. ديوان تميم بن المعز / ١٨٥. أعيان الشيعة ١٤ / ٢١٠ - ٢١١، وفيه: أن القصيدة قالها ردأ على عبد الله ابن المعتز في تفضيله للعباسيين على العلويين في قصيدته التي أولها: أي ربيع لآل هند و دار... ولم يترجم له في كتاب «الغدير».

٢. وفيات الأعيان ٨ / ١.

٣. سيرة الأستاذ جوذر / ١٠٠.

الكبير في القاهرة. و يخيل إلينا أن المعز لدين الله كان شديد الحرص على ألا يعهد إلى تميم بأي عمل من الأعمال الرسمية؛ و ظلّ تميم بمعزل عن كلّ عمل عام بل أهمل إهمالاً شديداً. و يمكن القول : أن انصراف المترجم له للعلم والثقافة و توغله الشديد فيها، كان سبباً لإهماله و تركه قضايا و شؤون الدولة. لقد كان تميم يحى في مصر حياة هو و ترف؛ و وجد في البيئة الفاطمية من المنزهات و الديارات ما يوافق هواه و مزاجه، فأكثر من الخروج إلى المختار بجزيرة الروضة، و إلى دير القصير بالقرب من قصوره، و شارك المصريين في لهوهم سيمًا في أيام الأعياد؛ بعد أن كانت الدولة تحتفل بهاتيك الأعياد مع الشعب، فترى الشاعر الأمير في صفوف الشعراء يلتقي من على المنبر قصائده التي صاغها في تلك المناسبة السعيدة.

و قد اتخذ الأمير الشاعر لنفسه عددًا من الأصدقاء، و اصطفاهم من بين عشرات الآلاف من أفراد الشعب؛ و من بينهم نقيب الطالبين بمصر أبو القاسم أحمد<sup>١</sup> بن محمد بن إسماعيل الرّسّني بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ و كان شاعراً أيضاً من الشعراء المشبهين، و توفي سنة ٣٥٢ هـ. و كان ابنه من الشعراء أيضاً.

١. أبو القاسم الشريف أحمد النقيب بن أبي عبدالله محمد الشعرائي بن إسماعيل بن القاسم الرّسّني بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام الحسيني الرّسّني المصري ٢٨١ - ٣٤٥ هـ.

عالم فاضل أديب شاعر، تولى النقابة بمصر بعد أخيه إسماعيل، و كان من أكابر رؤساءها و له شعر مليح في الزهد و الغزل و غير ذلك. مات في مصر لخمس بقين من شعبان سنة ٣٤٥ هـ. و عمره أربع و ستون سنة (٦٤) و دفن في مقبرتهم خلف المصلّى الجديد بمصر.

الأعلام ٢٠٠/١. أعيان الشيعة ١٩٩/٩. عمدة الطالب ١٧٥. نوابغ الرواة ٤٢. وفيات الأعيان ٣٩/١. يتيمة الدهر ٣٢٨/١.

والذي يُعرف من ثنايا ديوان الأمير تميم - المطبوع بالقاهرة عام ١٣٧٧هـ. بإشراف الأساتذة : علي عبدالعظيم و محمد عبدالعظيم بدر و إبراهيم عطا فرج- أن المترجم له كان على صلة قوية برجال الدولة و الأدباء المرموقين، و على صلة ما بغيرهم أيضاً من شعراء مصر الماجنين، أمثال : صالح بن رشدين و ابن أبي العصام و ابن أبي الجوع و الروذباري و غيرهم؛ فهؤلاء كانوا جميعاً من كتاب و شعراء العصر الفاطمي بالقاهرة.

هكذا عاش المترجم له و تمت حياته القصيرة إذ توفي سنة ٣٧٥ هـ. و هو نحو الثامنة و الثلاثين من عمره، و دفن في تربة الزعفران مع آبائه و أجداده. و خلف ديواناً حافلاً بشعره و قصائده التي نظمها في مناسبات مذهبية و دينية.

و مهما يكن من أمر، فقد ترك الخوض في جميع المجالات السياسية؛ و لكن صال و جال في النواحي الأدبية و اندمج في ركب الشعراء و سار في موكبهم، و شاركهم في المناسبات و الأعياد الفاطمية بصورة سافرة؛ و نظم فيها قصائد طويلة، و هنا الخلفاء و في رأسهم والده المعز لدين الله و أخوه العزيز بالله مع بيان العقيدة الفاطمية في أغلب شعره و الاعتزاز بها و برسالتها المخالدة.

قال الأستاذ الأعظمي - السكرتير العام لجماعة الإخوة الإسلامية بمصر - : إن تميم بن المعز، كما يعرفه الأدباء، أمير شعراء مصر في العصر الفاطمي؛ و يمكننا القول بأن تيمماً هذا كان مبدأ حياة خصيبة عامرة. نشأ في وقت واحد مع القاهرة، و كان الشعر في مصر بما نعلمه من الضعف و القلة و الندرة، إذ كان العصر العباسي الثاني حافلاً بدويلات شبه مستقلة، و كان الشعر فيها يصيب تشجيعاً من أمراء العرب كدولة بني حمدان، إلا أن رُسل الخليفة في مصر من الأتراك لم يكن الشعر العربي يلقي قبولاً عندهم بحكم تباين اللغة و

المنزوع. و كان الشعراء يلجأون إلى غير مصر كالشام و بغداد؛ و كانت اللغة الفارسية تلتبس نهضتها في الدولة السامانية و الغزنوية. فأما إذ أُتيح للفاطميين أن يقيموا دولتهم الكبرى في وادي النيل فتحن أمام دولة عربية هاشمية تحمي اللغة، كما تحمي كتابها و دينها. ففي عصرهم أخصب البيان العربي، و انفسح الميدان للشعراء، و أمكننا أن نسمع مائة شاعر في رثاء بعض الوزراء ينشدون جميعاً و ينالون الجائزة جميعاً؛ فيجدون من أزيحية الفاطميين و سعة نائلهم ما يشجعهم على القول و يدفعهم إلى الإجادة.

و لكن لماذا لا يحدث صاحب العمدة و الثعالبى و غيرها عن تميم و الجميع قد أجمعوا أو كادوا يجمعون على أن تميمياً كان على عرش الإمارة في الشعر، و كما كان أبوه و أخوه على عرش الخلافة في مصر؟ و الحق أن للسياسة دخلاً كبيراً في السطو على تميم و حرمان أبناء العربية أدهاراً طوالاً من ثمار تفكيره؛ فقد كان شعر تميم ضمن مخلفات ذلك البيت المالك، و في خزنة القصر الفاطمي التي كانت حافلة بمئات الألوف من كتب العلوم و الأدب، ثم نُهبَت هذه القصور و أُحرق أكثرها و حمل القليل من تحفها و جواهرها. أمّا أدباء العرب و المؤرخون فلم يعرفوا عن تميم إلا شذرات متفرقة و بضع قصائد لعبت بها يد التحريف و التصحيف.

ثم قال: إنه وجد ديوانه في مكتبة «كلية كجرات» فنقله من سبع نسخ مختلفة، كما نقل غيره من الكتب الخطية المفقودة من جميع مكاتب العالم. و هو يعتقد أن هذا الديوان نقله بعض أتباع الفاطميين و بقاياهم الذين فرّوا من مصر بعد غروب شمس الدولة الفاطمية إلى جبال الين ثم إلى الهند في مقاطعة كجرات فحملوه معهم فيما حملوه من الكتب<sup>١</sup>.

١. أعيان الشيعة ٢٠٨/١٤ نقلاً عن مجلة الرسالة المصرية، العدد ٣٣١ من السنة السابعة.



و له أبيات أخرى تدلّ بوضوح أنه كان موضع الإكبار و التقدير لدى رجال الدولة، و منها: أن الخليفة العزيز بالله كان يقلّب ثياباً مذهباً و غيرها، فأمر الأمير تيماً أن يتخير له أحسنها للباسه؛ فلما تخير الأمير أمر بحملها إليه، فقال بديها:

أنت أهدى إلى المكارم و الفضل	ل و أندى من الغمام المطير
و ابنٌ من بان فضله يوم بدر	و اصطفاه النبي «يوم الغدير»
و لك الهمة التي علت النجـ	م وزادت عليه في التنوير
صانك الله للمكارم و المحـ	د و أبقاك للعلا و الحبور <sup>١</sup>

و هناك في ثنايا الديوان قصائد أخرى للمترجم له، قالها في الأعياد و المناسبات الفاطمية، و أرسلها من على منصة الخطابة على رؤوس الأشهاد و تبارى بها لذلك وليّ إمارة ممالك الشعر؛ و أُلقي إليه زمام التصرف في أقطار النظم و النثر. و هذا دليل على علو عبقريته و تفننه في الأدب العربي و أبواب الشعر. و إليك نماذج من شعره فمنه يرثي أهل البيت عليهم السلام و مقتل الإمام الحسين في كربلاء:

نأت بعد ما بان العزاء سعادُ	فحشو جفون المقلتين سُهادُ
فليت فؤادي للظعائن مربع	وليت دموعي للخليط مزادُ
نأوا بعد ما ألفت مكاندها التوى	و قوت بهم وصح دار و داد <sup>٢</sup>
و قد تؤمن الأحداث من حيث تتقى	و يبعد نجاح الأمر حين يرادُ

١. ديوان الأمير تميم بن المعز / ١٧٢. و جاء في الهامش: هو غدير خم؛ موضع بين مكة و المدينة، أثنى عنده النبي صلى الله عليه وآله على علي بن أبي طالب، و قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. و يقول الشيعة أن النبي أوصى في هذا اليوم (١٨ ذي الحجة) بوصاية علي بن أبي طالب، و اتخذ الفاطميون يوم الغدير يوم عيد لهم.

٢. هكذا في المصدر ولعلّه: و أقوت بهم وصح دار و داد.

أعاذل! لي عن فسحة الصبر مذهب  
ثوت لي أسلاف كرام بكر بلا  
أصابتهم من عبد شمس عداوة  
فكيف يلذ العيش عفواً وقد سطا  
و قتلهم بغياً عبيدٌ و كادهم  
بثارات بدر قاتلوهم و مكة  
فحكمت الأسياف فيهم و سلطت  
فكم كربة في كربلاء شديدة  
تحكم فيهم كل أنوك جاهل  
كانهم ارتدوا ارتداد امية  
ألم تعظموا - يا قوم - رهط نبيكم؟  
تُداس بأقدام العصاة جسومهم  
تضيمهم بالقتل أمة جدّهم  
فماتوا عطاشى صابرين على الوجع  
و لم يقبلوا حكم الدّعي لأنهم  
ولكنهم ماتوا كراماً أعزة  
و كم بأعالي كربلاء من حفائر  
بها من بني الزهراء كلٌ سميع  
معفرة في ذلك التراب منهم  
فلهني على قتل الحسين و مسلم  
ولهني على زيد و بئاً مردداً  
ألا كبِدُ تفنى عليهم صباية  
ألا مقلّة تهمي؟ ألا أذنُ تعمي؟  
تُقاد دماء المارقين و لا أرى

و للّهو غيري مألّف و مصاد؟  
هم لثغور المسلمين سداد  
و عاجلهم بالناكثين حصاد  
و جاز على آل النبي زياد؟  
يزيد بأنواع الشقاق فبادوا  
و كادوهم و الحق ليس يكاد  
عليهم رماح للنفاق جداد  
دهاهم بها للناكثين كباد  
و يغزون غزواً ليس فيه محاد  
و حادوا كما حادت ثمود و عاد  
أما لكم يوم النشور معاد؟  
و تدرسهم جرد هناك جباد  
سفاهاً و عن ماء الفرات تذا  
و لم يحنبوا بل جالدوا فأجادوا  
تساموا و سادوا في اليهود و قادوا  
و عاش بهم قبل الممات عباد  
بها جثث الأبرار ليس تعاد  
جواد إذا أعيا الأنام جواد  
وجوه بها كان النجاح يفاد  
و خزي لمن عاداهما و بعاد  
إذا حان من بثّ الكئيب نفاذ  
فيقطر حزناً أويذوب فؤاد؟  
أكل قلوب العالمين جماد؟  
دماء بني بيت النبي تُقاد

بها انجاب شرك و اضمحل فساد؟  
 سببايا إلى أرض الشام تقاد  
 كما سيق في عصف الرياح جراد  
 لأكرم من قد عزّ عنه قياد  
 و قتل حسين و القلوب شداد  
 لقد مجسوا أهل الشام و هادوا  
 متى صحّ منكم في الإله مراد  
 بهم و نقصتم عند ذاك و زادوا  
 عدى فاملأوا طرق النفاق و عادوا  
 عليكم نفاق منهم و عناد؟  
 لقد قلّ إنصاف و طال شراد  
 متى شارفت شمّ الجبال و هاد؟  
 نبياً علت للحق منه زناد؟  
 إذا عُدّ إيمان و عدّ جهاد؟  
 متى قيس بالصبح المنير سواد؟  
 ستجني عليكم ذلّة و كساد  
 إذا اشتدّ أبعاد و أرمّل ذاد؟  
 بكم أم بهم دين الإله يشاد؟  
 غزار و حزن ليس عنه رقاد  
 فلا اتسعت بي - ما حييت - بلاد  
 على الأرض من طول الفرار مهاد  
 من المستهلات العذاب عهاد

أليس هم الهادين و العترة التي  
 تُساق على الأرقام قسراً نساؤهم  
 يُسَقن إلى دار اليزيد صواغراً  
 كأنهم فيء المجسوس و إتهم  
 يعزّ على الزهراء ذلّة زينب  
 و قرع يزيد بالقضيب لِسِنه  
 قتلتم بني الإيمان و الوحي و الهدى  
 و لم تقتلوهم بل قتلتم هداكم  
 أميّة! ما زلتم لأبناء هاشم  
 إلى كم و قد لاحت براهين فضلهم  
 متى قطّ أضحى عبد شمس كهاشم؟  
 متى وزنت صمّ الحجار بجوهر؟  
 متى بعث الرّحمان منكم كجدّهم  
 متى كان يوماً صخرُكم كعليهم  
 متى أصبحت هند كفاطمة الرّضي؟  
 آل رسول الله سوّتم و كدتم؟  
 أليس رسول الله فيهم خصيمكم  
 بكم أم بهم جاء القرآن مبشراً؟  
 سأبكيكم - يا سادتي - بمدامع  
 و إن لم أعاد عبد شمس عليكم  
 و أطلبهم حتّى يروحوا و ما لهم  
 سقى حفراً و ارتكّم و حوّنكم  
 و قال متغزلاً:

قالت: أغدراً بنا في الحب؟ قلت لها:  
قالت: فلم لم تزرنا؟ قلت: زاركُم  
قالت: كذا يكتُم العشاق حبهم  
قلت: اسمحي لي بتقبيل أعيش به  
و أنشد و هو يصف الناعورة:

و باكية من غير دمع بأعين  
يغني بها زجل المدير لقطبها  
إذا نرف العشاق دمع عيونهم  
على غير خلّ دائماً تتحدّر  
فيطربها حُسنُ الغناء فتنعّر  
فأدمعها مع كثرة السكب تغزّر

و قال حين خروجه من الشام في سنة ٣٧٤ هـ.:

قالوا: الرحيل الخمسة تأتي سراعاً من جمادى  
فأجبتهم إني اتخذت له البكا والحزن زادا  
سبحان من قسم الهوى بين الأحبة والبعادا  
و أعاد للأجفان سقا ما يسترق به العبادا  
يا ويح من منح الفرا قُ جفون مقلته الرقادا!

و أنشد:

عَتَبْتُ فأنشئ عليها العتاب  
و سعت نحو خدّها بيديها  
رُبّ مبدى تعتب جعل العت  
فاسقنيها مدامة تصبغ الكأ  
ما ترى الليل كيف دقّ دجاء  
و دعا دمع مقلتها انسكاب  
فالتقى الياسمين و العناب  
سب رياء و همّه الاعتاب  
س كما يصبغ الحدود الشباب  
و بدا طيلسانه ينجاب

و كأنّ الصباح في الأفق بازٌ      و الدجى بين مخليبه غرابٌ  
و كأنّ السماء لجّة بحر      و كأنّ النجوم فيها حبابٌ  
و كأنّ الجوزاء سيف صقيل      و كأنّ الدجى عليها قرابٌ

و قال معرضاً ببعض أقرباءه، و ذاك أنّه ذكر أنّ الأمير تميم يستعين على ما يأتي به من الشعر بغيره:

أرى أناساً ساء في ظنهم      في كلّ ما قلت من الشعر  
لما تطاطبهم علمهم      قاسوا بأقدارهم قدري  
لو فهموا أو عقلوا لاستحووا      أن يجعلوا المريخ كالبدري  
قيسوا بشعري شعره تعلموا      تضايق النهر عن البحر  
من بطل الحق هجا نفسه      بجهله من حيث لا يدري  
فأنظروني فيه أو فاشرحوا      شعري إن أنكرتم أمري  
أولاً؛ فقولوا حسدٌ قاتل      مستمكن في القلب و الصدر

و أنشد يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمي:

إشرب فإنّ الزمان غضٌّ      و صرفه لئن الجناح  
من قهوة مزة كُمت      أسكر من أعصر الشباب  
أرقّ من أدمع التصابي      سكباً و أشهى من المضراب  
صاغ لها المزج حيث شبت      نطاق درّ من الحساب  
كأنّ في كأسها صباحاً      و الليل محلوك الثياب  
يسعى بها ساحر المآقي      لا يمرض الوصل بالعتاب  
كأنها لون و جنتيه      و طيب ألفاظه العذاب  
إنّ ندى راحتي نزار      ما زال يغني عن السحاب  
مهذبٌ أروع السجايا      مقابل ماجد النصاب

و قال :

يا دهر، ما أقساك من متلون	في حالتك و ما أقلك منصفاً!
أتروح للكنس الجهول ممهداً	و على اللبيب الحر سيفاً مرهفاً؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخل	و إذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك و إن صفوت لأنني	أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه	و إذا استقام بدا له فتحرفاً
ما قام خيرك - يا زمان - بشره	أولى بنا ما قل منك و ما كفى <sup>١</sup>

و قال :

أيا دیر، مَرَحنا سقتك رعود	من الغيم تهمني مزنها و تجوداً
فكم واصلتنا من رباك أوانس	بطفن علينا بالمدامة غيد
و كم ناب عن نور الضحى فيك مبسم	و ناب عن الورد الجني خدود
و ماست على الكشبان قضبان فضة	فأثقلها عن حملهن نهود
ليالي أغدو بين ثوبي صباية	و ليلتي و أيام الزمان هجود
و إذ ليلى لم يوقظ الشيب ليلها	و إذ أثري في الغنائيات حميد

و أنشد:

إذا حان من شمس النهار غروب	تذكر مشتاق و حن حبيب
ترى عندهم علم و إن شطت النوى	بأن لهم قلبي علي رقيب
لهم كبدي دوني و قلبي و مهجتي	و نفسي التي أدعي بها فأجيب
فأية حزني لوعة و صباية	و عنوان شبي زفرة و نحيب
و ما بلد الإنسان إلا الذي له	به سكن يشتاقه و حبيب
إلى الله أشكو و شك بين و فرقة	لها بين أحشاء المحب ديب

١. هذه الأبيات والتي تليها من يتيمة الدهر ١ / ٤٣٦ - ٤٤٤.

قال أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعالي النيسابوري  
المتوفي ٤٢٩ هـ : و أنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي، من قصيدة  
مخمسة وهي :

دمُ العشاق مطلولُ      و دين الحب ممطولُ  
و سيف اللحظ مسلول      و مبدي الحب معذول  
و إن لم يصنع للأنتم  
إذا لم يظهر الحبُّ      و لم يسهتِك الصبُّ  
و يغشي سرَّهُ القلب      فجملة ما ادعى كذب  
فبح يا أيها الكاتمُ  
و أحور سادر الطرفِ      يفوق جوامع الوصفِ  
مليح الدل و الظرف      جنت الحماظه حتفي  
فمن يعدي على الظالم؟  
أطاع جفونه السحرُ      و ذل لوجهه البدرُ  
و ماد بردفه الخصر      و أشبه ثفره الدرُ  
فقلب محبه هائمُ  
يعتفني على حبي      و يجرني بلا ذنبِ  
كأنني لست بالصَّبِّ      لقهوة ريقه العذبِ  
أما في الحب من راحم؟  
غزال لحظه شرُّكهُ      و بدر ثوبه فلكهُ  
لو أني كنت أملكهُ      فأنهب ماحوت تككه  
نهاب الظافر الغائمُ  
خذوا بدمي قنا القدُّ      و حسن توردد الخدُّ  
و ليل الشَّعر الجعد      و ثقل الكفل النهْدِ  
و سقم الأعين الدائمُ

مَتَى يَظْفَرُ بِالْوَصْلِ      وَ يَسْنِفِي الْجُورَ بِالْعَدْلِ  
مَحَبَّةَ دَائِمِ الْخَبْلِ      سَلِيلِ الصَّبْرِ وَالْعَقْلِ  
كُتَيْبَ مَدْنَفِ هَائِمٍ؟

بِحَسَنِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ      وَ عَضُّ الْوَقْفِ وَالْحَجْلِ  
وَ ذَاكَ الْقَصَبِ الْجَدْلِ      وَ رَيْقِ كَجَنَّا النَّسْجْلِ  
وَ ثَغْرِ يَطْمَعِ الشَّائِمِ  
سَلُّوا الشَّمْسَ الَّتِي طَلَعَتْ      عَلَيْنَا ثُمَّ مَا أَقْلَعَتْ  
عَسَى تَرْتِي لِمَنْ قَتَلَتْ      بِعَيْنَيْهَا وَ مَا عَلِمَتْ  
فَقَدْ يَسْتَعْطِفُ الْعَالَمِ

أَمَّا وَالْخَرْدُ الصَّفْرِ      شَبِيهَاتِ سَنَا الْبَدْرِ  
وَ أَلْوَانِ صَفَا الْخَمْرِ      لَقَدْ أَضْرَمَ فِي صَدْرِي  
غَرَامًا لَيْسَ بِالنَّائِمِ  
وَرَاحٌ تَبْعَتْ الطَّرْبَا      وَ تَحْيَى الظَّرْفِ وَالْأَدْبَا  
يَشِيرُ مَزَاجَهَا حَبِيبًا      تَحْسِبُ بِهِ عَيَّيُونَ دَبِي  
وَ دَرَأَ صَفَّهُ النَّاضِمِ،

أَمَّا وَالْجَمْرَةُ الْكُبْرَى      وَ زَمْزَمُ وَالصَّفَا وَ مَنَى  
وَ مَنْ لَبَّى بِهَا وَ دَعَا      وَ طَافَ الْبَيْتَ ثُمَّ سَعَى  
خَمِيصًا مَخْبِتًا صَائِمِ،

لَقَدْ أَضْحَى لَنَا خُلَفَا      نَزَارًا وَ ابْتَنَى شَرْفَا  
وَ أَصْبَحَ خَامِسُ الْخُلَفَا      وَ أَحْيَا سَعْيِهِ السَّلَفَا  
وَ أَضْحَى بِالْهَدَى قَائِمِ

نَمَّا فِي الْمَجْدِ عُنْصُرُهُ      وَ طَالَ النِّجْمُ مَفْخَرُهُ  
وَ فَاقَ الْبَدْرَ مَنْظَرُهُ      فَصَرَفَ الدَّهْرَ يَخْدَرُهُ  
أَبِي لَيْنٍ صَارِمِ



و قال :

وردد الرياض و أنعم	وردد الخدود أرق من
ف وذا يقبله الفم	هذا تنشق الأنو
وردين ورد يلثم	فاذا عدلت فأفضل الـ
وذا يضم و يشمم	هذا يشم ولا يضم

و قال متغزلاً:

آخرها مشبه لأولاها	وليلة بثها على طرب
والثم الشمس من محيّاها	أقبل البرق من ترائبها
بأكؤس السكر وهي عيناها	سقتني الراح وهي خدّاها
بآخر اللحظ في فسيها	إذا أرادت مزاجها جعلت
وليس إلا الخدود مأواها	فياها قهوة معتقة
ونقلها اللثم حين أسقاها	حبابها الشجر حين يمزج لي
بدار حزواء ما كان أحلاها	لله أيماننا التي سلفت
أعلى رباها إلى مصلاها	فالقصر من حيرة الملوك إلى
والعزم فخرها و مغداها	إذ نجتني اللهو من أصانلها
أو صعبت خطة حويناها	إن عرضت لذة ملكناها

و قال :

ولا تعذب ظنوني فيك با لظنن	يا منتهى أمني، لا تُدِن لي أجلي
فإن قدك قد قد من غصن	إن كان وجهك وجهاً صيغ من قر

\*\*\*

و يحدثنا ابن الأثير في كتابه عن تميم، فيقول: كان شاعر أهل بيت

العبيديين من غير منازع. و هو فيهم كابن المعزّ في بني العباس؛ غزارة علم و نقاوة أدب و حسن تشبيه و ابداع تخيل. و كان يقتني آثاره و يصوغ على مناحيه في شعره أشعاره؛ و قد ولّاه أبوه المعزّ الدين الله معذّب بن إسماعيل المنصور عهده و به كان يكتنّى؛ ثم أعقبه بذكر شيء من شعره في أخيه نزار، و الغزل و التشبيه. و بعد تلك المختارات من شعر تميم نجد ابن الأبار يؤكد في آخر ترجمته أنه توفّي في خلافة أخيه العزيز المتوفّي سنة ٣٧٤، بينما توفّي العزيز سنة ٣٨٦.<sup>١</sup>

هذا و تكاد المراجع تتفق في أن وفاته سنة ٣٧٤ هـ. من غير شكّ و اختلاف؛ إلّا أن صاحب «أعيان الشيعة» عند ترجمته له ذكر وفاته سنة ٣٦٨ هـ. و هو تصحيف حصل عن «النجوم الزاهرة»<sup>٢</sup> فقد تفرّد به. مات يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، و إنّ أخاه العزيز نزار بن المعزّ حضر الصلاة عليه في بستانه؛ و غسّله القاضي محمد بن النعمان، و كفّنه في ستين ثوباً، و أخرجّه من البستان مع المغرب و صلّى عليه بالقرافة، و حمّله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعزّ.

#### مصادر ترجمته

الأعلام ٧١/٢. أعيان الشيعة ٢٠٨/١٤ - ٢٢٤. الحلة السيرة / ٤٣٠.  
ديوان تميم بن المعزّ / المقدمة. سيرة الأستاذ جوذر / ١٠٠. المنتظم ٩٣/٧.  
النجوم الزاهرة ١٣٣/٤. وفيات الأعيان ٣٠١/١. يتيمة الدهر ٣٤٧/١.

١. الحلة السيرة / ٤٣٠.

٢. النجوم الزاهرة ١٣٣/٤.

## أبو حامد الأنطاكي

(المتوفى ٥٣٩٩ هـ)

كتب الحصار إلى السرير	أنَّ الفصيلَ ابنُ البعير
فلمثلها طرب الأُمي	رإلى طباهجة بقير <sup>١</sup>
فلأمنعنَ حمارقي	سنتين من علف الشعير
لا هُـمَّ إلا أن تطي	ر من الهُزال مع الطيور
فلأُخبرنك قصتي	فلقد وقعتَ على الخبير
إنَّ الذين تصافعوا	بالقرع في زمن القشور
أسفوا عليَّ لأنهم	حضرُوا ولم ألك في الحضور
لو كنتُ ثمَّ لقليل: هل	من آخذٍ بيد الضرير؟
ولقد دخلت على الصدي	ق البيت في اليوم المطير
مستشمرًا متبخترًا	للصفع بالدلو الكبير
فأدرتُ حين تبادروا	دلوي فكان على المدير
باللرجال تصافعوا	فالصفع مفتاح السرور
لاتغفلوه فإنه	يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبحو	ر فلا تمَلُّوا من بخور!
ولأذكرنَ إذا ذكرتُ	أحبَّتي وقت السحور
ولأحزُننَ لأنهم	لمآدنا نضج القدور،
رحلوا وقد خبزوا الفطير	ر ففاتهم أكل الفطير
لا والذي نطق النبيُّ	بفضله «يوم الغدير»
ما للإمام أبي عليٍّ	في البريَّة من نظير <sup>٢</sup>

١. الطباهجة: اللحم المشرح.

٢. يتيمة الدهر ١/٣٢٣ ط ١٣٦٦ هـ. الغدير ٤/١١١.

## الشاعر

لم يكن أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المصري المعروف بأبي الرِّقَعَمَقْ مصرياً و لكنّه و قد عليها. فكان شأنه شأن الشعراء الوافدين لمصر في العصر الفاطمي؛ و ذلك لمدح الخلفاء و الوزراء و نيل جوائزهم و عطاياهم. و لكن هذا الشاعر كان يُعدُّ في الرِّعِيل الأول من شعراء الفاطمية لجودة شعره و متانة قريحته. و قد عرفه صاحب اليتيمة و غالى في حقه و وصفه؛ فقال: نادرة الزمان و جملة الإحسان و ممن تصرّف بالشعر المجزل في أنواع الجدّ و الهزل و أحرز قصب الفضل. و هو أحد المداح المجيدين و الفضلاء المحسنين، و هو بالشام كابن حجاج بالعراق<sup>١</sup>.

لقد كان أبو الرِّقَعَمَقْ من المشاهير المتصرّفين في فنون الشعر، و له شوطه البعيد في أساليب البيان غير أنه ربّما خلط الجدّ بالهزل. و نشأ بالشام ثم رحل إلى مصر و أخذ فيها شهرة طائلة و مكانة من الأدب عظيمة، و مدح ملوكها و زعمائها و رؤسائها. و ممن مدح المعزّ أبو نعيم بن معدّين المنصور بن القائم بن المهدي عبيدالله، و ابنه زفر عزيز مصر، و الحاكم بن العزيز، و جوهر القائد، و الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلّس، و نظرائهم؛ و صادف فيها جماعة من أهل الهزل و المجنون فأوغل فيها كلّ الإيغال حتى نبز بأبي الرِّقَعَمَقْ. و قد يقال: إنّه هو الذي سمّي نفسه بذلك<sup>٢</sup>.

لقد كان شعر أبي الرِّقَعَمَقْ إلى الهزل أقرب من الجدّ فإنه أخذ في شعره طريقةً عجيبة عرف بها، و هي إمعانه و حرصه الشديد في الحماقة و الفحش و الهزل في الشعر. فإنك لم تجد له قصيدة خالية عن هذه الأوصاف؛ و يندر أن

١. يتيمة الدهر ٣١٠/١.

٢. الغدير ١١٢/٤.

يترك هذه الحماقة في الشعر و يعود إلى الجدد؛ ولهذا عرف في التاريخ بالمجون  
أكثر ما عرف بالجدد. ولعله كان يعبت بشعره بذكر هذا المزاح. وقد لقي في مصر  
من يشاكله في هذه الطريقة من الشعراء الماجنين؛ وله قصائد عدة في هذا  
الموضوع، منها قوله في إحدى قصائده يذكر التصافع بين الشعراء الماجنين:

خذ في هيناتك مما قد عرفت به  
مما به أنت معروف ومشهور  
واحك العصافير صي صي صي صي صي  
إذا تجاوبن في الصبح العصافير  
لاتنكرون حماقاتي لأن بها  
لواء حمقى في الآفاق منشور  
ولست أبغي بها خلا ولا بدلا  
هياتا غيري بترك الحمق معذور  
لا عيب في سوى أنني إذا طيرت  
وقد حضرت يرى في الرأس تفجير  
والأخدعان فالألا يرى بها  
لكثرة المزح تسوريم وتحمير  
وذا القفال مع الأعراض مطرد  
صفع ونقع وتيسير وتيسير  
فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا  
كذا الليالي لها صفو وتكدير  
أسستغفر الله مما قلته عيبا  
لغير شيء وما في الصحف مسطور

أقول للنفس لما استشعرت جزعاً  
وبات يردعها خوف وتحذير؛  
إن الإمام نزاراً مدحه - فثقي -  
ذخراً لمثلك عند الله مذكور  
هو الذي ليس بعد الله من أحد  
سواه في الناس محمود ومشكور  
مشمّر في المعالي ذيل مجتهد  
وماله في سوى العلواء تسمير<sup>١</sup>

و غير هذه له أبيات إن دلت على شيء فإنما تدل على تضلعه و توغله  
في صنوف المجون و الهزل و الأدب. فالمرجّم له في الواقع كان أستاذاً لمدرسة  
مصر في شعر الهزل و المجون؛ و قد سار على نهجه كثير من الشعراء في هذا  
العصر الذي عاش فيه أبو الرقعمق؛ عاش عدة شعراء مثّلوا في مصر جماعة  
أبي نؤاس في العراق. فكان هؤلاء الشعراء يجتمعون و ينشدون أشعارهم و  
يتبارون في النشيد و هم يصفقون ويلهون. فجماعة كانت تضمّ صالح بن  
رشدین و عبد الله بن أبي الجوع و محمد بن الحسن اليميني و الحسن بن محمد  
الشهواجي و صالح بن علي بن مونس و ابن أبي الزّلازل و أبا تميم سليمان بن  
جعفر و أحمد بن عبد الله بن أبي العصام و غيرهم من شعراء المجون في ذلك  
العصر. و كانت هذه الجماعة على صفاء أحياناً، و في خصام أحياناً أخرى. و  
كان أكثر هؤلاء الشعراء يتغزلون في صالح بن رشدین<sup>٢</sup> أحد أئمة الكتاب في

١. يتيمة الدهر ٣٢١/١.

٢. أبو علي صالح بن رشدین الكاتب، أحد أئمة الكتاب، المهرة في سائر الآداب، صجّب المستنبي و روى شعره.

وكان جيّد المعاني و يُعتبر من شعراء القرن الرابع الهجري. يتيمة الدهر ٣٩٩/١.

الديوان، و كان شاعراً بارعاً جيّد المعاني.

فهؤلاء الشعراء و المترجم له كانوا ندوة تجري بينهم مطارقات شعرية، يقصّون ويلهّون و يدعو بعضهم بعضاً على الشراب و الخمر و القصف و الغناء و يتهاذون الجوّاري. و قد أبقى التاريخ لنا شعراً كثيراً لهؤلاء في هذا الباب. حضر الشاعر حفلات الفاطمية و أعيادها؛ و وصفهم بمدحه؛ و أشاد بذكر «الغدير» في قصائده و مدح الخليفة الفاطمي الإمام العزيز بالله بقصائده؛ منها قوله:

حيّ الخيام فإني	مغري بأهل الخيام
بالراميات فؤادي	بصائبات السهام
أسقمني و تألّمني	ن لأشفين سقامي
أيّام وصلي حرام	والهجر غير حرام
لا عذب الله قلبي	إلا بسطول الغرام
سقياً لدهر تولى	بشرقي و غرامي
كأنما ذلك العبد	شك كان في الأحلام
لم يسبق من نرتجيه	لحادث الأيام
إلا ابن أحمد ذو الطو	ل و الأيادي الجسام
كفاه أغدق جوداً	من واكفات الغمام
يلقي العفاة بوجه	مستبشر بسّام
معظماً نرتجيه	للنائبات العظام
يرمي الخطوب برأي	أمضى من الصمصام
قرم له عزّات	تفلّ حدّ الحسام

## و قوله أيضاً من قصيدة:

لم يدع للعزیز فی سائر الأر	ض عدواً إلا وأخذ نازة
فلهذا اجتباه دون سواءه	و اصطفاه لنفسه و اختاره
لم تشيّد له الوزارة مجدداً	لا و لا قيل رفعت مقداره
بل كساها و قد تخرمها الده	ر جلالاً و بهجة و نضارة
كل يوم له على نوب الده	ر و كثر الخطوب بالبذل غارة
ذوید شأنها الفرار من البخ	ل و فی حومة الوغى كرامة
هي فلت عن العزيز عداه	بالعطايا و كثرت أنصارة
هكذا كل فاضل يده ثم	سي و تضحي نفاعه ضرارة
فاستجره فليس يأمن إلا	من تفتياً بظله و استجاره
فإذا ما رأيتَه مطرقاً يع	مل فيما يريدُه أفكاره
لم يدع بالذكاء و الذهن شيئاً	في ضمير الغيوب إلا أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا	كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطة و كفاه	خوفه من زمانه و حذاره <sup>١</sup>

قال أبو الرقعمق: كان لي إخوان أربعة، و كنت أنادهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدى؛ فجاءني رسولهم في يوم بارد و ليست لي كسوة تحصني من البرد؛ فقال: إخوانك يقرؤون عليك السلام و يقولون لك: قد اصطبحنا اليوم و ذبحنا شاة سمينة، فاشتد علينا ما نطبخ لك منها! قال: فكتبت إليهم:

إخواننا قصدوا الصبح بسحرة	فأتى رسولهم إليّ خصوصاً
قالوا: اقترح شيئاً نجعلك طبخه!	قلت: اطبخوا لي جبّة و قيصاً!



قال: فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد و معه أربع خلع و  
أربع صدر في كلّ صرة عشرة دنائير. فلبست إحدى الخلع و سرت إليهم<sup>١</sup>.  
و من شعره :

أظنُّ و دادها من غير نيّة	و هل هي فيه إلّا مدّعيّة؟
فتاة لا تمّل عذاب قلبي	و لا تخلّيه و قتاً من أذيّة
و لا ذنب له إلّا التّوافي	لمن في الحبّ ليست بالوفيّة
و يعجّبي التّمنّع و التّشاجي	من الخود الممنعة الشّجيّة
فوا أسفاً على حرّ يعزّي	أخا رزء على عظم الرزيّة
و ذلك أن ايري فيه رطل	و ما في حرها إلّا وقية
و من بعث المدام فليس بد	و لا تك غير بكر بابلية
فثم هناك حر شافعي	عظيم الشأن، وأسّ مالكية
و نفسي غير مائلة إليها	لأحوال مقبّحة بذية
أحب دنوّها و تحبّ قري	و هذا لا يكون بلا بليّة...
و لا ألوى على أحد يراني	بعين النقص و الحال الدنية
و لكنّي أقول بمدح قوم	تفرّد بالعلا دون البريّة
و من نال العلا حجاً و مجداً	و أفعالاً مهذبّة سنية
تشابه خلقه و الخلق حسناً	و حسبك بالنفاسة و السّجيّة
تشاهد منه طوداً مشمخراً	و أفعال الملوك الكسروية
له الأقلام كيف يشاء تجري	بتأييد القضاء و بالمشية
كأنّ اللفظ في القرطاس زهر	تفتح عن معانٍ معنوية <sup>٢</sup>

و من شعره قوله :

١. معاهد التنصيص ٢٢٥/١.

٢. يتيمة الدهر ٣١٣/١ - ٣١٤.

كُنِّي ملامك يا ذات الملام  
كأَنِّي و جنود الصفع تتبعني  
قَسِيْسُ دِير تَلا مَزمَارَه سَحْرًا  
و قد مجنت و علّمت المجون فما  
و ذاك أَنِي رأيت العقل مطرحاً  
إِنِّي سأدخل عذالي على عدل  
أفدي الذين نأوا و الدار دانية  
كم قد نتفت سبالي في صدورهم  
سقياً و رعيّاً لأَيّام لنا سلّفت  
إِذ لا أروح و لا أغدو إلى وطن  
أَيّام أسحب أذيال الهوى مرحاً  
عوّضت منهنّ أحزاناً تؤرّقني  
لو لا عذار تعالى كيف صوره  
كأنّه مشقة مِن خدّ مَنْ شقيت  
لما حللت بدار مالها أحد  
يا من غدت أوجه الأَيّام مشرقة  
مالي بلا سبب غودرت مطرحاً؟  
ولي مدائح قدماً فيك سائرة  
فما أريد بديلاً بالرقاعات  
و قد تلوتُ مزامير الرطانات  
على القسوس بترجيع و رنات  
أُدعى بشيء سوى ربّ المجانات  
فجئت أهل زماني بالحماقات  
في الحبّ إن عدلوني في الحرامات  
و شتتوا بالجفا شمل المودات  
و الصد أصعب من نتف السبالات!  
بالقفص قصّرها طيب اللذات!  
إلا إلى رَبّنع خمار و حانات  
مصرّعاً بين سكرات و نشوات  
بعد السرور و فرحات بترحات  
ربّ العباد لتعذبي و حسراتي  
روحني بهجرانه أو عطف نونات  
إلا أناس تواصوا بالخساسة...  
بجوده مستهلّات منيرات  
و قد حرمت عطايك الجزيلات  
مستطرفات بألفاظ طريفات<sup>١</sup>

إلى غير هذا من أبيات و قصائد، و في أغلبها يذكر الإمام الفاطمي كلّما وسعه فنّه و مواهبه الشعرية؛ فهو لا يستطيع أن يغفل الخليفة، و ذلك لقوة الإمام و الخلافة الفاطمية إذ ذاك.

مات أبو الرقعمق في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان، و قيل: في

شهر ربيع الآخر سنة تسع و تسعين و ثلاثمائة (٣٩٩) بمصر.

#### مصادر ترجمته

آداب اللغة العربية ٢/٢٦٤. الأعلام ١/٢٠٢. شذرات الذهب ٣/١٥٥.  
الغدير ٤/١١١ - ١١٧. مرآة الجنان ٢/٤٥٢. معاهد التنصيص ١/٢٢٦. معجم  
المؤلفين ٢/٨٣. وفيات الأعيان ١/٤٢. يتيمة الدهر ١/٣١٠ - ٣٣٤.



مركز تحقیق و پژوهش در علوم اسلامی

## عبد المحسن الصوري

(٣٣٩ - ٥٤٩١ هـ)

عيونٌ منعن الرُّقَادَ العيونا  
فَكُنَّ المني لجميع الوري  
و قلبٌ تُقلِّبه الحادثات  
يصون هواه عن العالمين  
فسالي و كتمان داء الهوى  
و كان ابتداء الهوى بي مجنوناً  
و كنت أظن الهوى هيناً  
فلو كنت شاهد يوم الوداع  
فهل ترك البين من أرتجيه  
سوى حب آل نبي الهدى  
هم عدتي لوفاتي هم  
هم مورد الخوض للواردين  
هم عون من طلب الصالحات  
هم حجة الله في أرضه  
هم الناطقون هم الصادقون  
هم الوارثون علوم النبي  
حققت عليهم حقوداً مضت  
جحدتم موالاة مولاكم  
و أنتم بما قاله المصطفى  
و قلتم: رضينا بما قلته  
فأيكم كان أولى بها  
جعلن لكل فؤاد فنونا  
و كن لمن رامهن المنونا  
على ما تشاء شمالاً يميناً  
و مدمعه يستذل المصونا  
و قد كان ما خفته أن يكوناً؟  
فلما تمكّن أمسى جنونا  
فلاقيت منه عذاباً مهيناً  
رأيت جفوناً تناجي جفونا  
من الأولين والآخرين؟  
فحبهم أمل الأملينا  
نجاتي هم الفوز للفائزين  
و هم عروة الله للوائقين  
فكن بحبهم مستعينا!  
و إن جحد الحجة الجاحدون  
و أنتم بتكذيبهم كاذبون  
فما بالكم لهم و ارثونا؟  
و أنتم بأسيا فهم مسلمونا  
و «يوم الغدير» لها مؤمنونا  
و ما نص من فضله عارفونا  
و قالت نفوسكم: ما رضينا  
و أثبت أمراً من الطيبين؟

وأيكم كان بعد النبي  
وأيكم نام في فرشه  
ومن شارك الظهر في طائر  
لحى الله قوماً رأوا رُشدكم  
وصياً ومن كان فيكم أمينا؟  
وأنتم لمهجته طالبونا؟  
وأنتم بذاك له شاهدونا؟  
مبيناً فضلوا ضلالاً مبيناً! ١

و قال في يوم عاشوراء يمدح الإمام الحاكم بأمر الله الفاطمي:

خلا طرفه بالسقم دوني يلزمه  
فأصبح بي ما لست أدري أمثله  
لئن كان أخفى الصدر صدأ من الجوى  
ولم تخفه إن الهوى خفَّ حملة  
و ياربَّ ليل قصر الذكر طولَه  
وما نمت فيه غير أن لو سألتني  
ولكنه ألقى على الصبح لونه  
كما جاء يوم في المحرم واحد  
طغت عبدُ شمس فاستقلَّ محلَقاً  
فمن مبلغ عني أمية أنني  
مضت أعصر معوجةً باعوجاجكم  
وجدد عهد المصطفى بعض أهله  
فيا أيها الباكون مصرعَ جدّه  
ألا أيها الشكلى التي من دموعها  
لقد خسر الدارين من صدَّ وجهه  
إلى أن رمى سهماً فصرت أساهمة  
بجفنيه أم لا يعدل السقم قاسمة؟  
ففي العين عنواناته و تراجمه  
ولكن لأنَّ النوم ليس يلايمة  
فما طلعت حتى تجلَّت غمامة  
عن الشغل عنه قلت ما قال نائمة  
فوالاه يوم شاحب الوجه ساهمة  
خبا نوره لما استحلَّت محارمة  
إلى الشمس من طغيانها متراكمة  
هتفت بما قد كنت عنها أكاثمة؟  
فلا تنكروا إن قوِّم الدهر قايمة  
وحكم في الدين الحنيفي حاكمة  
دعوا جدّه تبكي عليه صوارمة!  
إذا هي حيَّت من قتيل جماجمة!  
فلا أنت مُبقيه ولا الله راحمة

١. ديوان الصوري / ٧٢، ٩٢، ١١٢ نسخة خطية في مكتبتني. أعيان الشيعة ٥٦/٣٩، ٥٧. الغدير

حريصاً على نار الجحيم كأنه  
إلى من تراه فَوْض الأمر غيركم  
فيا لك منها دولة علوية  
يخاف على أبوابها من يُزاحمة  
إذا أنتم أركانها و دعائمه  
تبدت بسعد «حاكم» الدهر خاتمه<sup>١</sup>

وله في عيد الغدير:

ولاؤك خير ما تحت الضمير  
وها أنا بتُّ أخس منه ناراً  
أبا حسن! تبين غدر قوم  
وقد قام النبيُّ بهم خطيباً  
أشار إليه فيه بكل معنى  
فكم من حاضر فيهم بقلب  
طوى «يوم الغدير» لهم حقوداً  
فيا لك منه يوماً جرّ قوماً  
لأمرٍ سؤلته لهم نفوس  
ولست من الكثير فيطمئنوا  
وأنفس ما تمكّن في الصدور  
أمت بحرّها نار السعير  
لعهد الله من عهد «الغدير»  
فدلّ المؤمنين على الأمير  
بسنوه على مخالفة المشير  
يخالفه على ذاك الحضور  
أنال بنشرها يوم الغدير  
إلى يوم عبوسٍ قطير  
وغيرتهم به دار الغرور  
بأن الله يعفو عن كثير<sup>٢</sup>

الشاعر

أبو محمد عبد المحسن بن أحمد بن غالب [ طالب ] بن غلبون الصوري

٣٣٩ - ٤١٩ هـ.

في طليعة شعراء القرن الرابع الهجري و نوابع رجالاته؛ وقد مدّ له  
البقاء إلى أوليات القرن الخامس الهجري و أحد المحسنين المجيدين في الشعر و  
بديع الألفاظ و حسن المعاني و رائق الكلام و مليح النظام؛ و يُعدُّ بحق من

محاسن أهل الشام. و الأسف أن كلام بعض المؤرخين و المترجمين عنه قصير جداً؛ لأنه كان في الواقع من شعراء أهل البيت المجاهرين، حتى أنك لم تجد له ترجمة ضافية و دراسة وافية تجمع كافة نواحي حياته الفردية و الاجتماعية و الأدبية؛ مع أن هناك شذرات و مقتطفات في بعض المراجع و حكايات و روايات و أخبار لا تعتمد عليها و لا تعطينا فكرة صحيحة عنه. و هذا ربما يرجع إلى نفس الشاعر، فقد جاء: أن المترجم له كان يرجح الانزواء دائماً في حياته الاجتماعية، و يميل إلى العزلة و الانفراد و قلّة الخروج من مدينة صور إلى غيرها من البلدان. و لهذا قلّ العارفون به و الواقفون على أحواله و شخصيته.

و الذي يظهر من شعر المترجم له، أن الفقر و الإعدام كانا غالبين عليه، و كان له أخ غني و لكنّه كان شديد الجفاء و الشقاء له، و قد هجاه المترجم له عدة مرّات بقصائد؛ منها قوله من قصيدة بعد أن زار أخاه في بيته و وقع بينهما ما يسوءه و يوجعه:

مركز تحقيق المخطوطات و المخطوطات

و أخ مسّه نزولي عليه	مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي إنه جواد كريم	و الفتى يعتريه بخل و شح
بتّ ضيفاً له كما حكم الدهر	رُ و في حكمه على المرء قبح
فابتداني و قال و هو من السك	رة و الهّم طافح ليس يصحو:
لم تغرّبت؟ قلت: قال رسول الـ	له و القول منه نصيح و نجح:
«سافروا تغنموا» فقال: و قد قا	ل تمام الحديث: «صوموا تصحّوا» <sup>١</sup>

و لم يخرج الشاعر من الديار الشامية طوال حياته إلّا نادراً؛ و ذلك في أوائل شبابه إذ خرج إلى دمشق و فلسطين؛ هذا و يكثر ذكر صيداء و طبريه و

الرَّمْلَةُ في شعره؛ و الرملة يومئذ مُعسكرٌ ينزله قادة الفاطميين و نوابهم. و قد اتَّصل بخلفاء الفاطمية و حكامها و أمرائها و مدحهم بشعره و تعصَّب لهم، و نصر دعوتهم. و هذا يدلُّ على أنَّ الفاطميين جذبوا كثيراً من أعلام الفنون و الأدب و الفلسفة.

و قد لامه و عاتبه على هذه العزلة و الانزواء أكثر أصدقاءه من الشعراء، مع العلم أن كثرة الدواعي التي توجب خروجه من بلده الصور، و من جملة أن مصر يومئذ بلد الفاطميين و هو يكثر من مدحهم و يتعصب لهم و ينصر دعوتهم. و من هذه الأسباب و الدواعي أن مصر أيام الفاطميين اجتذبت إليها كثيراً من أعلام الشعر و الآداب و الفلسفة؛ غير أن الفاقة و سوء تأثيرها على حياته هي التي أقعدته عن الأسفار و التنقُّل في البلاد، و هو القائل:

حصلت بمصر همتي و استوطنت و أفادني عذمي سواها موطناً

يعني إنَّ هواي جعل مصر لي موطناً، و لكن قلَّة ذات يدي أكرهتني على الإقامة في بلد آخر. فكان قليل الأسفار حتى في إبان شبابه. أما بعد تقدُّمه في السن فقد لزم صور، لزمها و هو في سنِّ السبعين إلى أن توفِّي فيها سنة ٤١٩ هـ. و عمره ثمانون سنة أو أكثر.

و لهذا الغرض من إقامته في صور و عدم خروجه منها، كتب إليه الشاعر المقلِّق أحمد بن سليمان الفجري هذه الأبيات:

أعبد المحسن الصوري، لم قد	جئنت جثوم منهاض كسير؟
فإن قلت: العباله أقعدتني	على مضض و عافت عن مسيري،
فهذا البحر يحمل هضب رضوى	و يستثني بركن من ثبير
و إن حاولت سير البر يوماً	فلست بمثقل ظهر البعير



إذا استحلّ أخوك قلاك يوماً  
فمثل أخيك موجود النظير  
تحرّك عـلّ أن تلقى كريماً  
تزول بقربه إحن الصدور  
فاكل البریئة من تراه  
ولا كسل البلاد بلاد صور

فأجابه الشاعر عبدالمحسن بقوله :

جزاك الله عن ذا النصع خيراً  
و لكن جاء في الزّمن الأخير  
وقد حدثت لي السبعون حدّاً  
نهی عما أمرت من المسير  
ومذ صارت نفوس الناس حولي  
قصاراً عذت بالأمل القصير<sup>١</sup>

و من شعره :

أنست بوحدي حتى لواني  
رأيت الأنس لاستوحشت منه  
ولم تدع التجارب لي صديقاً  
أميل إليه إلا ملت عنه<sup>٢</sup>

و أعطاه بعضُ الأمراء عمامةً حسنة فلبسها أياماً؛ ثم باعها، و لبس  
عمامة لطيفة و مشى؛ فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها؛ فقال  
ارتجالاً:

قالوا عسى ثقلت عليه  
له فباعها من غير عدم  
و الله ما ثقلت عليّ  
عمامتي بل خفّ كمي<sup>٣</sup>

و الصوريُّ في عصره كان يُعدّ من شيوخ الأدب، فهو شيخ المعري لأن  
المعري عاش بعده ثلاثين عاماً، و التقيا بالشام في مكان ما؛ و لكن لا يُعلم أنّه

١. يتيمة الدهر ٣٠٩/١. أعيان الشيعة ٥٣/٣٩. الفدير ٢٣٠/٤.

٢. أعيان الشيعة ٥٥/٣٩.

٣. يتيمة الدهر ٢٩٦/١.

كان ذلك قبل رحلة المعري إلى بغداد أم بعد ذلك. و مهما يكن من شيء فالعلاقة بين الشاعرين لم تكن وثيقة قبل تلمذه على يديه، مع أنها متعاصران ينتميان إلى وطن واحد و هو الشام. و ربما كان ذلك لمكان الإختلاف بينهما في الرأي و العقيدة و الخلق و المذهب. و لكن في ديوان المترجم له أبيات تدلُّ دلالة صريحة على وقوع الاجتماع بين الشاعرين. و كما يعلم أن المجلس الذي ضمَّهما كان مجلس محاورة أو مناظرة بين الرجلين. أما أين كان اجتماعهما فلم يُعلم من ذلك شيء.

فقد قال الصوري: إنَّ المعريَّ وافقه على القول بالبعث و اليقين و بالآخرة، و أنَّه لايميل إلى آراء الملاحدة. قال المترجم :

نجا المعريُّ من العارِ      و من شناعاتِ و أخبارِ  
وافقني أمس على أنه      يسقول بالجنة و النارِ  
و أنَّه لاعاد من بعدها      يصبو إلى مذهب بكَّارِ<sup>١</sup>

و قد مدح المترجم خلفاء عصره من الفاطميين، و تأثر بعقائدهم حتى عدَّ من شعراء أهل البيت المهاجرين، لما تطفح على شعره و شعوره نزعته الطائفية و تعصبه للبيت النبوي و جاهر في مدح العترة الطاهرة بقصائده، منها قوله من قصيدة مطلعها:

نكثت معرفتي لما حكم      حاكم الحبِّ عليها لي بدم  
فبدت من ناظرها نظرة      أدخلتها في دمي تحت التَّهم  
و تمكَّنت فأضنيت ضئيَّ      كان بي منها وأسقمت سقم  
و صبت بعد اجتناب صفوة      بدلت من قولها: لا، بنعم

١. ديوان الصوري / ٩٦ نسخة خطية بمكتبتي. أعيان الشيعة ٥٣/٣٩. و كلمة «بكَّار» في البيت الثالث أضنها تصحيف، و إن كانت النسخ الخطية كلها هكذا، إذ لا معنى لها. و الأصحُّ عندي «بشار» و هو اسم الشاعر الأعمى المشهور الممدود من الملاحدة.

و فقدتُ الوجد فيها والأسى  
ما لعيني وفؤادي كلما  
طال بي خلفها فاتفتت  
ورزايا المصطفى في أهله  
يا بني الزهراء ما ذا إكتست  
يا طوفاً طاف طوفان به  
أيُّ عهد يُرتجى الحفظ له  
لا تسليت وأنوار لكم  
ركبوا بحر ضلال سلموا  
ثم صارت سنة جارية  
وعجيب إن حقاً بكم  
والولا فهو لمن كان على  
وأبيكم والذي وصي به  
لقد احتج على أمته

فتألمت لفقدان الأمل  
كتمت باح، وإن باحت كتم؟  
لي هموم في الرزايا وهم  
فاتحات للرزايا وختم  
فيكم الأيام من عتب وذم؟  
وحطيماً بقنا الخط حطم  
بعد عهد الله فيكم والذم  
غشيتها من بني حرب ظلم  
فيه والإسلام فيهم ما سلم  
كل من أمكنه الظلم ظلم  
قام في الناس وفيكم لم يقم  
قول عبد المحسن الصوري قسم  
لأبيكم جدكم في «يوم ختم»  
بالذي نالكم باقي الأمل<sup>١</sup>

و قال في مدح الإمام العزيز بالله الفاطمي :

جفن على شوك القتادة مطبق  
ويكون كالظن البعيد لعاندي  
أطبق كتمان الصباية من له  
وكأنمادم قلبه من عينه  
و كأن وجنته حنينة عاكف  
الحق سرائرك التي أركبتها

وجوى إلى حيث الكنانة يسبق  
كمدي فما ينفك أو يتحقق  
في كل جارحة لسان ينطق؟  
نار يطير لها شرار محرق  
والدمع قنديل عليه معلق  
خيل الدموع فإنها لا تلحق<sup>٢</sup>

و له راثياً شيخ الطائفة المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المتوفى

١. أعيان الشيعة ٥٦/٣٩. الغدير ٢٢٤/٤.

٢. أعيان الشيعة ٥٥/٣٩. ديوان الصوري ١٣٤/ (خ).

٤١٣ هـ . و أولها قوله :

ياله طارقاً من الحدثان	ألقى ابن النعمان بالنعمان
برئت ذمة المنون من الإيد	مان لما اعتدت على الإيمان
واستحلّ الوري محارم دين الـ	له ويل الوري من الديان
و أرى الناس حيث حلّوا من الأر	ض و حيث انتحوا من الأوطان
يطلب المفيد بعدك والأسـ	ماء تمضي فكيف تبقى المعاني
فجعة أصبحت تبلى أهل الشـ	ام صوت العويل من بغداد <sup>١</sup>

و قوله في صبي اسمه عمر :

نادمني من وجهه روضة	مشرقة يرح فيه النّظر
فانظر معي تنظر إلى معجز	سيف علي <sup>٢</sup> بين جفني عمر <sup>٢</sup>

و قال :

بألذي ألهم تعذيبي	ثناياك العذابا
وألذي ألبس خدّ	يك من الورد نقابا
وألذي أودع في فيك	من الشهد شرابا
وألذي صير حظي	منك هجراً واجتنابا
ما ألذي قالته عينا	ك لقلبي فأجابا
وألذي قالته للدمع	فوارها انصبابا
يا غزالاً صاد بالـ	حظ لقلبي فأصابا

١. أعيان الشيعة ٥٧/٣٩ و ٢٥/٤٦.

٢. يتيمة الدهر ٢٩٨/١. القدير ٢٢٥/٤.

عُمرَكَ اللهُ بصبٍّ لا يُرى إلا مصاباً<sup>١</sup>

و قال يهجو :

حديثه كالحديث      يرفث كل الرفث  
يودّ من يسمعه      لوأنه في جدث<sup>٢</sup>

مات عبدالمحسن الصوري يوم الأحد تاسع شوال سنة ٤١٩ هـ . و خلفه  
على شاعريته و عبقريته و أدبه، ولده عبد المنعم الصوري.

#### مصادر ترجمته

الأعلام ٢٩٥/٤. أعيان الشيعة ٥٢/٣٩ - ٥٩. أمل الآمل ١١٤/١.  
البداية و النهاية ٢٥/١٢. خريدة القصر؛ قسم شعراء الشام ٨/١. شذرات  
الذهب ٢١١/٣. العبر في خبر من غبر ٢٣٧/٢. الغدير ٢٢٢/٤ - ٢٣١. الفوائد  
الرضوية ٢٥٧/. الكامل في التاريخ ٣٣٤/٧. الكنى و الألقاب ٤٣٠/٢. معالم  
العلماء ١٣٩/. مرآة الجنان ٣٤/٣. معجم البلدان ٨٦٩/١. معجم المؤلفين  
١٧٣/٦. النجوم الزاهرة ٢٦٩/٤. وفيات الأعيان ٣٠٨/١. يتيمة الدهر  
٢٩٦/١ - ٣٠٩.

١. يتيمة الدهر ٢٩٧/١. الغدير ٢٢٩/٤.

٢. يتيمة الدهر ٣٠٢/١.

## محمّد الصوري

(٣٧٦ - ٥٤٤١هـ)

ثم رقا علوه إلى الهبل      لماله خير النبيين حمل  
فحطه وصار بالأقدام      يداس طول الدهر والأيام  
وأسلم الناس على ضروب      واختلط الصادق بالكذوب  
وكلهم جاءوه لما سلموا      واستلمسوا لأمره و سلموا  
وبعد ذا وقائع مذكورة      معروفة بين الوري مشهورة  
فأنزل الله على نبيه      أن يظهر النص على وصيه  
فخاف من أصحابه لعلمه      بكيدهم و ما تووا من ظلمه  
وقيل لا تشرك فإن أشركت      ليحبطن الله كل ما عملت  
فقم وبلغ لا تخف فرحمتي      تنالك اليوم و كن في عصمتي  
فقام في يوم «غدير خم»      وقال: حكم الله غير حكم  
من كنت مولاه فذا مولاه      فوال - يا رب - الذي والاه  
فمن له وال فقد والاك      حقاً و من عاداه قد عاداك  
يارب، قد بلغت ما أمرتني      فاشهد و عجل ما به أمرتني!

## الشاعر

هو الداعي الإسماعيلي الأجل أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله بن محمد أبو عبدالله الصوري الحافظ؛ ولد بصور سنة ست و سبعين و ثلثمائة (٣٧٦) و نشأ بها و هي السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نزار على مصر، و أخذ في طلب الحديث بعد ما كبر و أسن و رحل في طلبه إلى الآفاق و الأمصار الإسلامية و كتب الكثير و صنف و انتهى به المطاف إلى مصر؛ فلزم مجلس

١. العقيدة الصورية ط / ٦٥. لم يذكره مؤلف كتاب «الفدير» كما لم نجده في «أمل الآمل».

الحافظ عبدالغني المصري<sup>١</sup> وكتب تقريراته و محاضره و شيئاً من تصانيفه، و قرأ عليه ما كان قد وجده و حرّره قبل أن يجتمع بالحافظ عبدالغني؛ و عنده توصل إلى العقيدة الفاطمية، و اتصل بالبلاط شيئاً فشيئاً. وزادت وشائج الحبّ و العلاقة بينه و بين قادة الركب الأدبي الفاطمي، بعد أن لوحظ فيه التفوّق و النبوغ الشعري، إلى جانب مكانته العلمية و أطلاعه الواسع في الحديث و الفقه.

كان المترجم له من أعظم أهل الحديث؛ همّه في الطلب و هو شاب، ثمّ كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمة في حال كبره. و كان يسرد الصّوم إلا يومي العيدين و أيام التشريق. و كان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة؛ و قد ذهبت إحدى عينيه، و كان يكتب بالأخرى المجلد في جزء. قال ابوالحسن الطيوري: يقال أن عامّة كتب الخطيب البغدادي<sup>٢</sup> سوى التاريخ مستفادة من كتب أبي عبدالله الصوري، كان قد مات الصوري و ترك كتبه اثني عشر عدلاً عند أخيه؛ فلما صار الخطيب أعطى أخاه شيئاً و أخذ بعض

مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة

١. أبو محمد عبدالغني بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبدالعزيز بن مروان الأزدي المصري ٣٣٢-٤٠٩ هـ.

محدث، حافظ، نشابة؛ و رحل إلى الشام و سمع الكثير، و انتفع به خلق غفير. له تصانيف منها: المؤتلف و المختلف في أسماء الرواة، مشبه النسبة، المتوارين (ذكر فيه من هرب من الحجاج و توارى عنه). الغوامض، آداب المحدثين.

البداية و النهاية ٧/١٢. حسن المحاضرة ١/١٩٩. شذرات الذهب ٣/١٨٨. معجم المؤلفين ٥/٢٧٣. طبقات الحفاظ ١١/٤١١. النجوم الزاهرة ٤/٢٤٤. وفيات الأعيان ١/٣٨٤.

٢. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ٣٩٢-٤٦٣ هـ.

محدث الشام و العراق؛ من كبار الشافعية، آخر الأعيان معرفة و حفظاً و إتقاناً و ضبطاً للحديث، و تفننا في علله و أسانيده. من تصانيفه: تاريخ بغداد، السابق و اللاحق، الكفاية، الرواة عن المالك، أسماء المدلسين، الجامع، شرف أصحاب الحديث، الموضح، تلخيص المشابه.

البداية و النهاية ١٢/١٠١. شذرات الذهب ٣/٣١١. طبقات السبكي ٤/٢٩. العبر ٣/٢٥٣. طبقات الحفاظ ٤/٤٣٤. مرآة الجنان ٣/٨٧. المنتظم ٨/٢٦٥. النجوم الزاهرة ٥/٨٧. وفيات الأعيان ١/٢٧.

تلك الكتب فحوّٰها في كتبه<sup>١</sup>.

لقد حبّب إلى نفسه الولاء الفاطمي و آمن و اعتنق، و دافع و هاجر بدعوتهم لاعتباره جزءاً من عقيدته. و بعد أن توفّي شيخه سنة ٤٠٩ هـ. رحل و واصل سيره في طلب الحديث، و خرج من مصر و هو على غير النهج الذي دخله؛ فكلّه مشرب بالإيمان و الحبّ للفاطميين، و لم يفتأ لسانه يلهج بهم. و عاد إلى مسقط رأسه (صور) فمكث بها ردحاً من الزّمن و وضع فيها عدّة قصائد و منظومات، تناول فيها شرح عقائد الفاطميين و بيان أهدافهم و نظمهم الدينية و الاجتماعية و الفردية و أخير احتفالاتهم و أعيادهم المذهبية. ثم رحل إلى بغداد سنة ٤١٨ هـ. و مكث بها إلى أن توفي سنة ٤٤١ هـ. و كان سبب موته أنه افتصد فورمت يده؛ و على ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره فغلط فقصده بها فكانت فيها منيته.

و قد ترجم له أصحاب المعاجم و السير، و ذكروه بالثناء و التعظيم؛ و أنّه كان إماماً صحيح النقل، دقيق الخط، صائماً لا يفطر إلّا في العيدين و أيام التشريق. و كان حسن المحاضرة<sup>٢</sup> و أنّه كان من أحرص الناس على الحديث، و أكثر كتباً له و أحسنهم معرفة به؛ و لم يقدم بغداد من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث.<sup>٣</sup> و قال أبو الحسين ابن الطّيوري<sup>٤</sup>: ما رأيت أحفظ من

١. البداية و النهاية ٦٠/١٢.

٢. النجوم الزاهرة ٤٨/٥.

٣. تاريخ الخطيب البغدادي ١٠٣/٣.

٤. أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبد الله بن طيور البغدادي الصيرفي ٤١١-٥٥٠ هـ.

عالم، محدث، شيخ مشهور مكثراً، أثنى عليه أئمة الحديث، و أنّه محدث كبير مفيد ورع؛ رافق الصوري و استفاد منه، و جمع و خرج؛ و كان مكثراً صالحاً أميناً صدوقاً، صحيح الاصول صيناً و قوراً كثير الكتابة.



الصوري، و كان بفرد عين، و كان متفنناً يعرف من كل علم، و قوله حجة و عنه أخذ الخطيب (البغدادي) علم الحديث و له شعر رائع...<sup>١</sup> إلى غير هذه من الكلمات التي إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على علمه الجَمِّ، و غزارة نبوغه الأدبي و تفوّقه العام في الحديث.

و من شعره قوله :

تولّى الشَّبَابُ برِيعانه	و اتى المشيبُ [؟] بأحزانه
فقلبي لفقدان ذا مؤلم	كئيب لهذا و وجدانه
و إن كان ماجار في حكمه	و لاجاء في غير إتيانه
ولكن أتى مؤذناً بالرحمة	ل فويلي من قُرب إيذانه!
و لولا ذنوبٌ تحمّلتها	لما راعني [.... ؟] إتيانه
ولكنّ ظهري ثقيل بما	جنّاه شبّابي بطغيانه
فمن كان يبكي شبّاباً مضى	و يندب طيب زمانه <sup>٢</sup> ؟
فليس بكائي و ما قد تَرى	ون مني لوحشة فقدانه
و لكن لما كان قد جرّه	عليّ بوثبات شيطانه
فويلي و ويحيى إن لم يجد	عليّ مليكي برضوانه
و لم يستغمد ذنوبي و ما قد	جنيت برحمته و غفرانه [؟]
و يجعل مصيري إلى جنّة	يحلّ بها أهلُ رضوانه
فإن كنت مالي من طاعة	سوى حُسن ظني بإحسانه

←

العبر في خبر من خبر ٢/ ٣٨٥. شذرات الذهب ٣/ ٤١٢. الكامل في التاريخ ٨/ ٢٤٥. لسان الميزان ٥/ ٩.

ميزان الاعتدال ٣/ ٥. معجم المؤلفين ٨/ ١٧٢. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٣-٢١٦.

١. شذرات الذهب ٣/ ٢٦٧.

٢. كذا في المصدر و لعلّه : و يندب طيب أزماته.

وإني مقرّ بتوحيده  
أخالف في ذاك أهل الهوى  
وأرجو به الفوز في منزل  
ولن يجمع الله أهل الجحوى  
فهذا يُنَجِّيه إيمانه  
وهذا ينعم في جنة  
وعليم بعزة سلطانه  
وأهل الفسوق وعدوانه  
معدّ مهياً لسكانه  
دومن [...] أقرّ بنيرانه  
وهذا يَبْوءُ بخسرانه  
وذاك قرين لشیطانه<sup>١</sup>

و قال أيضاً :

قل لمن عاند الحديث وأضحى  
أبعلم تقول هذا ابن لي  
أيعاب الذين هم حفظوا الد  
وإلى قوهم وما قد رووه  
عائياً أهله ومن يدّعيه  
أم بجهل؟ فالجهل خلق السفه  
بين من الترهات والتمويه؟  
راجع كل عالم وفقه<sup>٢</sup>

قال الخطيب البغدادي : ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث؛ وكان دقيق الخط صحيح النقل؛ وحدثني أنه كان يكتب في وجه ورقة من أثمان الكاغد الخراساني ثمانين سطراً؛ وكان مع كثرة طلبه وكتبه صعب المذهب فيما يسمعه، ربما كرّر قراءة الحديث الواحد على شيخه مرّات. كتب عن أبي الحسين بن جميع بصيدا، وهو أسند شيوخه، ثم صحب عبدالغني ابن سعيد المصري، فكتب عنه وعمّن بعده من المصريين وغيرهم؛ وذكر لي أيضاً أنّ عبد الغني بن سعيد كتب عنه أشياء في تصانيفه وصرّح باسمه في بعضها، وقال في بعضها: حدّثني الورد بن عليّ كناية عنه وكان صدوقاً<sup>٣</sup>.

١. البداية والنهاية ١٢/٦٠-٦١.

٢. المصدر السابق. تذكرة الحفاظ ٣/١١١٧.

٣. تاريخ الخطيب البغدادي ٣/١٠٢.

لقد صنّف المترجم له قصائد كثيرة و رسائل عديدة أشهرهم: التحفة الزاهرة، ونفحات الأئمة. ونظراً لأن صناعة الأراجيز في العهود الفاطمية شاعت و استعملت للدعاية و للتعبير عن المواضيع الفلسفية و التعاليم العقائدية، فقد نظم الشاعر قصيدته الصورية، و بحق جاءت تحفة نادرة ذات ترتيب بديع لا يختلف عن ترتيب الدعاة الإسماعلية الكبار. ففيها الافتتاحية بالحمد و الثناء ثم التجريد و التنزيه و التوحيد ثم التفريق بين الأحد و الواحد و حدوث العالم و الدهر، و الردُّ على الثنوية و الثالوثية و نكران حججهم. و بعد ذلك ينقل الصوري فيعدّد لنا مراتب الحدود العلوية و أسماؤها و أفعالها و تأثيراتها، و مطلعها قوله:

الحمد لله مُعِلُّ الْعِلَلِ      و مبدعِ العقل القديم الأزلِ  
أبدعه بأمره العظيم      بلا مثال كان في القديم  
و صيّر الأشياء في هويته      مجموعة بأسرها في قدرته  
فهو لها أصلٌ كريمٌ يجمع      فمنه تبدو وإليه ترجعُ  
سبحانه من مالك ديانٍ      العقلُ و النفسُ له عبدانِ  
جلٌّ عن الإدراك في الضمائر      و الوصف بالأعراض و الجواهرِ

و بعد ذكره لبحوث عقائدية على ضوء الجدل و المناقشة، فيذكر الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- و يعدّ مناقبه و مواقفه في الحروب؛ ثم يأتي على ذكر واقعة «غدير خم» فيقول :

ثم رقا علوه إلى الهبل      لما له خير النبيين حمل

و القصيدة تقع في ٩٣٧ بيتاً على النهج المذكور، و يختتمها بالدعاء للخلفاء الفاطميين، و تنتهي بالأبيات التالية:

و صلّ - یا ربّ - علی المختار      محمّد المخصوص بالأنوار  
و آله الأطهار سادات الوری      من نسل مولانا الإمام حیدرا  
صلّ علیه - ربّنا - وسلّم      ما غربت شمس و لیل أظلمّا

قام بطبعها المعهد الفرنسي بدمشق في سنة ۱۹۵۵م. و تقع في ۷۴  
صحيفة بتحقيق و تقديم الأستاذ العلامة عارف تامر.  
مات ببغداد في يوم الثلاثاء التاسع و العشرين من جمادى الآخرة سنة  
إحدى و أربعين و أربعمائة (۴۴۱ هـ). و دفن من الغد في مقبرة جامع المدينة؛ و  
قد نيف عن الستين.

#### مصادر ترجمته

البداية و النهاية ۶۰/۱۲. تاريخ بغداد ۱۰۳/۳. تذكرة الحفاظ ۱۱۱۴/۳.  
شذرات الذهب ۲۶۷/۳. طبقات الحفاظ ۴۲۸/۳. العبر ۱۹۷/۳. الكامل في  
التاريخ ۵۶۱/۹. معجم المؤلفين ۲۴/۱۱. النجوم الزاهرة ۴۸/۵.

## المؤيد داعي الدعاة

( حدود ٣٩٠ - ٤٧٠ هـ )

قال والرحل للسرى محمول: وعدا الهزل في القطيعة جداً  
قلت والقلب حسرة يتقلّ بأبي أنت ما اقتضى البين إلا  
كم وكم قلت: خلّني يا خليلي إنّما أمره لديك خفيف  
إنّك السالم الصحيح وإني قال: قد مرّ ذا فهل من مقام  
قال: إني لدى مرادك باقي قال: أضرمّت في الحشى نار شوق  
قلت: حسبي الذي لقيت هواناً فقبيح بي التصابي وهذا  
حقّ منك النوى وجدّ الرحيل ما كذا كان منك لي المأمول  
وعلى الخدّ دمع عيني يسيل: قدّر ثمّ عهدك المستحيل!  
من جفاء منه الجبال تزول؟ وهو ثقل على فؤادي ثقل  
- من غرام بك - الوقيذ العليل عندنا؟ قلت: ما إليه سبيل  
قلت: ما إن تفي بما قد تقول حرّ أنفاسها عليها دليل  
فلقاء الهوان عندي يهول عسكر الشيب فوق رأسي نزول

\*\*\*\*\*

إنّ أمر المعاد أكبر همّي كثر الخائضون بحر ظلام  
قال قوم: قصرى الجميع التلاشي وأدعى الآخرون نسخاً وفسخاً  
و أبسوا بعد هذه الدار داراً لم يروا بعدها مقام ثواب  
فالمثابون عندهم مترفوه قال قوم وهم ذوو العدد الج  
فاهتامي بماعداه فضول فيه والمؤنسو الضياء قليل  
فئة منتهاهم التّعطيل ولهم غير ذاك حشو طویل  
نحوها كلّ من يؤول يؤول وعقاب لهم إليه وصول  
ولذي الفاقة العذاب الوبيل هم: لنا الزنجبيل والسلسبيل

و لنا بعد هذه الدار دار  
ولكل من المقالات سوق  
ما لهم في قبيل عقل كلام  
أمة ضييع الأمانة فيها  
بنس ذاك الإنسان في زمر الإنس  
فهم التائهون في الأرض هلكاً  
نكسوا ويلهم ببابل جهراً  
منعوا صفو شربة من زلال  
ملكوا الدين كل انثى وخنثى  
لو أرادوا حقيقة الدين كانوا  
وأنت فيه آية النص: «بلغ»  
ذاكم المرتضى علي بحق  
ذاك برهان ربّه في البرايا  
فأطيعوا جحداً أولي الأمر منهم  
أهل بيت عليهم نزل الذك  
هم أمان من العمى وصراط  
وله من قصيدة أخرى :

ألا ما هذي السما لا تمور؟  
ولشمس ما كورت والنجوم  
وللأرض ليست بها رجفة  
وما للدماء لا تحاكي الدموع  
وما للجبال ترى لا تسير؟  
تضيئ وتحت الثرى لا تغور؟  
وما بالها لا تغور البحور؟  
فتجري لتبتل منها النحور؟

أتسبِقُ القلوبُ لنا لا تُشَقُّ  
 ليومٍ ببغداد ما مثله  
 وقد قام دجّالها أعورُ  
 فلا حَدْبُ منه لا ينسلون  
 يرومون آلَ نبيِّ الهدى  
 لتنهَبَ أنفُسُ أحيائهم  
 ومن نجل «صادق آل العبا»  
 فموسى يشقُّ له قبره  
 ويُسَعِّرُ بالنار منه حرِيمُ  
 وتُقتلُ شيعة آل الرسول  
 فوا حسرتاً لنفوسٍ تسيل  
 وما نقموا منهم غير أن  
 كما العذر في غدرهم بغضهم  
 فيا أُمَّةَ عاث فيها الشقاء  
 وشافعها خصمها في المعاد  
 قستلتم حسيناً لملك العراق  
 فما ذنب موسى الذي قد محت  
 وما وجه فعلكم ذا به  
 أيا شيعة الحق! طاب الممات  
 فإمّا حياة لنا في القصاص  
 أ آل المسبِّب، ما زلتم  
 ويا آل عوف، غيوث المحول  
 أ آل النهى والتدى والطعان  
 أصبراً على الخسف؟ لاهمكم  
 جوى و لو أن [؟] القلوب الصخور؟  
 عبوس يراه امرؤ قطيرُ  
 يحفُّ به من بني الزور عورُ  
 ولا بقعة ليس فيها نفيرُ  
 ليردى الصغيرُ ويفنى الكبيرُ  
 وتُنبش للميمّين القبورُ  
 ينال الذي لم ينله الكفورُ  
 ولما أقي حشره والنشورُ  
 حرام على زائريه السعيرُ  
 عتوا وتُهتك منهم ستورُ  
 ويا غمّتا لرؤوس تطيرُ  
 وصيّ النبيّ عليهم أميرُ  
 لمن فرض الحبّ فيه «الغدير»  
 فوجه نهار هداها قديرُ  
 لها الويل من ربّها والثبورُ  
 وقلتم أتاكم له يستثيرُ  
 معالمة في ثراه الدهورُ؟  
 لقد غرّكم بالإله الغرورُ  
 فيا قوم! قوموا سراعاً نثور!  
 وإما إلى حيث صاروا نصيرُ  
 عشيرَ الولاء فننعم العشيرُ  
 ليوثاً إذا كاع ليث هصورُ  
 وحزب الطلى حين حرّ الهجيرُ  
 دني ولا الباع منكم قصيرُ

أُتِهَتْكَ حَرَمَةُ آلِ النَّبِيِّ      وَ فِي الْأَرْضِ مِنْكُمْ صَبِيٌّ صَغِيرٌ؟  
وَقَبْرُ ابْنِ صَادِقِ آلِ الرَّسُولِ      يُمِسُّ بِسَوْءٍ وَأَنْتُمْ حُضُورٌ؟  
وَلَمَّا تَخَوَّضُوا بِحَارِ الرَّدَى      وَ فِي شَعْبِهِ تَنْجِدُوا أَوْ تَغُورُوا  
لَقَدْ كَانَ يَوْمُ الْحُسَيْنِ الْمُنَى      فَتُفْدَى نَفُوسٌ وَ تُشْفَى صُدُورٌ  
فَهَذَا لَكُمْ عَادِ يَوْمِ الْحُسَيْنِ      فَمَاذَا الْقُصُورُ؟ وَ مَاذَا الْفُتُورُ؟  
فَدُّوا الذِّرَاعَ وَ حَدُّوا الْقِرَاعَ!      فَيَوْمِ النِّوَاصِبِ مِنْكُمْ عَسِيرٌ  
وَوَلُّوا «ابْنَ دِمْنَةَ» أَعْمَالَهُ      تَبُورُ كَمَا الْمَكْرَمُ مِنْهُ يَبُورُ  
فَقَتْلًا بِقَتْلٍ وَ ثَكْلًا بِثَكْلٍ      ذَرُوهُ تَجَزُّ عَلَيْهِ الشُّعُورُ¹ ...

#### الشاعر

أبو نصر المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي  
السلماني (حدود ٣٩٠ - ٤٧٠ هـ) أُوْحِدِيٌّ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، وَ فَذٌّ مِنْ أَفْذَاذِ  
الْأُمَّةِ، وَ عَبْقَرِيٌّ مِنْ جَلَّةِ أَعْلَامِ الْعِلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَ نَابِغَةٌ مِنْ نَوَابِغِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ؛  
وَ لَهُ نَصِيبُهُ الْوَافِرُ مِنَ الْقَرِيضِ بِلُغَةِ الضَّادِ؛ وَ إِنْ وَلَدَ فِي قَاعَةِ الْفَرَسِ وَ نَشَأَ فِي  
مَهْدِهَا. وَ كَانَ مِنَ الدَّعَاةِ إِلَى الْفَاطِمِيَّةِ مِنْذُ بُلُغِ أَشُدِّهِ فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ حَلَّ بِهَا؛ وَ  
لَهُ فِي تِلْكَ الدَّعْوَةِ خُطُوبَاتٌ وَاسِعَةٌ. وَ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ بِقَوْلِهِ:  
وَ أَنَا شَيْخُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَ يَدُهَا وَ لِسَانُهَا وَ مَنْ لَا يِمَاطِلُنِي أَحَدٌ فِيهَا. وَ قَدْ كَابَدَ  
دُونَ تِلْكَ الدَّعْوَةِ كَوَارِثَ، وَ قَاسَى نَوَازِلَ مَلَمَّةٍ، وَ عَانَى شِدَائِدَ فَادِحَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ  
كَانَ يَسْتَخِفُّ وَرَائِهَا كُلَّ هَامَّةٍ وَ لَامَّةٍ، وَ لَمْ يَكْ يَكْتَرِثْ لِأَيِّ نَازِلَةٍ².

وُلِدَ بِشِيرَازَ فِي سَنَةِ لَمْ يَحْدُذْهَا لَنَا التَّارِيخُ وَ لَمْ يَحْدِثْنَا هُوَ عَنْهَا. وَ الَّذِي  
يَبْدُو مِنْ أَبْيَاتٍ لَهُ أَنَّهُ وَلَدَ حَوَالِي عَامِ تِسْعِينَ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ (٣٩٠) مِنَ الْهَجْرِيَّةِ، وَ

١. ديوان المؤيد داعي الدعوة ٢٥٦/٢. الغدير ٣٠٦/٤.

٢. سيرة المؤيد ٩٩/٢. الغدير ٣١١/٤.



نشأ بها و تعلّم و أصبح يدعو في جزيرة فارس للخلافة الفاطمية بكلّ قوّة و طول. و في عام تسع و عشرين صار إليه المذهب الفاطمي في شيراز فكان زعيماً لهذا المذهب و شيخه في فارس؛ ولكن المؤيد قاسى ما قاسى من العناء و الشقاء، و مرّت عليه أيّام بؤس و ألم ذاق فيها ألوان الذلة و المسكنة؛ حتى أنه اضطرّ أخيراً إلى أن يسافر و أن يصاحب قوماً لا يضمرون له غير الحبّ و الإخلاص. و السبب في ذلك يرجع إلى مذهبه الذي كان يخالف مذهب أهل بلّده.

فقد كان المؤيد يحتفل بالأيّام و الأعياد الفاطمية، و يصلى بالناس و يعظهم كعادته؛ ولكن الوزير العادل بهرام بن ماقيا بن شهد<sup>١</sup> استدعاه يوماً و نصحه بالخروج من البلاد و تركه، لأنّ السلطان توعدّ المؤيد بالقتل و أنّ علماء المدينة استعدوا عليه، و أن يستخير الله في الخروج من البلاد، و أنّه يضمّ إليه عدّة من الفرسان، من يتدرّقون به إلى حيث توخّى قصده من البلدان<sup>٢</sup>؛ و خرج من عنده و هو يفكر إلى أين يقصد؛ و أنّ الطرق قد اكتظّت بأعدائه. و بات ليلته يفكر و لكنّه لم يهتد إلى ناحية؛ و في الصّباح قصد الوزير، و قال له: إنّهُ ليفضّل أن يقتل في شيراز أو يخرج منها قسراً مكبلاً بالقيود و الأغلال؛ و لكن الوزير أجله أيضاً أياماً ليعاود بيته و يحصل على نفقات سفره، فيخرج خفية حتّى لا يشعر بخروجه أحد. و بعد أيام خرج مع صحبه إلى «سبار» و هو

١. أبو منصور بهرام بن مافئة المتوفى ٤٣٣ هـ.

الوزير العادل، وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه صاحب شيراز.

و كان محباً للعلماء و الأدباء و الشعراء، و يكرمهم و يعظمهم و ينفق عليهم بشكل كثير. و لذا نجد المؤلفين في ذلك العهد يستفنون كتبهم و يجعلونها باسم هذا الوزير العادل، و منهم أبو محمّد الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة. معجم الادباء ٢٦٤/٧.

٢. السيرة المؤيدية ٧/.

موضع على أربع مراحل من شيراز؛ وأخذ يبني هناك مشهداً للشيعة، إذ لم يكن بها مبان للشيعة قبل ذلك وكان أهلها من السنة. وقد اجتهد معه الديلم في بناء هذا المسجد فقالت العامة: إن هذا الرجل ساحرٌ قد سخر هؤلاء الجبابرة كما سخر سليمان الجن<sup>١</sup>.

و بعد مدة قويت أعداء المؤيد وأكثروا في الطعن عليه، فخرج منه هارباً و توجه إلى الأهواز و احتوى طريقاً لنعلمه على مسجد مهذّم كانت تأويه الصوفية و أهل النصب، فعكف على تجديد عمارته و كتب على دور محرابه أسماء النبي و علي و الحسن و الحسين، فصاعداً إلى جعفر بن محمد عليهم السلام و إسماعيل ابن جعفر و محمد بن إسماعيل و وصلها بأسماء الخلفاء الفاطميين؛ من المهدي عبيد الله إلى المستنصر، بالذهب على ألواح ساج؛ ثم لم يكتف بذلك حتى أقام الأذان بـ «حيّ على خير العمل»! و فوق ذلك كلّه طلب ممن حضره أن يقيموا صلوات الجمعة مشفوعةً بالخطبة للمستنصر الفاطمي صاحب مصر<sup>٢</sup>.

وقد أشار إلى أعماله هذه في قصائده مفتخراً، منها قوله:

لي فيك صنّع لم ينل      قبلي بجهدٍ جاهدُ  
سَل بقعة الأهواز عن      فعلي تُجَبِّك معاهدُ<sup>٣</sup>

و قد كثر أتباعه و شيعته في الأهواز، ثم توجه منها إلى الموصل و الكوفة و الأنبار، فتراءى أن يذهب لزيارة قبر الإمام علي بن أبي طالب و قبر الإمام الحسين بن علي، ثم يواصل سيره إلى الموصل، و منها إلى مصر. و عقب

١. سيرة المؤيد في الدين ٢١/.

٢. نفس المصدر السابق ٥٥/.

٣. ديوان المؤيد ٢٨٤/.

وصوله أدخل تَوّاً إلى مقرّ الخلافة، و تمكن من المشول بين يدي الخليفة المستنصر؛ و وصف مقابَلته معه في سيرته التي ألفها لنفسه. و بعد رَدح من الزمن، ولي المؤيد دارَ الإنشاء وزيد في رزقه و تحسّنت حالته. و لقّبه الخليفة بالحجّة - و هي أسمى مرتبة في الدعوة الفاطمية - و عمل على إيجاد و إحداث مؤامرات ضدّ العباسيين؛ و قلب نظام حكمهم في بغداد و فارس و الشام، و علت مرتبته بعد أن عاد إلى مصر ثانية؛ و نال أقصى ما يتمناه من الترقّي في درجات الدعوة الفاطمية.

وفد المؤيد على مصر، و أقام بها ثلاثين عاماً؛ و استمع له جمهرة من المصريين أخذوا عنه علوم الدعوة. فأثر في الحياة العقلية المصرية بمبادئه التي كان ينادي بها. و في مصر أخذ عنه ملك بن مالك قاضي الصُلَيْحِيّين باليمن، فنقلت عن مصر علوم الدعوة الفاطمية إلى اليمن، و أصبح اليمنيون يدنون للمؤيد بالأستاذية في علوم الدعوة.

و في مصر أنشد المؤيد أكثر قصائد ديوانه، و ألقي مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجلس - و هو كتابٌ خاصٌ بمصر و الدّعوة الفاطمية<sup>١</sup> - و نال الحظوة عند الفاطميين؛ حتى أنه كما قلنا كان أيام الحاكم الفاطمي، حجة في الدعوة في إقليم فارس؛ إذ نشأ المؤيد في أسرة اتّخذت العقيدة الفاطمية منذ أمد بعيد مذهباً لها، فترعرع و هو ملئمٌ بكلّ شيء يحضر الدعوة و أسرارها. و ما لبث أن أصبح بعد موت والده يملك نفوس أتباعه، فانقادوا له الانقياد كلّهُ؛ و كانوا يضحون بأرواحهم دونه؛ و كثر أتباعه حتى خشي السلطان أبو كاليجار البويهبي سطوته و نفوذه، و همّ أن ينفيه مراراً من شيراز؛ و لكنه كان يخاف ثورة أتباع المؤيد فكث يجهر بالدعوة في كلّ مكان و كلّ بلد يدين للعباسيين.

١. يعرف بالمجالس المؤيدية.

و قد كان من جراء ذلك أن بعث قاضي الأهواز برسالة إلى الخليفة العباسي ببغداد، ينعى فيها العباسية و ضياع خلافتها على يد المؤيد<sup>١</sup>.  
و مهما يكن من أمر فقد استقرّ المؤيد بمصر، و اتّصل بأمرائها و رجالها و حضر مجالس الدّعوة فيها؛ و راسل بعضاً من الملوك و عاهدهم في أن يحاربوا كلّ ما من شأنه النيل في الدولة الفاطمية؛ و قام بنفسه في حفظ ممتلكات الفاطميين.

لقد كان المؤيد على جانب عظيم من الثقافة ملماً إماماً تاماً بجميع العلوم التي عُرِفَت في العالم الإسلامي يومذاك. و قد وضع رسالة و هي أقدم كتاب تأريخي يفصل لنا حياة المؤيد السياسية و الاجتماعية و العلمية في فارس و العراق و مصر، خلال ربع قرن. و جاهد و ناضل دون الفاطميين وردّ على المذاهب المختلفة طوراً بالكتابة و طوراً بالشعر، و تارةً بالمناظرات الشفوية؛ و يفكر في أقوال خصومه فيحلّلها دقيماً حتى ليعرف مواطن ضعفهم كي يهاجمهم و يُفند آرائهم.

لبث المؤيد في مصر ثلاثين عاماً، و حضر حفلات الفاطمية و أعيادهم و مدح خلفائهم، و عاصر كثيراً من أمرائها و شعرائها و نظم فيهم و أدمج عقائدهم في شعره؛ حتى كاد شعر المؤيد يكون ديوان شعر للعقائد الفاطمية. و ذكر في مصر، واقعة الغدير شعراً و نثراً حتى أنه أفرد في هذا الموضوع كتاباً بعنوان «الإيضاح و التبصير في فضل يوم الغدير» و أشاد بواقعة غدير خم في عدّة قصائد؛ منها :

قال و الرّحلُ للسّرى محمولٌ      حقّ منك النّوى و جدّ الرّحيلُ  
و قوله من قصيدة مطلعها :

نسيم الصبا! ألمنم بفارس غاديا      وأبلغ سلامي أهل وُدِّي الأزاكيا!  
و زر بقعة الأهواز عني محيياً      بها غرّ إخواني وأرجان تاليا  
إلى أن يقول :

هي القبة البيضاء قبة «حيدر»      وصيُّ الذي قد أرسل الله هاديا  
وصيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمه      ومن قام مولى في «الغدير» واليا<sup>١</sup>  
و قال من قصيدة يمدح بها المستنصر بالله الفاطمي وأولها :

الله ينصر راية المستنصر      بالله مولانا الإمام الأطهر  
ويُتمّ نور أبي تميم خالياً      بسناه أغساق الظلام الأكر  
ويُدِّيم دولته ويجبر كسرنا      في «الظاهر» الغصن الرطيب الأخضر  
السيد المولى الموارى في الثرى      غصّ الشباب بنور وجه أقر  
غصن من القلم الممدّ وصنوه      ومن النبيِّ الأبطحيِّ وحيدر<sup>٢</sup>

و مدح الظاهر الفاطمي بقصيدة أولها قوله :

قد عزّ دينُ الله بالظاهر      مولى الأنام الباطن الظاهر  
نجل الإمام الحاكم المجتبى      وابن الإمام الطيّب الظاهر  
شمس الضحى ببحر النّهى والحجا      شمسُ بسدت من قرّ زاهر  
أشرقت الأرض بأنوارها      وأصبحت ميمونة الطائر<sup>٣</sup>

و قال في الإمام المستنصر بالله أيضاً :

أقسم لو أنك تَوَجَّتني      بتاج كسرى ملك المشرق،

١. ديوان المؤيد / ٢٤٥-٢٤٧.

٢. نفس المصدر / ٢٢١.

٣. نفس المصدر / ٢٤٩.

و نلتني كلُّ أمور الوري      من قد مضى منهم و من قد بقي  
و قلت أن لا نلتقي ساعة      أجبث: يا مولاي أن نلتقي  
لأن إبعادك لي ساعة      شيب فودي مع المِفرق<sup>١</sup>

و هكذا عاش المترجم له و قلبه مفلطح على حب الفاطميين إلى أن توفي عام ٤٧٠ هـ. بالقاهرة و دفن في دار العلم بجوار القصر؛ و صلى عليه الإمام الفاطمي المستنصر نفسه<sup>٢</sup>.

و للمؤيد آثار علمية تنمُّ عن طول بابه في الاحتجاج و المناظرة، و عن سعة اطلاعه على معالم الدين و مفاهيمه السامية و مباحثه الراقية و تضلعه في علمي الكتاب و السنة، و وقوفه على ما فيها من دقائق و رقائق. له رسائل ناظر بها أبا العلاء المعري في موضوع أكل اللحم؛ و مناظرته القيمة مع علماء شيراز في حضرة السلطان أبي كاليجار، <sup>تعرّب عن مبلغه من العلم؛ ذكرها على تفصيلها في سيرته ( ص ١٦ - ٣٠ )</sup>.

و مناظرته مع الخراساني، المذكورة في سيرته ( ص ٣٠ - ٤٣ )، شاهد صدق على تضلعه في العلوم. و له أيضاً من المؤلفات:

المجالس المؤيدية. المجالس المستنصرية، ط. ديوان المؤيد داعي الدعاة، ط. سيرة المؤيد داعي الدعاة، ط. شرح العباد. الإيضاح و التبصير في فضل يوم الغدير. الابتداء و الانتهاء. جامع الحقائق في تحريم اللحوم و الألبان. القصيدة الإسكندرية ( و تسمى بذات الذّوحة ). تأويل الأرواح. نهج العبادة.

١. نفس المصدر السابق / ٣١٣. و في ركب الأدب الفاطمي، فصل المستنصر.

٢. أفرد الدكتور محمد كامل حسين دراسة وافية عن حياة الشاعر، فطبت في أول ديوانه عام ١٩٤٩ م. و تقع في ١٧٠ صحيفة. و قد ترجم الشاعر أيضاً نفسه فوضع كتاباً تناول حياته منذ سنة ٤٢٩ هـ. إلى سنة ٤٥٠ هـ. و هو من سلسلة مخطوطات الفاطميين و مطبوعات دار الكاتب المصري.

١٤٦ / عیدالغدير في عهد الفاطميين

المسائلة و الجواب. أساس التأويل.

مصادر ترجمته

الأعلام ٦٤/٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٣٦٥/١٩، ٣٧١. سيرة  
المؤيد داعي الدعاة ١/ ١٨٤. الغدير ٣٠٤/٤ - ٣١٢. معجم المؤلفين  
١٤٤/١٣. مقدمة ديوان المؤيد ١/ ١٨٦.



مركز تحقیق و پژوهش در علوم اسلامی

## ابن جبير المصري

( القرن الخامس )

يا دار، غادرنى جديد بلاك  
 أم أنتِ عما أشتكىه من الهوى  
 ضيفناك نستقري الرسوم فلم نجد  
 و رسيس شوقٍ تقترى زفراته  
 ما بال ربك لا يبل؟ كأنما  
 طلت طولك دمع عيني مثلاً  
 و أرى قتيلك لا يديه قاتل  
 هيئت لي إذ عجت ساكن لوعة  
 لما وقفت مسلماً و كأنما  
 وكفت عليك سماء عيني صيباً  
 سقياً لعهدى و الهوى مقضية  
 و العيش غرض و الشباب مطية  
 أيام لا واثٍ يطاع و لا هوى  
 و شفيعنا شرح الشبية كلما  
 و لن أصارتك الخطوب إلى بلى  
 فإطالما قضيتُ فسيك ما ربي  
 ما بين حور كالنجوم تزينت  
 هيف المحصور من القصور بدت لنا  
 يجمعن من مرجح الشبية خفة الـ  
 و يصدن صادية القلوب بأعين  
 من كل منخطة الحشا تحكي الرشا

رث الجديد فهل رثيت لذاك؟  
 عجماء مذ عجم البلى مغناك؟  
 إلا تباريح الهوم قـراك  
 عبرتنا حتى تبل ثراك  
 يشكو الذي أنا من نحولي شك  
 سفكت دمي يوم الرحيل دماك  
 و فتور الحاظ الظباء ظباك  
 بالساكينك تشبها ذكراك  
 ربنا الأحبة سقت من رياك  
 لو كفت صوب المزن عنك كفاك  
 أوطاره قبل احتكام نواك  
 للهو غير بطيئة الإدراك  
 يعصى فنقصى عنك إذ زرناك  
 رما القصاص من اقتناص مهاك  
 و لحاك ريب صروفها فحاك  
 و أبحر ريعان الشباب حماك  
 منها القلائد للبدور حواكي  
 منها الأهلة لامن الأفلاك  
 مستغزلين و عفة النساءك  
 نجل كصيد الطير بالأشراك  
 جيداً و غصن البان لين حراك



هَيِّفَاءُ نَاطِقَةُ النِّطَاقِ تَشْكِيًّا  
وَكَاثِمًا مِنْ ثَغْرَهَا مِنْ نَحْرِهَا  
عَذَابُ الرُّضَابِ كَأَنَّ حَشَوَ لُثَاثِهَا  
تِلْكَ الَّتِي مَلَكَتْ عَلَيَّ بِدَهَا  
إِنَّ الصَّبِيَّ - يَا نَفْسُ - عَزَّ طَلَابُهُ  
وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لِمَحَالَةِ مُؤَذَّنُ  
وَتَزَوَّدِي مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ  
فَلَنِعَمَ زَادٌ لِلْمَعَادِ وَغُدَّةٌ  
وَإِلَى الْوَصِيِّ مَهْمٌ أَمْرِكِ فَوْضِي  
وَبِهِ اذْرُنِي فِي نَحْرِ كُلِّ مَلْعَةٍ  
وَبِحَبِّهِ فَتَمَسَّكِي أَنْ تَسْلُكِي  
لَا تَجْهَلِي وَهَوَاهُ دَأْبُكَ فَاجْعَلِي  
فَسَوَاءً انْحَرَفَ امْرُؤٌ عَنْ حَبِّهِ  
وَخَذِيَ الْبَرَاءَةَ مِنْ لَطْفِ بَرَاءَةٍ  
وَتَجَنَّبِي إِنْ شِئْتَ أَنْ لَا تَعْطِي  
وَإِذَا تَشَابَهَتِ الْأُمُورُ فَعُولِي  
خَيْرَ الرِّجَالِ وَخَيْرَ بَعْلِ نِسَاءِهَا  
وَتَعَوَّذِي بِالزُّهْرِ مِنْ أَوْلَادِهِ  
لَا تَعْدِلِي عَنْهُمْ وَلَا تَسْتَبْدِلِي  
فَهُمْ مَصَابِيحُ الدُّجَى لِدَوِي الْحِجَى  
وَهُمُ الْأَدْلَةُ كَالْأَهْلَةِ نَوْرُهَا

مِنْ ظَلَمِ صَامِتَةِ الْبُرَيْنِ ضَنَاكِ<sup>١</sup>  
دُرٌّ تَبَاكَرَهُ بِمَعُودِ أَرَاكِ  
مِسْكَاً يَعْزُّ بِهِ ذَرَى الْمَسْوَاكِ  
قَلْبِي فَكَانَتْ أَعْنَفَ الْمَلَاكِ  
وَنَهْتِكَ عَنْهُ وَاعْظَاتِ نَهَاكِ  
بِرَدَاكِ فَاتَّبِعِي سَبِيلَ هَدَاكِ  
زَاداً مَتًى أَخْلَصْتِهِ نَجَاكِ  
لِلْحَشْرِ إِنْ عُلِقْتَ يَدَاكِ بِذَاكِ<sup>٢</sup>  
تَصِلِي بِذَاكِ إِلَى قَصِيٍّ مُنَاكِ  
وَإِلَيْهِ فِيهَا فَاجْعَلِي شَكْوَاكِ  
بِالزَّيْغِ عَنْهُ مَسَالِكُ الْهَلَاكِ  
أَبْدَأْ وَهَجَرَ عِدَاهُ هَجَرَ قَلَاكِ  
أَوْبَاتٍ مَنْطُوباً عَلَى الْإِشْرَاكِ  
مِنْ شَانَتِهِ وَامْحُضِيهِ هَوَاكِ  
رَأَيْ ابْنَ سَلَمَى فِيهِ وَابْنَ صُهَاكِ  
فِي كَشَفِ مَشْكِهَا عَلَى مَوْلَاكِ  
وَالْأَصْلِ وَالْفَرْعِ التَّقِيَّ الزَّاكِي  
مِنْ شَرِّ كُلِّ مُضَلَّلٍ أَفَّاكِ  
بِهِمْ فَتَحْظِي بِالْخُسَارِ هُنَاكِ  
وَالْعُرُوءِ الْوَثْقَى لَذِي اسْتِمْسَاكِ  
يَجْلُو عَمَى الْمُسْتَحِيرِّ الشُّكَاكِ

١. البرين بالضم؛ جمع بره: الخللخال.

٢. للحشر إن ظفرت بذاك يذاك. كذا في نسخة.

وهم الصُّراط المستقيم فأرغمي  
وهم الأئمة لا إمام سواهم  
يا أُمَّة ضَلَّتْ سبيل رشادها!  
لئن ائتمنت على البرية خائناً  
أعطاك إذ وطّاك عشوة رأيته  
فتبعته وسخيف دينك بعته  
لقد اشتريت به الضلالة بالهدى  
وأطعته وعصيت قول محمد  
خلفت واستخلفت من لم يرضه  
خلت اجتهداك للصواب مؤدياً  
لقد اجتريت على اجتراح عظيمة  
ولقد شققت عصا النبي محمد  
وغدرت بالعهد المؤكّد عقده  
فلتعلن وقد رجعت به على الـ  
أعن الوصي عدلت عادلة به  
ولتسألن عن الولاء لحيدر  
قست المحيط بكل علم مشكل  
بالمعتريه كما حكى شيطانه  
والضارب الهامات في يوم الوغى  
إذ صاح جبريل به متعجباً  
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى  
بالهارب الفرار من أقرانه

يهواهم أنف الذي يلحاك!  
فدعي لتيّم وغيرها دعواك!  
إن الذي استرشدته أغواك  
للنفس ضيّعها غداة رعاك  
خدعاً بحبل غرورها دلاك  
مغترّة بالنزر من دنياك  
لما دعاك بمكره فدهاك  
فيا بأمر وصيه وصاك  
للدين تابعة هوى هواك  
هنيات ما أذاك بل أرداك  
جعلت جهنم في غد مثواك  
وعققت من بعد النبي أباك  
«يوم الغدير» له فما عذراك  
أعقاب تاكصّة به على عقباك  
من لا يساوي منه شسع شرارك؟  
وهو النعيم شقاك عنه ثناك<sup>١</sup>  
وعسر مسالكه على السلاك  
وكفاه عنه بنفسه من حاكي  
ضرباً يقدّ به إلى الأوراك  
من بأسه وحسامه البتاك  
إلا عليّ فاتك الفتاك  
والحرب يذكها قناً ومذاكي

١. ثناك عنه شقاك. كذا في نسخة.

و القاطع الليل البهيم تهجداً  
 بالتارك الصلوات كفراناً بها  
 أبعد بهذا من قياس فاسد  
 أو ما شهدت له مواقف أذهبت  
 من معجزات لا يقوم بمثلها  
 كالشمس إذ ردت عليه ببابل  
 والريح إذ مررت فقال لها: احملني  
 فجرت رجاء بالبساط مطيعة  
 حتى إذا وافي الرقيم بصحبه  
 قال: السلام عليكم فتبادروا  
 عن غيره فبدت ضغائن صدر ذي  
 والميث حين دعا به من صرح  
 لا تدعي مالميس فيك فتندمي  
 والخف والشعبان فيه آية  
 والسطل والمنديل حين أتى به  
 ودفاع أعظم ما عراك بسيفه  
 ومقامه - ثبت الجنان - بخير  
 والباب حين دحى به عن حصنهم  
 والطائر المشوي نص ظاهراً  
 والصخرة الصماء قد شفى الظما  
 والماء حين طغى الفرات فأقبلوا

بفؤاد ذي روع و طرف باكي  
 لولا الرياء لطال ما رباك  
 لم تأت فيه أمّة مأتاك  
 عنك اعتراك الشك حين عراك؟  
 إلا نبي أو وصي زاكى؟  
 لقضاء فرض فانت الإدراك  
 طوعاً ولي الله فوق قواك  
 أمر الإله حثيثة الإيشاك  
 ليزيل عنه مريّة الشكاك  
 بالرد بعد الصمت والإمساك  
 حنق لستر نفاقه هتاك  
 فأجابه وأبيت حين دعاك  
 عند امتحان الصدق من دعواك  
 فتقظي يا ويك من عمياك  
 جبريل حسبك خدمة الأملاك  
 في يوم كل كريمة وعراك  
 والخوف إذ ولت حشوحشاك  
 سبعين ساعة في فضا دكداك  
 لولا جحودك ما رأت عيناك  
 منها النفوس دحى بها فسقاك  
 ما بين ساكية إليه وباكي

قالوا: أغشنا يا ابن عمِّ محمدٍ!  
فأتى الفرات فقال: يا أرضِ ابلمي  
فأغاضه حتى بدت حصابؤه  
ثم استعادوه فعاد بأمره  
مولاك راضيةً و غضبي فاعلمي!  
يا تيمُّ! تيمُّك الهوى فأطعته  
و منعت إرث المصطفى و ترائه  
و بسطت أيدي عبد شمس فاغتدت  
لا تحسبك بريئة ممَّا جرى  
يا آل أحمد، كم يكابد فيكم  
كبيدي بكم مقروحةً و مدامعي  
و إذا ذكرت مصابكم قال الأسى  
و ابكي قليلاً بالطفوف لأجله  
إن تبكهم في اليوم تلقاهم غدًا  
ياربِّ، فاجعل حبهم لي جنةً  
و اجبر بها الجبريَّ - ربِّ - و برّه  
و بهم إذا أعداء آل محمد

فالماء يؤذتنا بوشك هلاكٍ  
طوعاً بأمر الله طاعني مالك!  
من فوق راسخه من الأسماك  
يجري على قدرٍ، فقيم مراكٍ؟  
سيان سخطك عنده و رضاك  
و عن البصيرة يا عديُّ عداك  
و وليته ظلماً، فن و لأك؟  
بالظلم جاريةً على مغناك  
و الله ما قتل الحسين سواك  
كبيدي خطوباً للقلوب نواكي؟  
مسفوحةً و جوى فؤادي ذاكي  
الجفوني: اجتني لزيد كراك!  
بكت السماء دماً فحق بكاك!  
عيني بوجه مسفر ضحكك  
من موبات الظلم و الإشراك!  
من ظالم لدمائهم سفاك  
غلقت رهونهم فجذد بفكاك<sup>١</sup>

الشاعر

شرف الدولة أبو محمد يحيى بن جبير [ جبر ] المصري المتوفى...  
و في «الغدير» و «أعيان الشيعة» جاء: الجبري المصري، و ابن جبر  
المصري، كان أحد شعراء مصر على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله

١. أعيان الشيعة ١٥/١٩٤-١٩٧. الغدير ٤/٣١٣-٣١٧.

(٤٢٠ - ٤٨٧ هـ). وقد مدح الخلفاء الفاطميين؛ ولد بمصر و نشأ بها و ترعرع؛ فأصبح من الشعراء الأفاضل الذين اتخذتهم الدولة و الخلافة في تثبيت أركانها و تدعيم أسسها. و قد أتى في شعره من قوّة المتانة و الشاعرية ما جعله واحداً من شعراء الفاطمية الذين يجب عليهم الحضور في حفلاتها و أعيادها و مواسمها لإنشاد الشعر. و كان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فقد قطع أشواطاً في حياته من عهود الفاطميين، و لكنه أوقف مدحه في المستنصر فحسب؛ فلا نكاد نجد له شعراً يمدح به غيره.

و إنّ شعر المترجم له ليعطينا فكرة صحيحة عن قائله، و هي أن المترجم كان متأثراً بالعقائد الفاطمية تأثراً بالغاً. كيف لا و قد فتحت عيناه على الدولة الفاطمية، و لم تسمع أذناه سوى عقائدهم و ذمّ من يخالفهم في الرأي و العقيدة. و لم يتردد على محفل و مجلس إلّا و الكلّ يشيد بذكرهم؛ فكأنه نشأ و كله مفطور على حبّ الفاطميين. فمدح الخليفة و مدح كلّ وزير أو أمير قام بالذبّ عنهم. و من شعره في «عيد الغدير» قصيدة تربو على مائة و اثنين بيتاً أتى بها على ذكر الغدير و أشاد بفضلها و قد ذكرناها بتمامها؛ و مطلعها:

يادارُ، غادرني جديدُ بلاك      رثّ الجديد فهل رثيت لذلك؟

و قال يمدح الإمام الفاطمي، و ذلك في يوم فتح الخليج و هو من المناسبات الفاطمية؛ و كان صاحبُ الباب يستأذن على حضور الشعراء للخدمة، فيؤمر بتقديم واحد بعد واحد. و كانت لهم منازل على مقدار كفاءتهم الأدبية فما أحد يتقدم الواحد بخطوة في الإنشاد؛ فدخل ابن جبير و أنشد:

فُتح الخليج فسال منه الماء      و علت عليه الراية البيضاء

فصفت موارده لنا فكأنه كف الإمام فعرّفها الإعطاء<sup>١</sup>

و من الطريف أنّ المؤرخين يذكرون هنا أنّ المصريين بلغوا في ذلك الوقت درجة كبيرة من دقة المحس و تذوّق الشعر، فإنهم لماسمعوا هذه الأبيات، انتقدوه في قوله: ... فسأل منه الماء، و قالوا: أيّ شيء يخرج من البحر غير الماء؟ و إنّ الشاعر أضاع ما قاله بعد ذلك المطلع<sup>٢</sup>.

و مدح الملك الصالح طلائع بن رزّيك<sup>٣</sup> عند ما اضطربت أمور مصر، فولّاه و أرسل الجيوش المصرية لمحاربة الفرنج؛ فكان ينتصر حيناً و ينهزم حيناً آخر. وقد سجّل الشعراء تلك الانتصارات، و منهم المترجم له فقال في إحدى المعارك التي خاضها ابن رزّيك ضدّ الفرنج:

أطفي ابن رزّيك لهيب ظرامه و البيض تخطب في الرؤوس فتسمع  
و كتائب للشرك كنت إزاءها متعرضاً فانفضّ ذاك المجمع  
و لكم صرعت من الفرنج سميدها بلاقائه لك قيل: أنت سميّدع<sup>٤</sup>

و مما يؤسف له أنّ شأن هذا الشاعر في التاريخ كان كشأن أكثر زملائه من شعراء الفاطمية، إذ كان حظّه النسيان والإهمال؛ ولذا لم نقف له على ترجمة وافية، و لا على عام ولادته و وفاته. و إنّما جاء ذكره مقروناً بأبيات قالها عند فتح الخليج. و فضلاً على هذا نرى أنّ هناك من المؤرخين من لا يعرف عنه حتى اسمه و نسبه. فجاء ذكره في المعاجم مختصراً بجملة «ابن جبر المصري» و هذا راجع إلى ضياع تراث تاريخ مصر الإسلامية و شعرائها.

١. في أدب مصر الفاطمية / ١٦٧.

٢. المخطوط المقرئية ٤٧٨/١، الغدير ٣١٧/٤.

٣. يأتي الحديث عنه في الصفحات التالية.

٤. في أدب مصر الفاطمية / ٢٣٠.

و الذي ينبغي القول هنا، أنّ أبا جعفر رشيد الدين بن شهر آشوب  
 البغدادي الحلبي (٤٨٩ - ٥٨٨ هـ) استشهد بهذه القصيدة في مناقبه بأبيات  
 منها بقوله: الجبري المصري؛ فعلم من ذلك أنه متقدّم عليه. ثم ذكر للشاعر  
 أبياتاً وقال :  
 المصري :

و كان لكم غصب الأمانة مقنعا	غصبتم وليّ الحقّ مُهجةً نفسه
تُفَرِّي من السادات سوقاً و أذرعا	و أجمتم آل النبيّ سيوفكم
بما كان منها في الجوانح مودعا	ضغائن بدر أظهرتها و جاهرت
و أعقبه يوم البعير و أتبعها	لوى عذره «يوم الغدير» بحقه
و عاتبه الإسلام فيه فارعا <sup>١</sup>	و حاربه القرآن عنه فما ارعوى

و الغريب المضحك و المبكي، أنّ محقق مناقب ابن شهر آشوب، الدكتور  
 يوسف البقاعي، ترجم لهذا المصري في الهامش و قال: المصري هو معين الدين  
 سالم بن بدران بن علي المازني الإمامي؛ يروي عن أبي المكارم بن زهرة؛ و  
 أجاز للمحقق الطوسي في سنة ٦١٩. (الكنى و الألقاب ١٩٦/٣)  
 تحقيق الدكتور هذا في حدّه، دليل على جهله و ضئالة معرفته بالرجال.  
 و في المناقب له لدة هذه الخطوات و التعليقات السخيفة غير الصحيحة، الكثير  
 و الكثير و يرد على قوله :

أ - من أين استنبط الدكتور، أنّ مراد ابن شهر آشوب من المصري هو  
 سالم بن بدران المصري؟ و الرجل هذا فقيه من مشاهير علمائنا و أجلاء  
 فقهاءنا، مات سنة ٦٧٢. (أعيان الشيعة ١١٤/٣٣)

١. مناقب ابن شهر آشوب ٣٦٣/٣ ط. دار الأضواء - بيروت. و الغالب على مطبوعات «دار الأضواء»  
 التحريف و الاسقاط و الانتحال.

- ب - الذين تلقبوا بـ «المصري» كثير و كثير. فمن أين توصل الدكتور، أنه معين الدين سالم بن بدران؟ (اللباب ٢١٩/٣)
- ج - كيف يستشهد ابن شهر آشوب المتوفى ٥٨٨ هـ. بأبيات رجل مات بعده سنة ٦٧٢ هـ. لو فرضنا مثلاً و قلنا بشاعرية سالم بن بدران؟
- د - إنَّ معين الدين سالم، كانت دراسته في الحيلة و حلب، و لم يسافر إلى مصر، كي يتلقَّب بالمصريِّ؛ و المصري لقب جدَّ أبيه عليّ. فتدبرُّ!



مركز تحقيقات کتب و تراث علوم اسلامی



## ابن قادوس

(المتوفى ٥٥١ هـ.)

يا سيّد الخلفاء طرّاً      بدوهم والحضّر  
إن عظموا ساقى الحجيج<sup>١</sup>      فأنت ساقى الكوثر  
أنت الإمام المرتضى      وشفيعنا في المحشر  
ووليّ خيرة أحمد      وأبوشبير وشبر  
والحائز القصبات في      «يوم الغدير» الأزهر  
والمطفئ الغوغا ببـد      والنضير وخير<sup>٢</sup>

## الشاعر

القاضي جلال الدين كافي الكفاة أبو الفتح محمود بن القاضي الموفق  
إسماعيل بن حميد الدميّاطي المصري الشهير بابن قادوس المتوفى ٥٥١ هـ. [٥٥٣  
هـ.]

أحد عباقرة الأدب، وفدّ من صيارفة البيان. مقدم في حلبة القريض،  
كاتب الإنشاء بالديار المصرية للعلويين، وتصدّر بالقضاء؛ جمع بين فضيلتي  
العلم والأدب فعُدّ من أئمة البيان الرابع الذين جعلوا من رسائلهم الخلافية و  
الديوانية نماذج من الفصاحة الباهرة؛ ونعته «ابن ميسر» بالقاضي المفضل كافي  
الكفاة، كما أن القاضي الفاضل<sup>٣</sup> يلقّبه بذي البلاغتين (الشعر والنثر).

١. المراد به العباس بن عبد المطلب.

٢. أعيان الشيعة ٤٧ / ١٦٣. الغدير ٣٣٨ / ٤. مناقب ابن شهر آشوب ٨٣ / ٢.

٣. أبو علي محيي الدين عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد السعيد اللخمي المعروف  
بالقاضي الفاضل ٥٢٩ - ٥٩٦ هـ.

كان ابن قادوس، على جانب عظيم من فنّ الكتابة و الأدب، و أحد من صيارفة البيان في عهد الإمام الفاطمي العاضد؛ كاتب و شاعر في ديوان الإنشاء، و من أقدر كتّاب مصر الفاطمية و شعرائها. شاهد عصر الأفضل بن بدر الجمالي، و امتدّت به الحياة إلى أن توفّي في عهد الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك. فقد عاصر شعراء مصر و كتّابها في النصف الأول من القرن السادس، و عرف اتّجاهاتهم الفنّية في الشعر و الكتابة؛ فجمع بين فضيلتي العلم و الأدب و لهذا كان يسمّيه بعضهم في عهده «ذوالبلاغتين»<sup>١</sup>. و هو مصري المحتد و النشأة؛ و وصفه ابن ميسر بقوله: كان من أمثال المصريين و كتّابهم مقدّماً عند ملوكهم. و من الأسف أنه لم يصلنا شيء عن حياة هذا الكاتب الشاعر؛ فقدت ترجمة حياته مع بقية تراجم رجال مصر الفاطمية. و المعروف عنه أنه كان يُلقب بعض زملائه في المهالك و يكون سبباً في حتفهم، بالرغم مما قاله أصحاب المعاجم عن فضله و كفايته في صناعتي الشعر و النثر، و وصفهم له بضعف الخلق، يحسد زملائه، و يوقع بهم في الردى و المهاوي بطرق شتى. فمنهم أبو علي حسن بن زيد الأنصاري الذي غالى المؤرخون في مدحه أنه: في فنّه لم

←

وزير أديب من أئمة الكتاب؛ ولد بعسقلان، و انتقل إلى الإسكندريّة ثم إلى القاهرة، و تلمذ على الشاعر ابن قادوس. و كان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل. قيل: لو جمعت رسائله و تعليقاته لم تقصر عن مائة مجلد؛ و هو مجيد في أكثرها، و كان من وزراء السلطان صلاح الدين، و من مقرّبيه، و لم يخدم بعده أحداً. مات في القاهرة سنة ٥٩٦ هـ.

الأعلام ١٢١/٤. حسن المحاضرة ٥٦٤/١. روضات الجنات ٧٤/٥. شذرات الذهب ٣٢٤/٤. العبر في خبر من غبر ٢٩٣/٤. القدير ٣٣٨/٤. كشف الظنون ١٠١٦/٢. الكنى و الألقاب ٥٤/٣. معجم المؤلفين ٢٠٩/٥. النجوم الزاهرة ١٥٦/٦. نهاية الأرب ١/١. وفيات الأعيان ٣٣٣/٢.

١. حسن المحاضرة ٣٢٤/١.

يسمع الدهر بمثله. فعمل ابن قادوس المترجم له بيتين في هجاء حسن بن الحافظ، ونسبهما إلى ابن زيد الأنصاري و دسّهما في رقاعه؛ ثم سعى به إلى ابن الحافظ فلمّا وجد ابن الحافظ البيتين بين رقاع الأنصاري، أمر بقتله؛ ولم يشفع له جودة شعره التي بلغ بها درجة رفيعة بين الشعراء، ولا طول خدمته في ديوان المكاتبات<sup>١</sup>، و ذهب ضحيّة البيتين.

و بعد هذا لم يحدثنا التاريخ عن سبب ما في قتل الأنصاري، غير مآربه الشخصية في الديوان أو في غير الديوان من مناصب الدولة. و ربّما كان السبب في تلك المؤامرة هو أنّ الأنصاري كان فناناً يجيد صناعته فينتقي من اللفظ أجوده، و من المعاني أسماها و أجملها؛ فحسده على مهارته و خشي منافسته، فدبر المكيدة التي أدّت به إلى حتفه؛ كما ذهب إلى صحّة هذا القول بعض المؤرّخين<sup>٢</sup>.

و مهما يكن من شيء فابن قادوس لضعف خلقه كان يحسد كلّ شاعر و كاتب في الدولة؛ يتشبّث بعدّة وسائل لهتكهم و قتلهم و اختلاق أبيات تُؤدّي إلى قتل زملائه. فقد نقل الحموي<sup>٣</sup> ما يؤيّد الرأي هذا في حكاية نصّها:

اجتمع ليلة عند صالح بن رزّيك جماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللغة فلم يُجب عنها بالصواب سوى القاضي الرشيد (أبو الحسن أحمد بن الزبير المصري المقتول عام ٥٦٣) فقال: ما سئلت قطّ عن مسألة إلاّ وجدّني أتوقّد فهماً. فقال ابن قادوس و كان حاضراً:

إن قلت من نارٍ خلقت و فُتّت كلّ الناس فهماً.

١. في أدب مصر الفاطمية / ١٨٧.

٢. نفس المصدر / ٣٣٩، ٣٤٤.

٣. معجم الأدباء ٦٠/٤. الفدير ٣٣٩/٤.

قلنا: صدقت، فما الذي أطفأك حتى صرتَ فحماً؟<sup>١</sup>

و قال فيمن يكرّر التكبير و يوسوس في نيّة الصلاة :

وفاتر النيّة عنّيها      مع كثرة الرعدة والهزّة  
يكبرُ التسعين في مرّة      كأنّه صلى على حمزة<sup>٢</sup>

و قال :

و ليلة كاغتماض الجفن قصّرها      وصل الحبيب و لم تقصر على الأمل  
فكلّما رام نطقاً في معاتبي      سدّدت فاهُ بنظم اللّثم و القبل  
و بات بدر تمام الحسن معتني      و الشمس في فلّك الكاسات لم تفل  
فبتّ منها أرى النّار التي سجّدت      لها المجوس من الأشواق تسجدُ لي<sup>٣</sup>

و قال في ذكر قلعة الروضة المعروفة بالجزيرة :

أرى سرح الجزيرة من بعيد      كأحداق تفازل في المغازل  
كانّ بحرّة الجوزا أحاطت      و أنبتت المنازل في المنازل<sup>٤</sup>

و قال في الإمام زين العابدين السّجاد، عليّ بن الحسين عليه السلام :

أنت الإمام الأمر العدل الذي      خبب البراق لجده جبريلُ  
الفاضل الأطراف لم يُرفهم      إلّا إمام طاهرٌ و بتولُ

١. خريدة القصر؛ قسم «شعراء مصر» ٢٢٩/١.

٢. إشارة إلى ماورد في صلاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على حمزة سيد الشهداء يوم أحد؛ من أنّه عليه وآله السّلام - كبر فيها سبعين، أو اثنين و تسعين تكبيرة. الفدير ٣٣٩/٤.

٣. أعيان الشيعة ١٢٣/٤٧.

٤. المخطط المقرئية ١٨٣/٢. الفدير ٣٣٩/٤.

أنتم خزائن غامضات علومه      وإليكُم التَّحريم و التحليل  
فعلى الملائك أن تؤدِّي وحيه      و عليكم التبیین و التأويل<sup>١</sup>

و أورد له ابن شهر آشوب السُّروي قوله في أحوال الإمام الصادق عليه السلام:

لِئَلْ غُلاكم يَنْتَهِى المَجد و الفَخرُ      و عَند نَداكم يَخلُجُ الغَيت و البَحرُ  
و عُمُر سِواكم في العُلى مِثل يَومِكم      إذا ما عَلا قَدرُ و يَومِكم عَمرُ  
مَلكَتم و لا عَدوى حَكمَتم و لا هَوى      عَلمَتم و لا دَعوى عَملَتم و لا كَبرُ  
أَياديكم بَيضُ إذا اسودَّ حَادثُ      و أَسِيافَكم حُمُرُ و أَكسافُكم خُضرُ  
و ذِكرُكم في كُلِّ شَرق و مَغرب      عَلى الخَلق يُتلى مِثلُها تَلى الذِكرُ  
و دينَكم شَكر الإلَهِ و حَمدُه      إذا غَيرَكم أَهْواهُ عَن شَكره أَمْرُ

و جاء أيضا في انتصار ابن قادوس للجلس بن الحباب : أن أبا القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد، كان مولعاً بهجاء القاضي الجليس، كثير التَّهكُّم و الدَّعابة بأنفه الكبير، حتى قيل إنَّ الصياد أنشد أكثر من ألف قصيدة في أنف الجليس؛ فانبرى له ابن قادوس ينتصر للجلس، و يهجو ابن الصياد بقوله:

يا من يعيب أنوفنا الشُّ      مَّ التي ليست تعابُ  
الأنف خلقة ربِّنا      و قرونك الشُّمَّ اكتسابُ

فما الذي جعل ابن قادوس ينتصر للجلس ؟ لاشك في أنَّ ضعف خلقه جعله يتوهم أنَّ الجليس ربَّما ساعده في الوصول إلى مآربه الشخصية في الديوان و في غير الديوان، من مناصب الدولة؛ بحكم تلك الصِّلة التي كانت بين

المجلس و الخليفة الفاطمي من ناحية، و بين المجلس و الملك الصالح طلائع من ناحية أخرى؛ فلذلك انتصر للمجلس، و لولا أطماعه ما كان ينشد هذين البيتين.

فابن قادوس مع هذا كله كان من أمثال الكتّاب في القرن السادس الهجري؛ فالقصائد التي مدح بها الخلفاء الفاطمية، وأنشدها في حفلاتهم وأعيادهم و الرسائل التي كتبها في مناسبات عدة إن دلت على شيء فإنما تدلّ على قدرته و علو كعبه في الصناعتين : الشعر و النثر.

وله :

فبتُّ منها أرى النَّارَ التي سجدت لها المجوس، من الإبريق تسجدُ لي  
راحٌ إذا سفك الندمان من دمها ظَلَّتْ تُقَهِّقه في الكأسات من جذلي  
فقل لمن لَمْ فيها: إِنِّي كلف مغرئٌ بما مثلها أغريت بالعدل<sup>١</sup>  
ومن شعره قوله:

هي بيعة الرضوان أبرمها الثقي وأنارها النّصُّ الجليُّ والحمي  
ما اضطرَّ جدّك في أبيك وصيّة وهو ابن عمّ أن يكون له انتمى  
وكذا الحسين وعن أخيه جازها وله البنون بغير خلف منها<sup>٢</sup>

وله في مدح الوزير، المأمون البطايحي - وزير الأمر بأحكام الله - عندما

١. خريدة القصر: قسم « شعراء مصر » ٢٢٨/.

٢. مناقب ابن شهر آشوب ٥٤/٤، الغدير ٣٩٩/٤، أعيان الشيعة ١٦٣/٤٧.

وكانه يشير بهذا البيت و الذي قبله إلى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: جعل الله ذرية كل نبي في صلبه، و جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب عليه السلام. يقول: ما الذي دعا جدّك إلى أن يجعل أولاد علي أولاده مع أنه ابن عمّه فكنت بذلك ابناً له؟ وكذلك أخوك الامام الحسين لولا أن أمك فاطمة بنته فكنتما أولاده؟

مثل بين يديه:

قالوا: أتاه النعت وهو السيد الـ مأمون حقاً والأجل الأشرف  
ومغيث أمة أحمد و مجيرها مازادنا شيئاً على ما نعرف

\*\*\*

أمّا مدحه للخليفة الفاطمي فيتجلّى لنا ذلك في نثره؛ فمن إنشاءه ما كتبه  
بمناسبة ركوب الخليفة العاضد الفاطمي في عيد النحر وهو قوله:

أمّا بعد، فالحمد لله ماحي دنس الآثام بالحجّ إلى بيته الحرام، و موجب  
الفوز في المعاد لمن عمل بمراشد أئمة الهدى الكرام؛ و مضاعف الثواب لمن اجتهد  
فيما أمر الله به من التلبية و الإحرام؛ و مخوّل الغفران لمن كان بفرائض الحجّ  
ونوافله شديد الولوع و الغرام. و صلى الله على جدّنا محمد الذي لبّي و أحرم  
وبين ما أحلّ الله و حرّم؛ و على أخيه أئينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب  
الذي ضرب و كبرّ و حقّر من طغى و تجبر؛ و على الأئمة من ذرّيّتها أعلام  
الدين و حتوف المعتدين، و سلم و كرم و شرف و عظم. و إنّ من الأيام التي  
كملت محاسنها و تمّت و كثر ث فضائلها و جمّت و وجب تخليد عزّ صفاتها و  
تعيّن تسطير تأثيراتها، يوم عيد النحر من سنة [كذا].

و كان من قصصه، أنّ الفجر لما سلّ حُسامه، و أبدى الصباح ابتسامه،  
نهض عبيد الدولة في جموع الأولياء و الأنصار و أولي العزيمة و الاستبصار  
ميمّمين القصور الزاهرة، متبرّكين بأفنيّتها، و مستملين بسعادتها؛ و تألّفوا  
صفوفاً تبهر النواظر، و يخجل تألّفها تألّف زهر الرّوض الناظر، مستصحبين  
فنوناً من الأزياء تروق، و مستتبعين أصنافاً من الأسلحة يفضّ لمعها من لمع  
الذهب و البروق؛ و الأعلام خافقة، و الرياح بألسنة النصر على الإخلاص  
لإمام العصر متوافقة. فأقاموا على تشوّف لظهوره، و التطلّع للتبرك بلامع

نوره؛ و لما بزغت شمس سعادته، و جرت الأمور على إشاره و إرادته و بدت أنوار الإمامة الجليلة و ظهرت طلعتها البهية، خرّ الأنعام سجوداً بالدعاء و التمجيد و الاعتراف بأنهم العبيد بنو العبيد. و استقلّ ركابه أمير المؤمنين و وزيره السيد الأجل الذي قام بنصر الله في إنجاد أولائه، و تكفل للإسلام برفع مناره، و نشر لوائه و ناضل عن حوزة الدين، و جاهد و ناضل أحزاب الكفار و ناهد، يقوم بأحكام الوزارة و تدبير الدولة تدبير أولي الإخلاص و الطهارة، و يتبع آراء المؤمنين فيها تنفذ به أوامره، و يعمل بأحكام الصواب فيما تقتضيه موارده و مصادره؛ و يحسن السياسة و التدبير و يتوخى الإصابة في كل صغير من أمور الدولة العلوية و كبير؛ و يخلص لله جلّ و عزّ وإمامه، و يكفكف من الأعداء ببذل الجهد في أعمال لهذمه و حسامه. و سار أمير المؤمنين و العساكر متتابعة في أثره متوافقة على امتثال أمره؛ قد رفعت السنايك من العجاج سحاباً، و خيّلت جنن الجند للناظرين في البر عباباً. و الجياد المسومة تموج في أعنتها و تختال في مراكبها و أجلتها؛ و تسرع فتكسب الرياح نشاطاً و تفيد المتعرض لوصفها إفراطاً، و تهدي لمن يحاول مماثلتها غلوّاً و اشتطاطاً. و أصوات مرتفعة بالتهليل و أصوات الحديد تسمع بشائر النصر بترجمة الصليل. و يكاد يرعب الأرض ترزّل الصهيل؛ و ترضّ سنابكها الهضاب و تعدو صلابها كالكتيب المهيل<sup>١</sup>.

فهذا النموذج مما كتبه ابن قادوس من سجلّات هي من خصائص مصر. و الذي يعلم أن ركوب الإمام الفاطمي لصلاة عيد النحر هو من ترتيب الدولة الفاطمية؛ و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنه كما تأثر الشعر بالعقائد الفاطمية، كذلك تأثرت الكتابة بها تأثيراً يظهر في السجلّات التي تصدر في



الأعياد و المواسم - كهذا السجل - ، أو في تولية إمام أو إحدى رجال الدولة من وزراء و قضاة و دعاة. ففي مثل هذه السجلات كان الكتاب يُلْمُون بالعقائد و يؤوّلون بعض آيات القرآن الكريم، بما يتفق و مذهبهم الفاطمي؛ و يذكرون في كتاباتهم رأي الفاطميين في كلّ مناسبة و في كلّ عيد. فالسجلات التي صدرت في « عيد الغدير » كانت تنصب عليّ بن أبي طالب والأئمة المنصوص عليهم من بعده. و سجلّ مأتم عاشوراء كان في الحسين بن علي، و ملاقاه أهل البيت من أهوال؛ و سجلّ رؤية رمضان في ذكر عقيدة الفاطميين في هلال رمضان. و هكذا كانت هذه السجلات حافلة بالمعتقدات الفاطمية التي لا يمكن أن تصدر عن دولة غير فاطمية المذهب<sup>١</sup>.

و إن القاري لهاتيك السجلات، ليرى ظاهرة واضحة كلّ الوضوح في كلّ رسائل الفاطميين، منذ ما دخل جوهر خليفة المعز مصر، إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية. و لعلّ هذه الظاهرة هي من عمل الفاطميين أنفسهم و سياستهم؛ فقد راموا من وراء تلك الظاهرة، تمييز رسائل كتاب الفاطميين عن غيرهم من كتاب الدولة الأخرى التي لم تخضع لحكم الفاطميين؛ بل إنّ هذه توجد في رسائل أتباع مذهب الفاطميين إلى اليوم. أما تلك الظاهرة فقد دفعتهم عقيدتهم الدينية و مذهبهم بالمذهب الفاطمي، إلى أن يبدأوا رسائلهم و سجلّاتهم بالحمد لله ثم الصلاة على النبيّ و على الوصيّ والأئمة من أهل البيت. و كانوا يتعمّدون دائماً أن يذكروا أنّ محمداً جدّهم؛ فكأنهم يحاولون من وراء هذا التكرار في رسائلهم و سجلّاتهم تأكيد ما حاول خصومهم نفيه من عدم وجود أية علاقة و صلة بينهم و بين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم و أهل البيت عليهم السلام؛ أو كأنه ردّ على سجلّات العباسيين في دحض نسب الفاطميين.

و مهما يكن من شيء فإن هذه الظاهرة الدينية كانت من شعائر الفاطميين، و بها كانت تعرف سجلات الفاطميين عن غيرها؛ كما أنهم كانوا يهتمونها بالحمد و الصلاة على النبي، و لم يشذ كاتب من كتّابهم عن الطريقة هذه.

فابن قادوس كان كثيراً ما نراه متأثراً بهذه العقائد الفاطمية، و سائراً عليها في السجلات التي كان يصدرها من ديوان الإنشاء في الأعياد و المناسبات. و بقي عاملاً فيه إلى أن توفي عام ٥٥١ في سابع شهر المحرم. و جاء أن الملك الصالح حضر من القاهرة إلى مصر للصلاة عليه، و مشى في جنازته إلى تربته عند مسجد الاقدام. و هذا تاريخ أجمع عليه المؤرخون جلهم؛ بيد أن المقرئ في المخطوط، روى قصة خالف بها المؤرخين في هذا التاريخ، و هي قصة طويلة؛ زعم فيها أن أبا الفتح يأنس الأرميني وزير الحافظ لما عظم شأنه عام ٥٢٦ و ثقل على الخليفة، أخذ كل منها في التدبير على الآخر؛ فأعجل يأنس و قبض على حاشية الخليفة، و منهم قاضي القضاة و داعي الدعاة أبو الفخر، و أبو الفتح ابن قادوس، و قتلها؛ فاشتد ذلك على الحافظ و عمل على سمّ وزيره.<sup>١</sup> أي أنه ذهب أن ابن قادوس قُتل عام ٥٢٦. و قد وهم المقرئ في هذه القصة، فإن الدلائل التاريخية تكاد تجمع على أن ابن قادوس، شاهد عصر الملك الصالح طلائع بن رزّيك و وفد على مصر عام تسع و أربعين و خمسمائة. أضف إلى ذلك أن الملك الصالح طلائع بن رزّيك، كان يغري ابن الصياد كما ذكرنا بأنف الجليس بن الحباب؛ فأنشد ابن الصياد تلك المقطعات التي ذكرنا أنها كانت تربو على ألف مقطوعة. و لم يُسكت إلا ابن قادوس، و هذا دليل سافر على أن ابن قادوس حضر عهد الملك الصالح.

ثم إن الخليفة الفاطمي أشرك ابن قادوس مع الموفق بن الخلال في ديوان الإنشاء؛ وقد قال عمارة اليميني: إنه وجده بحضرة الصالح بن رزيك. و أيضاً أنَّ قصة ابن قادوس مع أبي علي حسن بن زبيد الأنصاري كانت في الخلاف بين حسن بن المحافظ و أبيه. و هذا الخلاف نشأ بعد عام ٥٢٦، و نحن نعلم أن ابني الزبير: المهذب بن الزبير و القاضي الرشيد بن الزبير، الأخوين الشاعرين الذين ضربا بسهم وافر في الفقه و اللغة و النحو و التاريخ و الطب و المنطق، لم يتقدما في الديوان إلا بعد قتل الظافر عام ٥٤٩؛ بل لم يكن لهما ذكر في الدولة قبل هذا التاريخ. و قد هجاه ابن قادوس بقوله:

يا شبيه لقمان بلا حكمة      و خاسراً في العلم لاراسخا!  
سلخت أشعار الوري كلها      فصرت تدعى الأسود السالخا<sup>١</sup>

فمعنى هذا أن الهجاء كان بعد مقتل الظافر، أي بعد سنة ٥٢٦ أيضاً. فهذه الدلائل إن دلت على شيء فإنما تدل على عدم صحة قول المقرئ في صحة ما ذهب إليه جل المؤرخون، من أن وفاته كانت عام ٥٥١ لا عام ٥٢٦.

#### مصادر ترجمته

أخبار مصر لابن ميسر ٩٧/١. الأعلام ٤١/٨. أعيان الشيعة ١٦٢/٤٧-١٦٤. حسن المحاضرة ٣٢٤/١. خريدة القصر، قسم شعراء مصر ٢٢٨/١. الخطط المقرئية ١٨٣/٢. صبح الأعشى ٣٢٦/٨. الغدير ٣١٣/٤-٣١٨. في أدب مصر الفاطمية ٣١٦. كشف الظنون ٧٦٧. معجم المؤلفين

١. خريدة القصر؛ قسم شعراء مصر ٢٢٦/١. وفيات الأعيان ٥٤/١.

٢. تاريخ مصر ٩٧.

عبدالمنذر و شعرا المفاطمة / ١٦٧

١٥٢/١٢. مناقب ابن شهر آشوب ٨٣/٢ و ٥٤/٤. و فيات الأعيان ٦٢/١.  
هدية العارفين ٤٠٣/٢.



مركز تحقيقات کتب و علوم اسلامی

طلّاع بن رزّيك<sup>١</sup>

( ٤٩٥ - ٥٥٦ هـ )

١

سقى الحمى ومحلّا كنت أعهدُهُ      حيا بحور بصوب المزن أجوده  
فإن دنا الغيث واستسقت مرابعه      ربى فدمعي بالتسكاب ينجده  
بانت أهالي ذاك الحمى واقتسموا      قلبي فأفقد أحبابي وأفقدته  
أحرزت في الصدر ذرّاً من عقودهم      عند الوداع فأجفاني تبدّده  
قد كان يسعدني في البحر أبيضه      فساعة البين وافاني مورّده  
بين السهاد وجفني منكم صلة      فبعدكم عن لذيذ النوم يبعده  
كأنما الليل يهواني فيرصدني      كالنجم أهواه في ليلى فأرصده  
وليلة بتّ فيها ما بها كدر      والمجر قام له وصل ينكّده  
يدير كأس حمياها قضيب نقا      كالخيزرانة أودى بي تأوده  
مهفّف القدّ أخشى من لطافته      أن يخل الغصن منه حين يشهده  
وقد يسطوق أيم في ذوابته      حرز فعزّ على الراقي تصلده  
كما بدا الحق في آل الوصي فأن      وار الهدى لعمي القلب ترشده

\*\*\*\*

يا راكب الغيّ دع عنك الضلال فه      هذا الرشد بالكوفة الغراء مشهده  
من ردت الشمس من بعد المغيب له      فأدرك الفضل والأملاك تشهده  
و «يوم خمّ» وقد قال النبيّ له      بين الحضور وشالت عضده يده  
من كنت مولى له هذا يكون له      مولى أتاني به أمر يؤكّده  
من كان يخذله فالله يخذله      أو كان يعضده فالله يعضده

١. رزّيك: بضم الراء، وتشديد الزاي المكسورة، وسكون الياء المشناة من تحتها، وبعدها كاف.

قالوا: سمعنا و في أكبادهم حرق  
و أظلمت بسواد الحقد أوجُهُهم  
و الباب لما دحاه و هو في سغب  
و قلقل الحصن فارتاع اليهود له  
و اسأل به مرحباً لما أعد له  
ألقى مهنته في وسط قته  
نادى بأعلى العلى جبريل ممتدحاً:  
و في الفرات حديثٌ إذ طغى فأتى  
قالوا: أجرنا! فقام المرتضى فرحاً  
و قال للماء: غُض طوعاً! فبان لهم  
فللمعاف و للإيمان طاعته  
يا قائم الليل تمجيداً لخالقه!  
يا حجة الله يا من يستضاء به  
ألستم أنتم أهل الكساء بكم  
يا عروة سليم المستمسكون بها  
أبوكم جد في طوع لجدكم  
نحن المقرّون بالافضال أنكم  
نفوز - يا آل طه - باسمكم صلة  
جعلتكم - يا بني الزهراء - معتمدي  
لفظاً بإحسانكم عندي أنثره  
أنسا المظفر سيف الدين معتقداً

و كل مستمع للقول يجده  
و أنه لم يزل بالفكر أسوده  
عن الصيام و ما يخفى تعبده<sup>١</sup>  
و كان أكثرهم عمداً يفنده  
مشطباً غير فرار بجرده  
ففاص في الأرض يفريها مهنته  
هذا الوصي و هذا الطهر أحمد!  
كل إليه لخوف الهلك يقصده  
بالفضل و الله بالإفضال مفرده  
حسباؤه حين وافاه يهدده  
و للفقنوت و للتقوى تهجده  
و أين مثلك قواماً تهجده?  
إلى الهداية يا من طاب مولده!  
جبريل يفخر إذ فيكم نعدده?  
و مسلماً بالولا فيكم يهدده!  
و عترة جد في خلف تهجده  
فرعُ نسا إذ ذكا في المجد محتده  
بعد الصلاة لمن طوعاً نوحده  
يوم المعاد بما فيكم أجده  
دراً و أفعالكم عندي أنضده  
أن القريض إذا ما فُهِت أنشده

١. السغب: المجاعة، و أسغب الرجل: دخل في المجاعة.

في مدح آل رسول الله دار غدير في جنة و حساماً لي أجردة<sup>١</sup>

\*\*\*\*\*

٢

و قال أيضاً وقد تطرق فيها برثاء السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام.  
و لا يوجد مع الأسف أول القصيدة:

فإن زلت قديماً أوجهلت فقد	أزال ما كان من جهلي و من زلي
فحبته قد محّا عني الذنوب و لو	كانت ذنوبي ملء السهل و الجبل
يا لاغي العروة الوثقى امتسكت بها	فلست أصغي إلى لوم و لا عذل
جعلته عدتي في النائبات إذا	أعيت عليّ و ضاقت أوجه الحيل
أما عليّ، علت رجلاه كاهل خيل	و الخلق حتى أزال العز عن هبل؟
أما عليّ، له العلم المصون به	قد حلت هذه الدنيا من العطل؟
أما عليّ، له الإيثار و الكرم المح	ض الذي فاق أهل الأعصر الأول
أما عليّ، عني ماء الفرات له؟	هل كلف الجنّ و الشعبان غير عليّ؟
و من سوى حيدر ردت ذكاء له	من بعد ما جنحت ميلاً إلى الطفل؟
عليّ هل كان ماضي غرب مقوله	إذا تفلّ سيف النطق ذا فليل؟
وراية الدين لما كان حاملها	دون الهنايين هل نيطت إلى فشل؟
ما جردت من عليّ ذا الفقار يد	إلا و أغمدته في هامة البطل
لم يقترب يوم حرب للكمي به	إلا و قرّب منه مدّة الأجل
قد صاب في رأس عمرو العامري و في	يا فوخ مرحب صوب العارض الهطل
و في مواقف لا يحصى لها عدد	ما كان فيها بر غدير و لا نكل

١. ديوان طلايع بن رزيك / ٧٣ - ٧٥. و ذكر بعض أبياته في أعيان الشيعة ١٠٥/٣٦. و الغدير ٣٤١/٤. و

المناقب لابن شهر آشوب ٤٠/٣.

و مدّعي القول بالإجماع ينقضه  
 سلمان منهم و عمار و سعد كذا  
 كم كربة لأخيه المصطفى فرجت  
 كم بين من كان قدسناً الهروب و من  
 في «هل أتى» بين الرحمان رتبته  
 عليّ قال: اسألوني كي أبين لكم  
 بل قال: لست بخير إذ وليتكم  
 إن كان قد أنكر الحساد رتبته  
 و في «الغدير» له الفضل الشهير بما  
 و من يخطي نهار الحق منه فما  
 قال النبيّ لنا: أوصوا و مات - كما  
 هذا التناقض أوهى علمهم و بذا  
 فأصبحوا غنماً في غيها هبلاً  
 فإن تقولوا: بأن الله قد أمرا  
 فالله يختار ليس الاختيار إلى  
 و كان منهم أبودر و مالك الـ  
 فسباع منها أبوسفیان آخرة  
 كم من رباع لهم في حسناتها أهلت  
 لو لم يكن لعليّ غير منقبة  
 و ربّ لائمة لامت فقلت لها:  
 و الصدق أزين لي قلب يقلّب في  
 أميل من أسف من غير ما سكر  
 أقول: ياليتني قد كنت في زمن الـ  
 ليشتني كبدي ضرباً بذي شطب

كم قد تخلف عند المهد من رجل!  
 العباس - لاشك - و المقداد و الدؤلي  
 به و كان رهين الحوادث الجليل  
 في الحرب إن زالت الأجيال لم يزل  
 في جوده فتمسك - يا أخني - بهل  
 علمي و غير عليّ ذاك لم يقل  
 فقوموني فإني غير معتدل!  
 فقدأ قرّ له بالحق كلّ ولي  
 نصّ النبيّ له في مجمع حفل  
 غنى بهارون فيه ضارب المثل  
 قالوا - ولم يوص - يا بعداً لذي جدل!  
 يستضحك الجهل فيه ساير المثل  
 فثه على غنم في غيها هبل  
 هادي بهذا و ما هذا بحتمل  
 زيد و عمرو فإلّبي لم يحل  
 نخعي و قيس و أعيان من النبل  
 منه بدنياً فسل عن رأيه الخطل  
 حتّى اخترنا و جدنا دارس الطلل  
 فقد كفاه بقربي خاتم الرسل  
 إليك عني فإني عنك في شغل  
 ضرام وجد على الأيّام في شغل  
 هبابه مثل ميل الشارب الثمل  
 هادي لأحضر فيه وقعة الجمل!  
 في الظالمين و طعننا بالذبل



وإنني لقتيل الطف مكتتب  
وإن سيني عفاً عن دمائهم  
حتى أكون إذا اسودت وجوههم  
ويا بني الطهر إن غابت جسومكم  
فأنتم الذخر في حشري وعافيتي  
فما يولي ضميري عن ولائكم  
ولا تكم في ضمير القلب مسكنه  
وإذ بحجبتكم ربّي تخيّر لي  
إن «ابن رزّيك» ذو قلب يواجهكم  
يصوغ فيكم رياضاً من مدائحه  
مثل العرائس تجلّي من ملابسها  
بيض المعاني إذا اسودت مدارعها  
مثل النجوم تحت السير وادعة  
تلهى العقول الرصينات البناء بها  
كأنما في الحدود الناصعات جرى  
بيضاء سوداء في حال كأن بها  
وما الإمارة من نطقي بماعة

إذ راحتي لبني اللخناء لم تطل  
وإن طرقي على الأنجاس لم يجل  
ألقى إلهي بوجه في المعاد جلي  
عن رأي عيني فما تناون بالرحل  
في علتي، وبكم أمني من الوجل  
ولا تميل الليالي بي إلى الملل  
وذكركم في في أحلى من العسل  
أعلى الأنام فما آسي على السغل  
من الولاء بوجه منه مقتبل  
كالروض دجّه وشي الندى الخضل  
على المسامع في حلّي من الحلل  
فربّها آمن من حمرة الخجل  
في كلّ أرض ولا تعتاق با لكلل  
عن الشمس التي يغرين في الكلل  
ماء اللمى فاعتراه النهب بالقبل  
على الحقيقة سرّ الأعين النجل  
السيف لي وأفانين البلاغة لي<sup>١</sup>

\*\*\*\*\*

٣

و قال راثياً العترة الطاهرة عليهم السلام :

لاتبك للجيرة السارين في الظعن ولا تعرج على الأطلال والدمن

١. ديوان طلائع ١٠٦/١٠٩. وجاء بعض أبياتها في المناقب لابن شهر آشوب. والغدير ٣٤٢/٤.

فليس بعد مشيب الرأس من غزلٍ  
و تُب إلى الله و استشفع بخيرته  
محمدُ خاتم الرّسل الذي سبقت  
و أنذر النّطقاء الصادقون بما  
الكامل الوصف في حلمٍ و في كرمٍ  
ظلّ الإله و مفتاح النّجاة و يذ  
فاجعله ذخرك في الدارين معتصماً  
وصيّّه و مواسيه و ناصره  
ذاك الذي طلق الدنيا لعمرى عن  
و أوضح المشكلات الخافيات و قد  
أليس في «هل أتى» ما يستدلّ به  
و قصّة «الطائر المشوي» قد كشفت  
في يوم بدرٍ و أخذ و المذاذ و في  
و من تفرّد في القربى و قد حسنت  
أوصى النبيّ إليه لا إلى أحدٍ  
فقال: هذا وصيّى و الخليفة من  
قالوا: سمعنا فلماً أن قضى غدروا  
ثم اقتنى فعله الثاني و رام على الـ  
و جاء بالظلم و العدوان ثالثهم  
و عاد زوجُ البتول الطهر فاطمة  
و أظهروا الحقد في آل الرسول فما  
حتى لقد حملوهم في زمان بني  
لأن عدائي زمانى عندهم فلقد  
ياحرّ قلبي على قتل الحسين و يا

و لا حنين إلى إلف و لا سكّن  
من خلقه، ذي الأيادي البيض و المني  
به بشارة «قسّ» و «ابن ذي يزن»  
يكون من أمره و الطهر لم يكن  
و الطاهر الأصل من دان و من درن  
بوع الحياة و غيث العارض الهتن  
له و «المرتضى الهادي أبي الحسن»  
على أعاديه من قيس و من يمين  
زهديّ و قد سمرت عن وجهها الحسن  
دقّت على الفكر و اغتاضت على الفطن  
من كان لا يتعدّى واضح السّنين؟  
عن كلّ قلبٍ غطاء الرين و الظنن  
حسين أو خير هل كان ذا وهن؟  
أفعاله فعدت تاجاً على الزّمن؟  
سواه في «ختم» و الأصحاب في علن  
بعدي و ذو العلم بالمفروض و السّنين  
و الطهر أحمد ماواروه في الجبن  
إغضاء عن حقّه خوفاً من الفتن  
والدين من فعلهم ذو مدمع هتن  
أخو النبيّ يرى في زيّ ممتهن  
تطوى جوانحهم إلّا على إحن  
أميّة فوق حدّ الصّارم الحشن  
ذمت لما عداني عنهم زماني  
لهني و يا طول تعدادي و يا حزني!

لهني على الأنجم الزهر التي أفلت  
 سبوا حريم رسول الله بل طعنوا  
 لهني على عصب بالطف ظامية  
 وآل حرب لهم صفو الفرات ولم  
 أشهى إلي من المحيى المات إذا  
 لما تذكرت إذ سالت دماؤهم  
 أظلت صبري فهل يا قوم ينشده  
 يا أمة عدمت أخلاقها سفها  
 غرقتم في بحار الغي يقذفكم  
 غوصتموني عن آل الرسول أسئ  
 فالوجد مني لا يغني تضرعه  
 أغريتموني بأن أبدي مقابحكم  
 يكفيكم أن أجزم ظلم فاطمة  
 وقاتل ابن البتول الطهر فهو كمن  
 فاعدا ابن زياد ظلم أولكم  
 قلبي بحبي لأهل البيت مرتين  
 إذا سمعت بقوم يستمون لهم  
 هنتم غداة جعلتم في معاوية  
 أنا «ابن رزيك» لا أبغي بهم بدلا

و أبعدتها بنو حرب عن الوطن  
 فيه بهم بأنابيب القنا اللدن  
 نالت من القتل فيهم أعظم المحن  
 يسمح لهم بشارب الآجن الأسن  
 ذكرت مصرعهم واعتادني حزني  
 على النحور مضى صبري وودعني  
 لي ناشد، وله يا قوم ينشدني؟  
 فالقدر كان بها يجري مع اللبن  
 إلى الجحيم وخيتم عن السفن  
 فصرت فيهم حليف الوجد والحزن  
 عليهم أبدا والدمع لم يخن  
 وأن أردني إليكم أظهر الجنين  
 وقتلكم للحسين الطهر والحسن  
 عدا لها غاصبا في أول الزمن  
 بل اقتدى حين أجراه على سنن  
 وبالطغاة، فقلبي غير مرتين  
 يهزني الشوق هز الريح للسفن  
 حق الوصي فأما الحق لم يهن  
 حتى أوسد في لحدي وفي كفني

\*\*\*\*\*

١. ديوان طلائع / ١٤٦-١٤٨. وذكر ابن شهر آشوب في المناقب ٧ أبيات منها. وفي الغدير ٢٤٢/٤

ذكر ٩ أبيات. وفي أعيان الشيعة ١٠٦/٣٦ جاء ٥ أبيات.

و أنشد في مناقب العترة الطاهرة عليهم السلام:

أنا من شيعة الإمام عليّ	حرب أعداءه، و سلم الوليّ
أنا من شيعة الإمام الذي ما	مال في عمره لفعلٍ دنيّ
أنا عبدٌ لصاحب الحوض سا	قي من توالى فيه بكأسٍ رويّ
أنا عبدٌ لمن أبان لنا المش	كل فارتاض كلُّ صعبٍ أبيّ
و الذي كبرت ملائكة الله	له عند صرعة العامريّ
الإمام الذي تخيره الله	ه بلا مرية أخاً للنبيّ
قسماً ما وقاه بالنفس لما	بات في القرش عنه غير عليّ!
و لعمرى إذ حلّ في يوم «خُم»	لم يكن موصياً لغير الوصيّ
المبرئ من كل عيب و ريب	و المسوئ بغير نقص و عيّ
فيه قد هداني الله للحق	في فالي و رأي كل غويّ
خفيّ الفضل في سواه و أمّا	فضله في الوغى لغير خفيّ
من تغابى عنه فثلي عن الفض	ل الشهير المبين غير غبيّ
و اتصالي به لدى الحرب أبدى	لي نصراً على الشجاع الكميّ
و إذا أظلمت خنادس خطب	كنت منه على رجاء مضيّ
و أنا منذ كنت أسعى لسادا	تي على منهج الصراط السويّ
يا ضعيف اليقين، إن اعتقادي	في عليّ على يقين قويّ
أنا في القول لا أطيع غويّاً	إذ مطيع الغويّ نفس الغويّ
ذكر آل النبيّ عندي كاللبش	رى و ذكرى سواهم كالنعيّ
قد جرى حبّهم بجسمي كما احت	لمت مجاري الرضاع جسم الصبيّ
أنا أسخو بالمال لكن بديني	- إن تأملتني - فغير سخيّ
في ولائي أبرى من الظالم الغا	شم فاسكن إلى وليّ بريّ

من دعاني إلى الأئمة أسرع  
وإذا ما خيار قومي رضوا عد  
فاجتل الآن من نظام «ابن رز»  
وإذا أجذبت خواطر قوم  
خاطر تقرب المعاني عليه  
كلم تكسب المعاطف والتب  
ت إليه ولم أكن ببطي  
ني لم أحفل بغير رضي  
يك» حلياً يفوق نظم الحلي  
فاحظ من خاطري بروض ندي  
إن دعاها من المكان القصي  
جان هزاً إن أنشدت في الندي<sup>١</sup>

### الشاعر

أبو الغارات الملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين طلائع بن رزيك ابن الصالح الأرمني. ولد سنة ٤٩٥ في اسرة كانت تسكن صقع جبل عظيم يسمى «إرمينية».

إن قصة طلائع و توليته العرش الفاطمي غريبة جداً؛ فقد ذكر المقرئ في حكاية مفادها: أنه زار الملك الصالح مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جماعة من الفقراء و أمّام مشهد علي رضي الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم؛ فزار طلائع و أصحابه و باتوا هنالك؛ فرأى السيد في منامه الإمام صلوات الله عليه يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجل يقال له: طلائع بن رزيك، من أكبر محبينا. فقل له: اذهب فإننا قد وليناك مصر! فلما أصبح، أمر من ينادي: من فيكم اسمه طلائع بن رزيك فليقم إلى السيد ابن معصوم! فجاء طلائع إلى السيد و سلّم عليه فقصّ عليه رؤياه؛ فرحل إلى مصر و أخذ أمره في الرقي. فلما قتل نصر بن عباس، الخليفة الظافر اسماعيل، استشارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيه شعورهن. فحشد طلائع الناس يريد النكبة بالوزير القاتل؛ فلما قرب من القاهرة فرّ الرجل و دخل طلائع المدينة بطمانينة

١. ديوان طلائع / ١٧١-١٧٢. الغدير ٤/ ٣٤٢ ذكر منها ٨ أبيات.

و سلام. فخلعت عليه خلايع الوزارة و لُقّب بالملك الصالح فارس المسلمين، نصير الدين؛ فنشر الأمن و أحسن السيرة<sup>١</sup>.

وبعد دخوله مصر، عمل بكل قواه في الدعوة للفاطمية و تقرب إلى البلاط و عين والياً على قوص و من ثم والياً على أسوان. و قرر البلاط أن يدخل الصعيد المصري تحت ولايته و يخضع لإمرته.

دخل طلائع القاهرة فوضع السيف بين من بقى من أصحاب عباس الصنهاجي، و تكفل أمر الخليفة و ساس الأمور و كاتب الفرنج و طلب منهم نصر بن عباس و بذل إليهم أموالاً إلى أن تسلمه؛ فلما وصل إلى القاهرة سلمه إلى نساء القصر فأقن يضربنه بالقباقيب و الزرايل أياماً و قطعن لحمه و أطعمنه إياه إلى أن مات ثم صُلب<sup>٢</sup>.

لقد لعب الشعر دوراً هاماً في دعوة طلائع للأخذ بثار الخليفة و من بعد أن اعتلى دست الحكم لأنه كان مولعاً بالشعر مقرباً للشعراء، يفد عليه أكبر أعيان أهل الأدب مثل القاضي الجليس و الموفق بن الخلال و ابن قادوس و المهذب بن الزبير و الرشيد بن الزبير و غيرهم من الذين وصفهم الفقيه عبارة بقوله: و ما من هذه الحلبة أحد إلا و يضرب في الفضائل النفسانية و الرياسة الإنسانية بأوفر نصيب، و مازلت أأخذو على طرائفهم و أعرض جزعي في سوابقهم حتى أثبتوني في جرائدهم<sup>٣</sup>.

فهؤلاء الأعلام كانوا يجتمعون في مجلس المترجم له يتناشدون الشعر و يتناضرون في بعض المسائل العلمية و الأدبية و يستمعون إلى شعر الملك الصالح.

١. الخطط ٤ / ٨١ - ٨٢.

٢. النجوم الزاهرة ٥ / ٢٩٣.

٣. النكت العصرية / ٣٥.

و في ذلك يقول صاحب النجوم الزاهرة: و جعل له مجلساً في أكثر الليالي يحضره أهل الأدب؛ و نظم هو شعراً و دوّنه، و صار الناس يهرعون إلى نقل شعره. و ربّما أصلحه له شاعر كان يصحبه يقال له ابن الزبير<sup>١</sup> و يظهر أنّ الملك الصالح كان ينشد القصيدة أو المقطوعة ولكنّه كان يعرض ما ينشده على المهذب بن الزبير، و على غير المهذب ممّن كان يتوسّم فيهم مقدرة و كفاية على تثقيف الشعر. إذ يحدّثنا عمارة اليمني: و دخلت إليه ليلة السادس عشر من رمضان سنة ٥٥٦ قبل أن يموت بثلاث ليال بعد قيامه من السباط، و لم أكن رأيته من أوّل الشهر بليلة، فأمر لي بذهب و قال: لا تبرح! و دخل ثم خرج إليّ و في يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره عملهما في تلك الساعة و هما:

نحن في غفلة و نوم و للمو      ب عيون يقظانة لاتنام  
قد رحلنا إلى الحمام سنيماً      ليت شعري متى يكون الحمام<sup>٢</sup>

ثم قال لي: تأملهما و أصلحهما ان كان فيهما شيء! قلت هما صالحان<sup>٣</sup>. فالملك الصالح كان يستعين بفحول الشعر في عصره لإصلاح شعره و ليس في ذلك ما ينقص من قدرته في الشعر. و المؤرخون يحدّثوننا أنّ بعض فحول شعراء العرب كانوا يعرضون شعرهم على غيرهم من الشعراء؛ فروان ابن ابي حفصة، شاعر هارون الرشيد الرسمي، كان يعرض شعره على أبي تمام، و كان أكثر الشعراء يعرضون شعرهم على الأصمعي أو غيره من اللّغويين. فإذا كان الملك الصالح طلائع، قد استعان بالمهذب أو بعمارة أو بغيرهما من شعراء ذلك العصر لإصلاح شعره، فإنّ ذلك يدلّنا على أنّ هذا الوزير كان يعرف قيمة

١. النجوم الزاهرة ٥ / ٣١٣.

٢. ديوان طلائع؛ قافيه الميم / ١٣٢.

٣. النكت المصرية / ٤٩.

الشعر؛ فلم يستريح لنفسه أن يعرض شعره على الناس قبل أن يتأكد من قوة هذا الشعر وصلاحه. و لكن يا قوت ذكر في معجم الأدباء في حديثه عن ابن الزبير: قيل إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المذهب بن الزبير.<sup>١</sup> و لا ادري من اين استقى يا قوت هذا الخبر؟ و ربما اشتبه عليه الأمر فظن أن ابن الزبير هو صاحب الشعر الذي في ديوان ابن الرزيك بدلاً من أنه كان يثقف هذا الشعر. و قد انتهت إلينا قطعة من قصيدة لابن الزبير يتحدث فيها عن شعر الملك الصالح منها:

و لَنارِ فطنته تُريك لشعره	عذبا يروى غلة الظُّمآن
و عقود درّ لو تجسّم لفظها	مارصّعت إلّا على التّيجان
و تنزّهت عن أن يرى أفوادها	لمواضع الأقراط والآذان
من كلّ رائحة الجمال زهت بها	بين القصائد غرة السلطان
سيّارة في الأرض لا يعتاقها	في سيرها قيد من الأوزان <sup>٢</sup>

و لم يكن الملك الصالح شاعراً فحسب؛ بل كان في الوقت نفسه يُعدُّ من عظماء علماء المذهب الجعفري. و يقول المقرئزي إن له قصيدة سمّاها: «الجمهرة في الرد على القدريّة»<sup>٣</sup> و صنّف كتاباً أسماه: «الاعتقاد في الرد على أهل العناد» جمع كافّة المناقشات العقائدية التي جرت له مع علماء بقية النحل و الطوائف.

١. معجم الأدباء ٤٧/٩.

٢. في أدب مصر الفاطمية / ١٩٦.

٣. الخطط ٨٢/٤.



## ديوان طلائع بن رزيك

لقد أجمع أصحاب السير و التاريخ أن طلائع حاز من العلوم و الآداب ما لم يدانه فيه أحد. و أنه سمع من الشعر فأكثر و كان متكلماً شاعراً أديباً جيد الشعر، يقع ديوانه في جزئين<sup>١</sup>. و أنه كان متحمساً في عقيدته و دعوته إلى الفاطمية إلى جانب سياسته الحكيمة و تطلّعه في مهام الحرب و شؤونها؛ لذلك رأيتني انصرفت إلى جمع شعره و تهذيبه و البحث عنه في بطون المجاميع الخطيّة و كتب التاريخ و الأدب، ردحاً من الزمن؛ و وضعت دراسة تحليليّة عن الشاعر جاءت في صورة مفصّلة و في مجلد كبير يحتوي على أكثر من ألفين بيت؛ أهمّها في مدح العترة الطاهرة و أغراض مختلفة أخرى، رتبته حسب القوافي و الحروف<sup>٢</sup>.

و من المؤسف جداً أن يتصدّى لجمع شعره أديب مصري، الدكتور أحمد احمد بدوي استاذ النقد الأدبي، المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، فيُخرج عام ١٩٥٨ كتيباً مفككاً باسم «ديوان طلائع بن رزيك» يودع فيه من شعره ٥٠١ بيتاً و يضرب عن بقية شعره و نظمه في الأئمة عرض الجدار، مع عدم ذكر الأسباب التي حدثت بالدكتور حذف قسم كبير من شعره و طبع جزء ضئيل منه؛ كما إن دراسة الدكتور لشخصيّة طلائع مبتورة و ناقصة لم تشمل دراسته حياة الشاعر بكاملها، مع ما فيها من آراء و نظريات لم تتركز على أساس تاريخيّ و لم تُبنَ على حجج تاريخية؛ بل هي بعيدة عنها غاية البعد. إلى غير هذا من المآخذ التي شوّهت ديوان طلائع؛ و ليته لم يخرج به هذه الصورة المشوّهة! و يقع في ١١٤ صفحة بقطع الربع و من مطبوعات مكتبة

١. تاريخ ابن خلكان ٢٠٨/١. النجوم الزاهرة ٣١٠/٥. خريدة القصر: قسم شعراء مصر ١٧٣/١.

٢. طبع عام ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م.

نهضة مصر بالفجالة. و قد رتبته حسب الأبواب العروضية ابتداءه بباب الغزل و ختمه بباب المدح و أعقبه بباب ماجرى بينه و بين أسامة. و عملُ الدكتور هذا و إن اعتبرناه ثمرة طيبة في الإفادة و القضايا الفاطمية بيد أننا لم نرضَ من سيادته تفكيكه لشعر طلائع، و تمزيقه له و حذف و بتر ما لا تروقه. و هذا بحق خيانة تاريخية، و جناية أدبية و إماتة للأدب و أهله.

و مهما يكن من أمرٍ فعندما مات الخليفة الفاطمي الفائز، أقام العاضد في الخلافة و تولى تدبير ملكه على عادته؛ و ثقل طلائع على العاضد، فدبر في قتله. فلما كان عاشر شهر رجب عام ٥٥٦ عند ما حضر المترجم قصر الخلافة و ثب عليه باطنيٌ فضربه بسكين في رأسه و قُتل الباطني. و مات الملك الصالح من الغد؛ و حزن الناس عليه لحسن سيرته؛ و أقيم المآتم عليه بالقصر في القاهرة و مصر.<sup>١</sup> و فرح بذلك العاضد و قام في الوزارة بعده رزّيك ابن المترجم له و سار على سيرة أبيه فلم يحسن ذلك ببال العاضد، فكتب إلى شاور بن مجير الذي وليه الصعيد، فقَدَّم مع جمع من العبيد و الأوغاد و قديم القاهرة لمحاربة آل رزّيك؛ فوقع احتدامٌ بينهما و فرّ رزّيك ثم أُلقي عليه و قتل؛ و أخذت الحالة تسير بهدوء نحو الاضطراب و الدمار. دُفن الملك الصالح بالقاهرة ثم نُقل عام ٥٥٧ ولده العادل الوزير الشاعرُ تابوت والده من القاهرة إلى مشهد بُني له في القرافة، و رثاه جماعة من الشعراء.

## القاضي الجليس

(المتوفى ٥٦١ هـ.)

دعاه لِوَشْك البين دَاع فأسمعا  
و لم يُبْقِ في قلبي لصبري موضعاً  
أجنُّ إذا ما الليل جنَّ كآبةً  
و ما انقدتُ طوعاً للهوى قبل هذه  
و أودع جسمي سقمه حين ودَّعا  
و قد سار طوع النأي و البعد موضعاً  
و أبدي إذا ما الصبح أزمع أدمعاً  
و قد كنت ألوى عنه ليناً و أخدعاً  
إلى أن يقول :

تصاممت عن داعي الصبابة و الصَّبِي  
عَشَوْتُ بأفكاري إلى ضوء علمهم  
علقت بهم فليلحُ في ذاك من الحما  
تسرَّعتُ في مدحي لهم متبرِّعاً  
هم الصائمون القائلون لربهم  
هم القاطعوا الليل البهيم تهجداً  
هم الطيبوا الأخيار و الخيرُ في الورى  
بهم تُقبل الأعمال من كلِّ عاملٍ  
بأسمائهم يُسقى الأنام و يهطل الـ  
هم القائلون الفاعلون تبرُّعاً  
أبوهم وصيُّ المصطفى حاز علمه  
أقام عمودَ الشرع بعد اعوجاجه  
و واساه بالنفس النفيسة دونهم  
وسماه مولاهم و قد قام معلناً  
فن كشف الغمائم عن وجه أحمدٍ  
و من هزَّ باب الحصن في يوم خيبرٍ  
و لبَّيتُ داعي آل أحمد إذ دعا  
فصادفتُ منه منهج الحق مهيعاً  
تولَّيتهم فلينع ذلك من نعي  
و أقلمت عن تركي له متورِّعاً  
هم الخائفوه خشيةً و تحشُّعاً  
هم العامروه سُجداً فيه ركعاً  
يروقون مرئى أو يشوقون مسمعا  
بهم تُرفع الطاعات ممَّن تطوَّعا  
نهام و كم كربٍ بهم قد تقشَّعا  
هم العاملون العاملون تورُّعاً  
و أودعه من قبل ما كان أودعا  
و ساند ركنَ الدين أن يتصدَّعا  
و لم يخش أن يلقى عداه فيجزعا  
ليستلوه في كلِّ فضلٍ و يشفعا  
و قد كرَّبت أقرانه أن يقطَّعا  
فزلزل أرض المشركين و زعزعا؟

وفي يوم بدرٍ من أحنّ قلوبها  
وكم حاسدٍ أغراه بالحقد فضله  
لوى غدره «يوم الغدير» بحقه  
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى  
إذا رام أن يخفي مناقبه جلّت  
متى همّ أن يطوي شذى المسك كاتمٌ  
أيا أمة لم تزعّ للدين حرمةً  
بأيّ كتاب أم بأية حجةٍ  
غضبتكم وليّ الحقّ مهجةً نفسه  
والجملتُم آل النبيّ سيوفكم  
وحلّلتُم في كربلاء دماء هم  
وحرّمتُم ماء الفرات عليهم

جسوماً بها تدمي وهاماً مقطّعا؟  
وذلك فضلٌ مثله ليس يدعى  
وأعقبه «يوم البعير» وأتبعها  
وعاتبه الإسلام فيه فما وعى  
وإن رام أن يُطفي سناه تشعشعا  
أبى عرفه المعروف إلّا تضوّعا  
ولم تبق في قوس الضلالة منزعا  
نقضتُم بها ما سنّه الله أجمعا؟  
وكان لكم غصبُ الإمامة مقنعا  
تفرّي من السادات سوقاً وأذرعاً  
فأضحت بها هيم الأسنة شرّعا  
فأصبح محظوراً لديهم ممنّعا<sup>١</sup>

مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة

الشاعر

أبوالمعالى عبد العزيز بن الحسين بن الخطاب<sup>٢</sup> الأغلبى السعدي الصقلي  
المعروف: بالقاضي المجلس، الملقّب: بأمين الدولة، المتوفى ٥٦١ هـ.  
أحد الشعراء الذين كان يقتدي بهم الفقيه عمارة اليمني في مدح الملك  
الصالح طلائع؛ ويُعدّ من مُقدّمي شعراء مصر وكتّابهم. وأدرك عصر ثلاثة من  
خلفاء الفاطميين: الظافر والفائز والعاقد. وهو الذي أرسل بقصائد إلى  
طلائع، و كان لها أثرها البالغ في نفس الملك الصالح. و استدعاه من الصعيد  
للأخذ بشار الخليفة الظافر، و تلقيبه بالمجلس لكثرة مجالسته للخلفاء و تقرّبه

١. الغدير ٣٨٤/٤. وذكر ابن شهر آشوب في المناقب ٧٧/٤ من القصيدة ٦ أبيات.

٢. وجاء في بعض المراجع «الخطاب» و في موضع «الجبّاب» بالجيم والباء الواحدة المشدّدة وبعد الألف باء.

منهم. و هذا مما دعى الشعراء أن يمدحوه و يلوذوا به، و ينشدوا مدائحهم فيه. كان القاضي المجلسي ممن أغرق نزعاً في موالاة العترة الطاهرة، كما ينم عنه شعره. و في أيام الفائز ... كان كاتباً في ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال؛ و هذا مما جعله أن ينصرف من قرض الشعر، و يقل إنتاجاً فيه. و هذا ما جعله أن لا يهتم بالشعر اهتمام زملائه الشعراء. و ربما كانت الصلة التي بينه و بين الملك الصالح، جعلته ينظم بين آونة و أخرى. فقد جاء أن الملك الصالح عند ما كان ينظم قصيدة يأمر بماليكه و منهم القاضي المجلسي بعمل قصيدة مثلها. و لهذا تراه كثيراً ما يمدح ابن رزّيك في شعره؛ فمنها قوله من قصيدة:

و لقد رضيت بخير طبعك حاكماً	ياخير مأمول و أكرم غافراً؛
حلّيت - يابحر السباحة - حالتي	بفواضل و مسامعي بجواهر
و بلغت في الإكرام بي فوق المنى	فغدوت ربّ مناقب و مفاخر
واتيتني من حسن رأيك منزلاً	يسمو على نسر النجوم الطائر
فلذاك شكري ليس يبرح ماثلاً	في منطلق و ممثلاً في خاطري
فاسلم مديد العمر محمّي الذرى	من كلّ خطب عاير أو عابر
حتى يعدّ الناس ما قد شاهدوا	من طول عمرك في الغريب النادر

و قال في قصيدة غالى في حقّه، و لا يحسب غلواً دونه. و ذكر أن الملك الصالح هو السبب فحسب في بقاء الدولة بعد الظافر؛ و لولاه لذهبت ضحية الدمار و النهب؛ و أنه الذي دفعه إلى إنشاد الشعر و إليه يعود الفضل في ذلك؛ و أول القصيدة قوله :

على كلّ خير من و صالك مانعٌ      و في كلّ لحظٍ من جمالك شافعٌ

إلى أن يقول :

كفيل إمام العصر و الصالح الذي      بعزمته أودى الشقي المقاطع

و لولاه كان القصر نهياً مقسماً  
و لكنّه وافي من الله نجدة  
فقرت به عين النبي و آله  
هو الملك الوضاح و الصالح الذي  
فهّمته في أن تشاد مساجد  
أيا ملك الأملاك! لولاك ما أتت  
و هُتِك أستار و عمت فجائع  
يجاهد عنهم دائماً و يمانع  
و أدرك آثار و فرّت مضاجع  
له صدق عزم للمصالح جامع  
و همّ سواه أن تشاد مصانع  
إلينا أوابي الشعر و هي طوايع<sup>١</sup>

فهذه الأبيات و غيرها، إن دلت على شيء فإنما تدل على أن القاضي المجلس كان قليل الإنتاج في الشعر. و لكنّ الأدوار الأدبية التي مرّت على مصر، و لعب الشعر على مسرحها فتقدم و اكتظت القاهرة بالشعراء، حبّب لنفس القاضي ذلك، و أخذ يقول الشعر في كلّ مناسبة أو في كلّ ناد و مجلس. فقد أنشد بعض جلساء الملك الصالح بمجلسه بيتاً من الأوزان التي يُسمّيها المصريون : «الزكاش» و يسمّيها العراقيون : «كان و كان» :

النار بين ضلوعي و ناغريق في دموعي  
كني فتيلة قنديل أموت غريق و حريق

و كان عنده القاضي المجلس، فنظم معناه بديهاً فقال:

هل عاذرٌ إن رمت خلع عذارى  
في شم سالفة ولثم عذارٍ؟  
تتألف الأضداد فيه و لم تزل  
في سالف الأيام ذات نفارٍ  
و له من الزّفرات لفح صواعق  
و له من العبرات لجّ بحارٍ<sup>٢</sup>

١. ديوان طلائع ٢٨/ - المقدمة.

٢. في نسخة: تردى و بالعبرات سحّ بحار.

كذبالة القنديل قُدر هلكها ما بين ماء في الزجاج و ناراً<sup>١</sup>

و مهما يكن من شيء فالقاضي المجلس في تاريخ الدولة الفاطمية كان يعدّ من كبار رجالها. و قد مدحه كثير من الشعراء كما هجاه بعضهم؛ و منهم ابن الصياد<sup>٢</sup> الذي كان مولعاً بهجائه، كثير التّهكّم بأنفه الكبير، حتى قيل: أنّ ابن الصياد أنشد أكثر من ألف مقطوعة في أنف القاضي المجلس إلى أن انتصر له أبو الفتح ابن القادوس، فهجا ابن الصياد فسكت عنه.

و يمكننا القول: أن كثيرين لضعف خلقهم، كانوا يحسدونه في مقامه و قرب منزلته و مكانته عند الخليفة الفاطمي؛ فشمتوا به في حياته و مماته. و تأييد هذا ما ذكره جلّ المؤرّخون من الأقدمين و المعاصرين: أنّه لمّا مات القاضي المجلس شمت به المهذّب و مشى في جنازته بثياب مذهبّة، فاستقبح الناس فعله و نقص بهذا السبب<sup>٣</sup>.

و لا يفوتنا ملاحظة و هجاء المجلس أيضاً. فقد كان يتفنّن كثيراً في بعض فنون الشعر، و من ذلك قوله يتّهكّم بطبيب يقال له ابن السديد<sup>٤</sup>، على سبيل

١. خريدة القصر؛ قسم شعراء مصر ١/١٨٣، الفدير ٤/٣٩٠.

٢. أبو القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد.

من الشعراء المجيدين الكثيرين. في القرن السادس الهجري؛ و كان يسكن القاهرة. و لم أجد من ترجم له، رغم التتبع و البحث.

٣. في أدب مصر الفاطمية: ٢١٧/، فوات الوفيات ١/٣٣٧.

٤. شرف الدين أبو المنصور عبد الله بن علي بن داود بن المبارك بن السديد المتوفى ٥٩٢ هـ.

الشيخ السديد، و شيخ الطبّ بالديار المصرية. أخذ الصناعة عن الموفق بن المعين و خدم العاضد الفاطمي صاحب مصر. و نال الحرمة و الجاه العريض، و عمر دهرأ. و أخذ عنه نفيس الدين بن الزبير؛ و حكى بعضهم أن الشيخ السديد حصل له في يوم ثلاثون ألف دينار. و حكى عنه ابن الزبير تلميذه: أنّه طهر

## المداعبة :

و أصل بليّتي مَنْ قد غزاني      من السَّقم الملح بعسكريين  
طبيبٌ طَبَّه كغراب بينِ      يفرِّق بين عافيتي و بيني  
أقَى الحمى و قد شاخت و باخت      فعاد لها الشباب بنسختين  
و دبَّرها بتدبير لطيف      حكاه عن سنين او حنين  
و كانت نوبةً في كلِّ يوم      فصيرها بحذقِ نوبتين<sup>١</sup>

وللمترجم أيضاً قصائده المذهبية التي تم عن تأثره بالعقائد الفاطمية و  
تظلمه بها.

و من شعره في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

إن خانها الدمع الغزيرُ      فمن الدماء لها نصيرُ  
دعها تسحُّ و لا تشحُّ      فرزاه رزءٌ كبيرُ  
ما غصبُ فاطمة ثمراتُ      محمد خطبُ يسيرُ  
كلّا و لا ظلم الوصي      و حقه الحقُّ الشهيرُ  
نطق النبي بفضله      و هو المبشر و النذيرُ  
جحدوه عقد ولاية      قد غرَّ جاحده الغرورُ  
غدروا به حسداً له      و بنصّه شهد «الغدير»

←

ولدي الحافظ لدين الله و حصل له من الذهب، نحو خمسين ألف دينار.  
خدم في عصره خمسة من الخلفاء الفاطميين، ثم خدم صلاح الدين الأيوبي، مدة مقامه بالقاهرة. و هو من  
بيت علم بالطب، و كان أبوه طبيباً قبله للخلفاء؛ له أخبار.  
الأعلام ٢٤٢/٤. شذرات الذهب ٣٠٩/٤. طبقات الأطباء ١٠٩/٢. العبر في خبر من غير ١٠٥/٣.  
مرآة الجنان ٤٧٣/٣.

١. خريدة القصر، قسم شعراء مصر ١٩٢/١. الغدير ٣٨٨/٤. فوات الوفيات ٣٣٣/٢.





و حاملاً ردّ كلّ نفس  
أقسم لو قد طيّبت دهرأ  
همت عن الجسم بالبعاد  
لَعَادَ كُوناً بلا فساد

و كتب إلى القاضي الرشيد المصري قوله :

ثروة المكرّمات بعدك فقر  
بك تجلّ - إذا حلّلت - الدّياجي  
و محلّ العلى ببعدهك فقر  
و تمسّر الأيّام حيث تمّر  
أذنب الدهر في مسيرك ذنباً  
ليس منه سوى إيابك عذراً<sup>١</sup>

و من شعره :

و من عجيبي أن الصوارم و القنا  
و أعجب من ذا أنها في أكفهم  
تحيض بأيدي القوم و هي ذكور  
تؤجج ناراً و الأكف بحور<sup>٢</sup>

و منه قوله :

حيّاً بتفاحة مخضبة  
فقلت: ما إن رأيت مشبهها  
من شقني حبه و تيمني  
فاحمرّ من خجله فكذبني

وله :

قد أهملت كلّ الأمور فما  
بسداد مختلفين ما لها  
يُعنى بمصلحة و لا يغنى  
إلا فساد أمورنا معنى  
يأتي فيكتب ذا و يشطب ذا  
فنعود بعدهما كما كنّا

و قال :

١. وفيات الأعيان ١/ ١٦٣.

٢. فوات الوفيات ٢/ ٣٣٣-٣٣٥.

رُبَّ بَيْضٍ سَلَّلَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضاً      مرهفات جُفُونُهُنَّ جَفُونُ  
و خُدُودٌ لِلدَّمْعِ فِيهَا خُدُودٌ      و عَيُونٌ قَدْ فَاضَ فِيهَا عَيُونُ

وله :

حَبَّذا مَتَعَةُ الشَّبَابِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا      ذُرٌّ فِي حَبِّهَا الْخَلِيعُ الْعَذَارِ  
إِذْ بَذَاتُ الْخَمَارِ أَمْتَعُ لَيْلِي      وَ بَذَاتُ الْخَمَارِ أَهْوَى نَهَارِي  
و الْغَوَانِي لَا عَنَ وَصَالِي غَوَانٍ      وَ الْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِي

و قَالَ يَرِثِي وَالِدَهُ، وَ قَدَمَاتُ غَرِيقاً فِي الْبَحْرِ لَرِيحٍ عَصَفَتْ:

وَ كُنْتُ أَهْدِي مَعَ الرِّيحِ السَّلَامَ لَهُ      مَا هَبَّتِ الرِّيحُ فِي صُبْحٍ وَ إِمْسَاءٍ  
إِحْدَى ثِقَاتِي عَلَيْهِ كُنْتُ أَحْسَبُهَا      وَ لَمْ أَخْلُ أَنَّهُمَا مِنْ بَعْضِ أَعْدَائِي

وله :

أَلَمْتُ بِنَا - وَ اللَّيْلُ يَزْهِي - بِسَلْمَةٍ      دَجُوجِيَّةٌ لَمْ يَكْتَهَلْ بَعْدَ فَوْدَاهَا  
فَأَشْرَقَ ضَوْؤُ الصُّبْحِ وَ هُوَ جَبِينُهَا      وَ فَاحَتْ أَزَاهِيرُ الرَّبِّي وَ هِيَ رِيَّاهَا  
إِذَا مَا أَجْتَنَّتْ مِنْ وَجْهِهَا الْعَيْنُ رَوْضَةً      أَسَالَتْ خِلَالَ الرُّوضِ بِالْذَّمْعِ أَمْوَاهَا  
وَ إِنِّي لِأَسْتَسْقِي السَّحَابَ لَرْبَعَهَا      وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا ضُلُوعِي مَأْوَاهَا  
إِذَا اسْتَعْرَتْ نَارُ الْأَسَى بَيْنَ أَضْلَعِي      نَضَحْتُ عَلَى حَرِّ الْحَشَا بَرْدَ ذِكْرَاهَا  
وَ مَا بِي أَنْ يُصَلِّيَ الْفَوَادُ بِحَرِّهَا      وَ يَضْرُمُ، لَوْلَا أَنَّ فِي الْقَلْبِ سَكْنَاهَا<sup>١</sup>

و كَانَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ طَلَايُعُ بْنُ رُزَيْكَ لَا يَزَالُ يَحْضُرُ فِي لَيْالِي الْجُمُعِ  
جُلُوساً وَ بَعْضُ أَمْرَاءِهِ، لِسَمَاعٍ قِرَاءَةَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَ الْبُخَارِيِّ وَ أَمْثَالِهِمَا مِنْ  
كُتُبِ الْحَدِيثِ؛ وَ كَانَ الَّذِي يَقْرَأُ رَجُلًا أَبْجَرًا. فَلَعَهْدِي وَ قَدْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مَعَ

الأمير علي بن الزبير و القاضي المجلس، و قد أمال وجهه إلى القاضي ابن الزبير، و قال له:

و أبخر قلت: لا تجلس بجني!

فقال ابن الزبير:

إذا قابلت بالليل البخاري

فقال القاضي المجلس:

فقلت و قد سألت بلا احتشام: لآنك دائماً من فيك خاري

حكى أن القاضي المجلس هو و القاضي الرشيد استأذن ذات يوم على أحد الوزراء، فلم يأذن لهما و اعتذر عن المواجهة، و وجدا عنده غلظة من الحجاب. ثم عاوداه مرة أخرى، و استأذنا عليه، فقبل لهما: إنه نائم، فخرجا من عنده، فقال القاضي الرشيد:

توقع لأيام اللثام زواها  
فلو كنت تدعو الله في كل حالة  
فعما قليل سوف تُنكر حالها  
لتبقى عليهم ما أمنت انتقالها

و قال القاضي المجلس :

لئن أنكرتم منا ازدحاماً  
وإن غتم عن الحاجات عمداً  
ليجتنبنكم هذا الزحام  
فعين الدهر عنكم لاتنام

فلم يكن بعد أيام حتى نكب الوزير نكبة عظيمة<sup>١</sup>.  
وأنشد في مدح العترة الطاهرة عليهم السلام، و هي ٢٩ بيتاً؛ مطلعها:

١. مرآة الجنان ٣/٣٠٢. الغدير ٤/٣٩٠.

كم قد عصيتُ مقالَ الناصحِ الناهي  
إلى أن يقول :

حبِّي لآل رسول الله يعصيني  
يا شيعة الحق، قولي بالوفاء لهم  
إذا علقْتُ بحبلٍ من أبي حسنٍ  
حمى الإله به الإسلام فهو به  
بعلُ البتول وما كنا لتهدينا  
نصَّ النبي عليه في «الغدير» فما  
من كلِّ إثمٍ و هم ذخري و هم جاهي  
و فاخري بهم من شئت أو باهي!  
فقد علقْتُ بحبلٍ في يد الله  
يزهى على كلِّ دين قبله زاه  
أئمة من نبي الله لولا هي  
زواه إلا ظنينٌ دينه واه<sup>١</sup>

و كان الموفق بن الخلال خال القاضي الجليس، فحصل لابن الخلال  
نكبة، و حصل القاضي الجليس بسبب خاله ابن الخلال صداع. فكتب القاضي  
الجليس، إلى القاضي الرشيد:

تسمع مقالِي يا ابن الزبير  
نكبتنا بذِي نسبٍ شاكٍ  
فأنت خليقٌ بأن تسمعهُ  
قليل الجدى في زمان الدعة  
إذا ناله الخير لم تُرجه  
وإن صفَّوه صُفَّعنا معه<sup>٢</sup>

تُوفِّي القاضي الجليس عام ٥٦١ هـ. قبل انقراض حكم الدولة الفاطمية  
بست سنوات؛ و قبل موت زميله في ديوان الإنشاء ابن الموفق بخمس سنوات.  
و رثاه غير واحد من شعراء عصره، منهم ابن قلايس أبو الفتح نصر بن  
عبدالله اللخمي الإسكندري؛ فقد رثاه بقصيدة مطلعها قوله :  
علمنا و قد مات الكمال التساويا      فيا حسناتِ الدهر عُدن مساويا

١. الغدير ٢٨٦/٤.

٢. نكت الهميان في نكت العميان ٣١٦/٤. الغدير ٣٩١/٤.

وقنا نرجي في المصاب مواسياً  
ومما شجى أن المعالي تجددت  
سألت فقالوا: مصرع لو علمته  
فحين أحتوت كف المنون على المنى  
ومن يسأل الركبان عن كل غائب  
ولما سرى بي نحوه الوجد قاعداً  
فأعوزنا لما عدنا موازياً  
ولم تنتصر فيها الكماة العواليا  
فأيقنت لكى خدعت فؤاديا  
تقلص عن يأس جناح رجائيا  
فلا بد أن يلقي بشير [أ] و ناعيا  
ولم أستطع عقر [أ] عقرت القوافيا<sup>١</sup>

كما مدحه ابن قلاقس و رضى الدولة أبو سليمان داود بن مقدم و الفقيه  
عمارة اليميني، بعدة قصائد و مقطوعات.

#### مصادر ترجمته

البداية و النهاية (تاريخ ابن كثير) ١٥١/١٢. خريدة القصر؛ قسم شعراء  
مصر ١٨٣/١. ديوان طلائع بن رزيك؛ المقدمة / ٢٨. الغدير ٣٨٤/٤ - ٣٩١.  
فوات الوفيات ٣٣٣/٢. مرآة الجنان ٣٥٢/٣. المناقب لابن شهر آشوب  
٧٧/٤. النجوم الزاهرة ٢٩٢/٥. النكت العصرية ٤٣. نكت الهميان في نكت  
العميان ٣١٦. و فيات الأعيان ١٦٣/١.

## عمارة اليماني

(٥١٣ - ٥٥٦٩ هـ)

ولاؤك مفروض على كل مسلم  
إذا المرء لم يُكرم بحبك نفسه  
وحبك مفروض وأفضل مغنم  
غدا وهو عند الله غير مكرم

إلى أن قال :

ورثت الهدى عن نص عيسى بن حيدر  
وقال: أطيعوا لابن عمي فإنه  
كذلك وصى المصطفى، وابن عمه  
على مستوى فيه قديمٌ وحادث  
ملكتم قلوب المسلمين بيعة  
وأوتيت ميراث البسيطة عن أب  
لك الحق فيها دون كل منازع  
ولو حفظوا فيك الوصية لم يكن  
وفاطمة لانص عيسى بن مريم  
أمني على سر الإله المكرم  
إلى منجد «يوم الغدير» ومتهم  
وإن كان فضل السبق للمتقدم  
أمدت بعقد من ولائك مبرم  
وجد مضى عنها ولم يتقسم  
ولو أئنه نال السماك بسلم  
لغيرك في أقطارها دور درهم

الشاعر

الفقيه نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد  
الحكمي اليمني ابن سعد العشيرة المذحجي.

من فقهاء الشيعة الإمامية ومدرسيهم ومؤلفيهم ومن شهداء أعلامهم  
على التشيع. وقد زان علمه الكامل وفضله الباهر، أدبه الناصع المتقارب من  
شعره المتألق؛ وإنك لا تدري إذا نظم شعراً هل هو يُنضد درأ؟ أو يفرغ في

بوثة القريض تبرأ؟ فقد ضمَّ شعره إلى الجزالة قوة، و إلى السلاسة رونقاً؛ و فوق كل ذلك مودته المتواصلة لعثرة الوحي و قوله بإمامتهم عليهم السلام؛ حتى لفظ نفسه الأخير ضحية ذلك المذهب الفاضل. و قد أبقت تأليفه القيمة و آثاره العلمية و الأدبية له ذكراً خالداً مع الأبد؛ منها: التكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية؛ و تاريخ اليمن؛ و كتاب في الفرائض؛ و ديوان شعره؛ و قصيدة كتبها إلى صلاح الدين سماها «شكاية المتظلم و نكاية المتألم»<sup>١</sup>.

ولد المترجم له عام ٥١٣ هـ. في مدينة مرطان من وادي وساع، و بعدها من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يوماً؛ و نشأ و ترعرع بها. و عندما بلغ الحلم - كما يحدثنا هو عن نفسه - بعته والده إلى زبيد مع الوزير مسلم بن سخت، و نزل بها و لازم التحصيل و الدرس. و لم يكن له همٌّ سواه حتى أنه لم يخرج طيلة بقائه في زبيد من المدرسة إلى صلاة الجمعة. و بعد سنين عدة، أخذ يدرس المذهب الشافعي و الفرائض في المواريث. و صنَّف كتاباً في الفرائض يُقرأ في اليمن. و ألقى على والده عند ذلك شيئاً من شعره، فاستحسنه و أكرم و أوصاه بتعلُّم الأدب، و أنه نعمة من نعم الله عليه فلا يكفر بها بدم الناس و شتمهم؛ و استحلَّفه أن لا يهجو مسلماً قط بيت شعر؛ فحلف الفقيه عبارة و عاهده مع أبيه. فينظم قصائداً و مقاطيعاً في مدح أبناء وطنه و عشيرته و يرثيهم بفقدهم.

اشتغل الفقيه بالأدب و بلغ ذروته؛ و بالرغم من أنه لم يكن مصرياً و لكنَّ اسمه كان يُقرن بأسماء فحول شعراء العصر الفاطمي، و يذكر في مقدمي كتاب ديوان الإنشاء في البلاغة و المعنى؛ مع أنه لم يكن يشتغل بجمعة في ديوان الإنشاء. و لكنَّه لما أوتي من حول و طول في الشعر و النثر، أصبح يعدُّ في



مقدمهم.

أما وفوده على مصر - وذلك في ربيع الأول عام ٥٥٠ هـ - فقد حجَّ مع الملكة الحرَّة أمَّ فاتكٍ ملكٍ زبيد<sup>١</sup> و خرج إلى مكة؛ وفي موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليته و وليَّ الحرمين قاسم بن هاشم<sup>٢</sup>؛ فألزمته السفارة يوم ذلك و منعتة من الرجوع إلى زبيد؛ و فاتح معه في إيفاده إلى مصر. و الخليفة الفاطمي يومذاك الإمامُ الفائز بن الظافر، و الوزير الملك الصالح طلائع بن رزَّيْكَ، فقبل المترجَم ذلك و وفد على مصر برسالة من أمير مكة قاسم بن هاشم. فأدخل عُمارَةً قاعةَ الذهب في قصر الخليفة و أنشد قصيدته التي أولها قوله :

الحمدُ للعيس بعد العزم و الهيم  
لا أجحدُ الحقَّ عندي للركاب يدُ  
حمداً يقوم بما أولت من النعم  
قننت اللُّجم فيها رتبة الخطم  
قرَّين بُعد مزار العزَّ من نظري  
حتى رأيت إمام العصر من أمم

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

١. زبيد: مدينة من تهاشم اليمن.

٢. هاشم بن فليته بن القاسم بن محمَّد بن جعفر الشريف الحسيني المتوفَّى ٥٤٩ هـ.

كان أميرَ الحرمين، و إقامته بمكة، ولي بعد أبيه فليته سنة ٥٢٧ هـ. إمارة الحرمين مكة و المدينة. و وقعت بينه و بين أمير الحاج العراقي فتنة عام ٥٣٩ هـ. فنهب أصحاب هاشم الركب العراقي بالحرم، و هم يطوفون و يصلّون. قال ابن الأثير في تاريخه: و لم يرقبوا فيهم إلا و لاذمة.

و استتب له الأمر اثنين و عشرين عاماً، و مات و هو في الإمارة سنة ٥٤٩ هـ. و وليَّ الحرمين ولده قاسم المقتول سنة ٥٥٧ هـ.

تولَّى الحرمين و وقعت بينه و بين عمه عيسى بن فليته سنة ٥٥٣ فتنة فاستولى عيسى على مكة، و جمع القاسمُ جموعاً دخل بها مكة سنة ٥٥٧ و أقام أياماً فأعاد عليه عمه الكرة، فهرب و صعد جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه، فقتله بعضُ أصحاب عيسى.

و في رواية: أمسكه عيسى و قتله؛ و عظم على عيسى قتله، فأخذه و غسله و دفنه بالمعلّى عند أبيه.

الأعلام ٢٢/٦ و ٤٩/٩. صبح الأعشى ٢٧١/٤. الكامل في التاريخ ١١/١٠٣، ٢٧٩.

و رُحْن من كعبة البطحاء و الحرم  
 فهل درى البيت أُنِّي بعد فُرْقته  
 حيث الخلافة مضروب سُرادقها  
 و للإمامة أنوار مقدَّسة  
 و للنبوة آيات تنصّ لنا  
 و للمكارم أعلام تُعلمنا  
 و للعلى ألسن تثني محامدها  
 و راية الشرف البذاخ ترفعها  
 أقسمت بـ«الفائز» المعصوم معتقداً  
 لقد حمى الدين و الدنيا و أهلها  
 اللابس الفخر لم تنسج غلائله  
 و جوده أوجد الأيام ما اقترحت  
 قد ملّكته العوالي رقّ مملكة  
 أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني  
 يومٌ من العمر لم يخطر على أُملي  
 ليت الكواكب تدنو لي فأنظّمها  
 ترى الوزارة فيه و هي باذلة  
 عواطف علّمتنا أن بينهما  
 خليفة و وزير مدّعهما  
 زيادة النّيل نقص عند فيضها  
 و قدأ إلى كعبة المعروف و الكرم  
 ماسرتُ من حَرَمٍ إلّا الى حرمٍ؟  
 بين النقيضين من عفوٍ و من نقمٍ  
 تجلو البغيضين من ظلمٍ و من ظلمٍ  
 على الخفيين من حُكمٍ و من حُكمٍ  
 مدح الجزيلين من بأسٍ و من كرمٍ  
 على الحمّدين من فعلٍ و من شيمٍ  
 يد الرفيعين من مجدٍ و من هممٍ  
 فوز النجاة و أجر البرّ في القسمِ  
 و زيّره الصالح الفراج للغمِ  
 الأيد الصنّعين السيف و القلمِ  
 و جوده أعدم الشاكين للعدمِ  
 تعير أنف الثريّا عزّه الشممِ  
 في يفتي أنّها من جملة الحلمِ  
 و لا ترقت إليه رغبة الهممِ  
 عقود مدح فما أرضى لكم كلمي!  
 عند الخلافة نصحاً غير مثمٍ  
 قرابة من جميل الرأي لا الرّحمِ  
 ظلّاً على مفرق الإسلام و الأممِ  
 فما عسى نتعاطى مُنة الدائمِ!

و كان الملك الصالح يستعيد الأبيات في حال النشيد مراراً و الأستاذون  
 و الأعيان و الأمراء و حاشية الخليفة و الوزير، يذهبون في الاستحسان كلّ  
 مذهب، فأعجب الخليفة بعد إتمامها و وزيره و رجال القصر؛ و أغدقوا عليه و

أفاضوا نِعَمَهُم و عطاياهم و خَلَعاً من ثياب الخلافة المذهبة. و دفع له الصالح خمسمائة ديناراً؛ و جاء أَنَّ السيدة الشريفة بنتَ الإمام الحافظ، دفعت له خمسمائة ديناراً أخرى. و حُمِلَ المال معه إلى منزله و أُطلقت له من دار الضيافة رسومٌ لم تطلق لأحد من قبله. و تهادته أمراء الدولة إلى منازلهم للولائم. و أمر الوزير الملك الصالح أن يحضّر عمارة مجلسه الذي يضمُّ كبار رجال الأدب و العلم بمصر؛ أمثال القاضي المجلسي و ابن قادوس و المهذب بن الزبير و غيرهم. و نظم في سلك أهل المؤانسة و انتالت عليه صِلَاتُهُ و غمرُهُ برُّه. و وجد بحضرته من أعيان أهل الأدب و العلم. و مكث عمارة بمصر عدَّة أشهر من تلك السَّنة ثم عاد إلى مكة؛ و منها رجع بعد شهور قليلة إلى وطنه الأصلي (اليمن). و في سنة ٥٥١ هـ. أيضاً ذهب لتأدية الحج فطلب منه أمير مكة قاسم بن هاشم، أن يسفر بينه و بين الملك الصالح مرَّة أخرى؛ فوفد على مصر و مكث بها حيث أمضى ما بقى من سني حياته<sup>١</sup>.

وفد الفقيه على مصر، و اتَّصل بجميع الأحداث و الثورات التي مرّت عليها و شاهدها منذ وزارة الملك الصالح طلائع، حتى انقرضت الدولة الفاطمية لا تَصَالُهُ الوثيق و علاقته الوطيدة برجال الدولة في خلال هذه السنين. و أنشد في كلّ حادثة طارئة على مصر في تلك السنين شعراً، و مدح الوزراء و الأمراء الذين كانت بيدهم مقاليد الدولة و شؤونها. و كان يجد من الحوادث التي أَلَّت بمصر مناسبات لمدائحه. و من هنا يظهر صحَّة قولنا في شعره من أَنَّ شعر الفقيه عمارة يُعدّ في الرعيل الأول من المصادر و السَّجلات الأدبية التاريخية التي تُطلِّعنا بوضوح على تاريخ مصر في هذه السنين المضطربة الأخيرة، التي ضُعف من جرائها حكم الدولة في أرجائها المعمورة؛ و من أوثق المصادر التي تنبئ

١. النكت المصرية / ٣١ و ٤١-٤٢. الغدير ٤/ ٤١٢. وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٢.

عن أخبار مصر و فصلاً عن أيامها البهجة من أيام مصر الفاطمية.  
دخل مصرَ الفقيه عُمارة، و شارك شعراء مصر في الإشادة بالأعياد و  
أيام المواسم الفاطمية، و حضر حفلاتها و مجالسها و نظم في كل مناسبة. و  
الذي يقف دونه الباحث هنا هو مذهب عُمارة؛ فقد جاء أنه كان سنيّ المذهب<sup>١</sup>،  
بل كان متعصباً لمذهبه الشافعيّ، و لم يتحول عن هذا المذهب بالرغم من  
محاولة الوزراء و الأمراء معه لكي يعتنق مذهب الفاطميّين. و أنّ الملك الصالح  
طلائع بن رزيك - بالرغم من أنه كان شديد التعصب لمذهبه الفاطمي، و قد  
أدخل عدداً من المسلمين في مذهبه - فإنه لم يستطع أن ينجح في محاولته مع  
عُمارة.

يقول عُمارة: و كانت تجري بحضرته مسائل و مذكرات يأمرني بالخوض  
مع الجماعة فيها، و أنا بمعزل عن ذلك لا أنطقُ بحرف واحد، حتّى جرى من  
بعض الأمراء الحاضرين في مجلس السمر من ذكر السلف ما اعتمدت عند  
ذكره و سماعه قولَ الله عزّ و جلّ: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

١. في أدب مصر الفاطمية / ٢١٩، ١٠٦.

الكلام على أنّه كان سنيّ المذهب فلا دليل عليه غير كلام تفرد به ابن كثير الدمشقي في تاريخه ١٢/ ٢٧٦،  
و لم يأت به أحد غيره. فقد قال: و قد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي. فإذا  
كان الفقيه عُمارة شافعيّاً فلماذا لم يقل به أحد سوى ابن كثير؟ ولماذا لم يذكره قاضي القضاة تقي الدين  
السبكي المصري الشافعي (٦٨٣-٧٥٦ هـ) في كتابه «الطبقات الشافعية»؟ و لم يترجم له كذلك أبو بكر بن  
أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شُهبة الدمشقي (٧٧٩-٨٥١ هـ) مع العلم أنّ الكلمة مستفقة على أنه كان  
من فقهاء الشيعة و شيوخها؟ كما أن القصة التي أوردناها تصبح مختلفة و محمولة لأنها هي أيضاً في  
مستحدثات ابن كثير. و لو كان الرجل شافعيّاً مع فرضه لما أمر صلاح الدين الأيوبي، بصلبه و قتله. مع أن  
عُمارة بعد اعتقاله بعث بقصيدة إلى صلاح الدين و أسماها «شكاية المتظلم و نكاية المتألم» يسترحمه فلم  
يعبأ به و قام من فورهِ، فأمر بصلبه. و عزل كافة المسؤولين و الموظفين في القاهرة و جعل مكانهم شر ذمة  
من الشافعية، كما نصّ على هذا كتب التاريخ.

غيره ١؛ و نهضت فخرجت فأدركني الغلمان؛ فقلت: حصاة يعتادني وجعها. فتركوني و انقطعت في منزلي أياماً ثلاثة، و رسوله يأتي في كل يوم و الطبيب معه. ثم ركبت بالنهار فوجدته في البستان المعروف بالمختص في خلوة من المجالس، فاستوحش من غيبتني؛ فقلت: إنني لم يكن بي وجع و إنما كرهت ما جرى في حق السلف و أنا حاضر. فإن أمر السلطان بقطع ذلك حضرت و إلا فلا. و كان لي في الأرض سعة، و في الملوك كثرة. فعجب من هذا و قال: سألتك بالله! ما الذي تعتقده في أبي بكر و عمر؟ قلت: أعتقد أنه لولاها لم يبق الإسلام علينا و عليكم. و إنه ما من مسلم إلا و محبتهما واجبة عليه؛ فضحك. و مهما كان مذهبه و إلى أي شطر كان يوجه، إذ ليس لدينا ما يؤيد تشييعه. بالإضافة إلى أننا على يقين من أن قصة إدخال عمارة اليميني في الدعوة تُرينا أن القائمين بأمر الدول الفاطمية في ذلك الحين - أي في أواخر عهدها - لم يأبهوا بأمر المذهب؛ بل كانوا كثيراً ما يتسامحون مع مخالفهم في المذهب إلى حد بعيد. ثم إن عمارة فوق هذا كان قد تأثر بما كان يجري في مصر، كما ساهم مع غيره من الشعراء في الإشادة بعقائد الفاطميين، و ذكر فضائلهم و محاسنهم و مدح خلفائهم؛ و جرى القوم في عاداتهم و في أشعارهم. فهو و إن لم يتشيع و لكنه لم يستطع يوماً ما أن يتخلف عن غيره من شعراء مصر في ذكر عقائد الفاطميين، و مدح أئمتهم في احتفالاتهم و رثائهم في أيام مآتمهم. فله عدة قصائد أوكلها فيهم و إليهم. و من تلك قصيدة مدح بها الخليفة الفاطمي الفائز ابن الظافر في يوم الغدير و أشاد فيها بواقعة الغدير و أولها قوله:

ولاؤك مفروض على كل مسلم      و حبك مفروض و أفضل مغنم

و قوله من قصيدة يرثي بها العاضد، و يشيد بدولته و أيامه و مطلعها:

أسفي على زَمَنِ الإمام العاضدِ      أسف العقيم على فراق الواحدِ  
لهني على حُجرات قصرِكَ إذ خلتُ      - يا ابن النبيِّ - من ازدحام الوافدِ  
و على انفرادك من عساكرِكَ التي      كانوا كأَمْواج الخضمِّ الراكدِ

إنَّ القصائد التي نظمها الفقيه عمارة في رثاء الدولة الفاطمية كثيرة جداً و لم تكن منحصرة بهذه وحدها. بل هناك في ديوانه كثير من القصائد التي رثى بها الدولة و أشاد بذكرها. و هي إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على وفاء عمارة لهم و على ما أصابه من الفاطميين الذين حبّوه بأموالهم و عطاياهم و أكرموا الإكرام كلّهُ؛ فقابل ذلك كلّهُ بوفاء الوفيِّ الأمين. و منها قوله من قصيدة يرثي بها أهل القصر من الملوك الفاطميين، و يشيد بالأعياد و المراسيم التي كانوا يختلفون بها و أولها:

رَمَيْتَ - يا دهرُ - كَفَّ المجد بالشُّلِّ      و جِئِدُه بعد حُسْنِ الحليِّ بِالْعُطْلِ  
سَمِعْتَ فِي مِنْهَجِ الرَّأْيِ العُثُورَ فَإِنْ      قَدَرْتَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فَاسْتَقْلِ

و فيها يقول بعد أن وصف أيامهم و ذكر أعيادهم و منشآتهم:

و الله لا قاز يومَ الحشرِ مِبْغُضِكُمْ      و لانجا من عذابِ الله غيرِ ولي  
و لاسقى الماءَ من حرٍّ و من ظمإٍ      من كَفَّ خير البرايا خاتَمَ الرسلِ  
و لا رأى جَنَّةَ الله الَّتِي خُلِقَتْ      مَنْ خان عهدَ الإمامِ العاضدِ بنِ علي  
أُثْمِتِي و هِدَايِي و الذخيرةَ لي      إِذَا ارْتَهَنْتِ بِمَا قَدَمْتُ مِنْ عَمَلِي  
تَاللهِ لَمْ أَوْفِهِمْ فِي المَدْحِ حَقَّهُمْ      لِأَنَّ فَضْلَهُمْ كَالوَابِلِ المَطْلِ  
و لو تَضَاعَفَتِ الأقوالُ و اتَّسَعَتْ      ما كُنْتُ فِيهِمْ بِحَمْدِ الله فِي الخَجْلِ  
بِابِ النِّجَاةِ هُمْ دُنْيَاً و آخِرَةً      وَ حَبِّهِمْ فَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَ العَمَلِ

نور الهدى و مصابيح الدجى و - حل الغيث إن ربّت الأنواء في المحل  
أثمة خلّقوا نوراً فسورهم من محض خالص نور الله لم يغل  
والله ما زلت عن حبّي لهم أبداً ما أحر الله لي في مدة الأجل<sup>١</sup>

و الذي يعلم أن عُمارة كان أصدق مثال للشعراء الوافدين على مصر، من الذين ألموا في شعرهم بالعقائد الفاطمية. مع أنه لأول وهلة - لبعده عن مركز الخلافة - لم يكن يعرف شيئاً وافراً عن عقائدهم، و لذلك نجده في القصائد التي نظمها في أوان وروده لمصر لم يتحدّث عن عقائدهم و المعاني الباطنية عندهم إلا النذر اليسير. على أنه بعد مكوثه و استقراره بمصر و اتّصاله بالشعراء، سيّما البيهية المصرية و سماعه جدل العلماء و مناقشاتهم في المجالس، تأثر من ذلك حتّى أن تأثير البيهية الفاطمية في شعره تجده واضحاً. فيُخيّل لقارئ شعره أنه أصبح على دينهم و عقيدتهم و مذهبهم. فهو يقول في مدح العاضد :

و عليك من شيم النبي و حيدر  
و الوحي ينطق عن لسانك بالذي  
للسناظرين أدلّة و شهود  
من دونه يصدّع الجلود  
شخصت إليك نواظر الأمم التي  
ملكتم لك بيعة و عهد  
يوم جلّت فيه الإمامة عزّها  
و لها الملائكة الكرام جنود

فالفقيه في هذه الأبيات يبيّن أنّ الوحي ينطق على لسان الإمام الفاطمي بالحجج و البراهين القويمة الدامغة، بحيث تعجز عن تنفيذها كلّ حجة و برهان. و أنّ البيعة عهدٌ على عنق جميع الذين عاهدوا الإمام، و الملائكة هم جنود الإمامة. و هذه الأبيات تدلّ دلالة واضحة على مدى تأثير عُمارة بالعقائد و

١. ذكرنا القصيدة بتمامها ص ٧٤. المخطوط المقرئ ٤٩٥/١.

بتأويل الفاطميين. فهو يقول:

ولاؤك دين في الرقاب ودين      وودك حصن في المعاد حصين  
وحبك مفروض على كل مسلم      يقول بحب المصطفى و يدين

مكت الفقيه عمارة في مصر و هو عاكف على مدح و رثاء الملوك الفاطميين، و ينظم بكل مناسبة، إلى أن أنقرضت الدولة الفاطمية بموت العاضد. و خطب للمستضيء العباسي بمصر، و لكن المترجم مع نفر من أتباع الدولة الفاطمية نظموا قصائد حثوا الناس على القيام بمناوئة الدولة العباسية و إعادة ملك الفاطميين بتولية ابن العاضد. و كاتبوا الفرنج و استدعوا إلى ما يريدونه. و كانوا قد أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر؛ فحضر عند صلاح الدين و أخبره عن الحوادث التي ستجري على يد نفر من الأوفياء للفاطميين؛ فأحضرهم فلم ينكروا الأمر عليه و لم يروه منكراً؛ فأمر بصلبهم و صلبوا يوم السبت في شهر رمضان سنة تسع و ستين و خمسمائة (٥٦٩)، و قد قبض عليهم يوم الأحد في شهر شعبان<sup>١</sup>.

و كان عمارة الفقيه يحمي الذمار بالذمارة، و يوفي بعهد من صاحبه و نادمه، و يدافع عنه بصراحة اللهجة. و له مواقف مشكورة تنم عن أنه ذو حفاظ و ذو محافظة. حضر يوماً هو و الرضي أبو سالم يحيى الأحمد بن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد، عند نجم الدين أيوب بن شادي، فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب، فقال:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفاً      منها و ما كان منها لم يكن طرفاً  
قد عجل الله هذي الدار تسكنها      و قد أعد لك الجنات و الغرفاً



تَشَرَّفَتْ بِكَ عَمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا      فَالْبِشْ بِهَا الْعِزَّ وَتَلْبِشْ بِكَ الشَّرْفَا  
كَانُوا بِهَا صَدَفًا وَالدَّارَ لَوْلُؤَةً      وَأَنْتَ لَوْلُؤَةٌ صَارَتْ لَهَا الصَّدْفَا  
فَقَالَ الْفَقِيهَ عِمَارَةُ يَرَدُّ عَلَيْهِ:

أَثَمْتُ يَا مَنْ هَجَا السَّادَاتِ وَالْمُخْلَفَا      وَقُلْتُ مَا قُلْتَهُ فِي ثَلَبِهِمْ سَخَفَا  
جَعَلْتَهُمْ صَدَفًا حَلُّوا بِلَوْلُؤَةٍ      وَالْعَرَفَ مَا زَالَ سَكْنَى اللَّوْلُؤِ الصَّدْفَا  
وَأَمَّا هِيَ دَارٌ حَلَّ جُوهَرُهُمْ      فِيهَا وَشَفَّ فَأَسْنَاهَا الَّذِي وَصَفَا  
فَقَالَ: «لَوْلُؤَةٌ» عُجْبًا بِسَهْجَتِهَا      وَكَوْنِهَا حَوَتْ الْأَشْرَافَ وَالشَّرْفَا  
فَهُمْ بِسَكْنَاهُمُ الْآيَاتِ إِذْ سَكَنُوا      فِيهَا وَمَنْ قَبْلَهَا قَدْ أُسْكِنُوا الصَّحْفَا  
وَالْجُوهَرُ الْفَرْدُ نَوْرٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ      مِنْ الْبَرِيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَرَفَا  
لَوْلَا تَجَسُّسُهُمْ فِيهِ لَكُنْ عَلَى      ضَعْفِ الْبَصَائِرِ لِلْأَبْصَارِ مَخْطَفَا  
فَالْكَلْبُ - يَا كَلْبُ - أَسْنَى مِنْكَ مَكْرَمَةً!      لِأَنَّ فِيهِ حِفَافًا دَائِمًا وَوَفَا

قال المقرئ بعد ذكره للآيات: فَلَلهُ دُرٌّ عِمَارَةٌ! لقد قام بحق الوفاء و  
وفي بحسن الحفظ كما هي عادته. لا جرم أنه قُتِلَ في واجب من يهوى كما هي  
سنة المحبين. فالله يرحمه و يتجاوز عنه!

وقد صُلب مع الفقيه عِمَارَةُ، من أكابر الشعراء و الفقهاء، منهم قاضي  
القضاة أبو القاسم هبة الله بن الكامل، وابن عبد القوي - داعي الدعاة - وكان  
يعلم بدفائن القصر؛ فعوقب ليدُلَّ عليها فامتنع من ذلك فمات و اندرست. و  
ناظر الديوان العويرس، و كاتب السر شبريا، و عبد الصمد الكاتب، أحد أمراء  
مصر، و نجاح الحمامي، و منجَّم نصراني كان قد بشرهم بأنَّ هذا الأمر يتم لهم.

### مصادر ترجمته

آداب اللغة العربية ٧٤/٣. الأعلام ١٩٣/٥. أعيان الشيعة ١٠٦/٣٦. إيضاح المكنون ٥٣/٢. البداية و النهاية ٢٧٥/١٢. خريدة القصر؛ قسم الشام ١٠١/٣. الخطط المقرزية ٤٦٩/١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٩٤/٣ و ٣٠٤/٢٤. الروضتين ٥٧٢/٢. شذرات الذهب ٢٣٤/٤. صبح الأعشى ٥٢٦/٣. العبر في خبر من غبر ٢٠٨/٣. الغدير ٤٠٨/٤ - ٤١٩. الكامل في التاريخ ١٦٣/١١. كشف الظنون ١٧٧٧. مرآة الجنان ٣٩٠/٣. مرآة الزمان ٢٧٧/ معجم المؤلفين ٢٦٨/٧. النجوم الزاهرة ٧٠/٦. نسمة السحر ٢ ق ١٧٨/١. خ. النكت العصرية ٧/ ٦٩. وفيات الأعيان ٤٣١/٣ - ٤٣٦. هدية العارفين ٧٧٩/١.



مركز تحقيقات و پژوهش‌های علوم اسلامی

## الشّافي

(....)

الحمد لله القديم الأزلي	المبدع العالي معلّ العلي
باري البرايا الدائم الفرد الصمد	المجاعل الواحد أصلاً للعدد
أبدعه بأمره المجيد	فأصبح الأوّل في الوجود
نوراً بسيطاً حائطاً بالدار	من سائر الجهات و الأمصار
سمّاه عقلاً سابقاً فعّالاً	فجلّ عن إدراكه تعالى

إلى أن يقول :

وسلمّ الحكمة والتأويلاً	و موجز التفسير و التفصيلاً
حتى إذا ما أمر الرسول	بإياه قد جاءه جبريلُ
أول من بايع تحت الشجرة	محمدًا قبل الرجال العشرة
و صار في «خم» علي «الغدير»	ونصّ بالأمر على الوزير
إلى عليّ أنزع البطين	لأنّه كان أساس الدين
تنصيب مولانا الإمام حيدرة	أبا الأئمة الكرام البررة
لما أتى من حجة الوداع	خاتمة الأعمال و الأوضاع
عليّ المخصوص بالتطهير	من الإله الباري القدير

## الشاعر

من الأراجيز النادرة التي ظمّت العقائد الفاطمية و رسالتهم التشريعية، أرجوزة تعرف بالقصيدة الشافية؛ وهي على غرار القصيدة الصوريّة السالفة الذكر (في ص ١٣٤)، من نظم الداعي الإسماعيلي الأجل المحافظ محمد بن علي

الصوري المتوفى سنة ٤٤١ هـ. و الذي تعرف من ثنايا القصيدة الشافية أنها جاءت لتشرح الأصول الفاطمية الواردة في القصيدة الصورية، و تبين غوامضها؛ و لذلك نجد ناظمها في آخر الأرجوزة يشني على الصوري و يعترف بعجزه و تقصيره.

تقع الأرجوزة الشافية في ٦٥٢ بيتاً و أولها:

الحمد لله القديم الأزلي      المبدع العالي معلّ العلل

و آخرها :

موازنأ قول الأديب الصوري      معترفاً بالعجز و التقصير  
إذ قال و القول شبيه قولي      بمِنَّة الله وليّ الحول  
«الحمد لله معلّ العلل      و مبدع العقل القديم الأزلي»  
فجُد له ربي بعفو و رضى      يا مَنْ عن العاصي بصفح قد مضى!  
و اغفر له ما كان من ذنوب      فباله سيواك من مجيب!

و توجد من الأرجوزة هذه، نسخة خطية فريدة في «مكتبة العلامة عارف تامر» في سوريا، قد عثر عليها في بلدة مصياف الإسماعيلية، و لا توجد لها نسخة ثانية و الآن يعدّها الأستاذ للطبع و التحقيق.

أمّا ناظمها فجهول لا يعرف عنه كلُّ شيء، سوى أنه من دعاة الفاطميين. عاصر خلافتهم و إمامتهم و أدركها و أنه كان يُعرف بالشافي؛ و لذلك تنسب القصيدة إلى الشافية، و ليس في أول الأرجوزة و لا في آخرها ما يكشف لنا عن اسم الشاعر؛ و لم تكن نَمَّة إشارة في كتب الإسماعيلية إلى القصيدة الشافية هذه.

هذا ما تيسّر لي التوصل إليه من دراسة قسم من شعراء مصر الذين عاصروا العهد الفاطمي، و تفتّووا بظلاله النعيم؛ و مدحوا الإمامة الفاطمية في قصائدهم، و نظموا هذه الإثارة - عيد الغدير - في شعرهم؛ مع العلم أنّ هناك عشرات من أمثال هؤلاء الشعراء، غير أن الظروف السياسية الظالمة التي اجتازت مصر الفاطمية بعد موت الإمام العاضد، و اقامة الخطبة للمستضيء العباسي، أبادت كلّ تراث فكريّ يتعلّق بالعهد الفاطمي؛ و مزّقته شرّاً ممزّق.

لقد كان الشعب المصري، أو الشعوب الخاضعة لحكم الفاطميين في مصر و اليمن و سوريا و العراق، مشغولة في شؤونها الخاصة من زحمة العيش و تلمّس الرخاء و السقام و أمل الشفاء، و تنتظر بفارغ الصبر أيّام العيد، فتجد في ظلالها من بسملة الأمل و هشة الرجاء و تطلّق الوجه، فتري الجميع في بهجة و نجوى؛ و كأن الكلّ يحسّون بدبيب الحركة و البسمة و الحبور يسري في نفوسهم؛ فلم يبصروا في الحياة غير البهجة و الجمال و الذكريات و الآمال الحلوة.

إنّ الشعب في أيام العيد كان يرفل بأبراد المسرة و الهناء، و تشكل حلقات جميلة تخرج إلى التلّول و الوهاد؛ كما تجتمع أضغات المنى على الثغر الحالم، و الكلّ في كساء جديد و ثوب جديد. فالعيد كان الباعث الأساسي الذي أفرض عليهم تلك المشاعر الخاصة.

غير أن تلك المشاعر الخاصة و الظاهرة الجميلة، ظاهرة الفرح و السرور و المصافحة و الابتسامات و القُبلة و الزيارة و العطاء و البذخ و غيرها من مراسيم الأعياد كانت سائرة بعد أداء صلاة العيد و الفرائض و السلام على الخليفة الفاطمي و تقبيل يده و استماع الخطبة و نشيد الشعراء و نظمهم. و ما أكثرهم يومذاك! و قد أوقفناك على غناج يسيره من شعرهم في الفصول السالفة.



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

خطبة عيد الغدير

### خطبة عيد الغدير في مصر

أما الخطبة التي كانت تُتلى من قبل الخليفة الفاطمي في كل حاضرة فاطمية، فهي تشتمل على بيان واقعة غدير خم؛ يُلقِيها من يعينه الخليفة لهذا الغرض؛ تُتلى على رؤوس الأشهاد و تنبؤهم بالواقعة و كيفيتها و أسبابها و ظروفها.

مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة

و لعلَّ أكبر أثر تركه المؤيدُ داعي الدعاة بهذا الشأن هو كتاب المجالس المؤيدية، و هو مجموعة محاضراته التي ألقاها في مجالس الدَّعوة، و تجمع مذهب الفاطميين كلُّه؛ إذ لم يترك المؤيد شيئاً عن هذا المذهب دون أن يتحدَّث عنه في محاضراته هذه التي بلغت الثمانمائة محاضرة، و فيها نرى المجلس الرابع و الخامس عن الحج. و قال إنَّه ألقاها في أيام الحج؛ و المجلس السادس عن «غدير خم» و هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة<sup>١</sup>.

و من المؤسف أنَّ تاريخ الفاطمية لا يزال غامضاً من جوانب عدَّة؛ و لازالت الكتب و الآثار الفكرية التي تحتفظ بعقائد الفاطميين مخطوطة؛ لذلك لم

نتوصل إلى ذكر خطبة الغدير التي كانت تُلقى بمصر رغم الجهود التي بذلناها في هذا السبيل؛ ولكن...

هذا و يحدّثنا التاريخ عن خطبة كانت تُلقي في يوم الغدير في اليمن لدى القائم بأعمال الخليفة الفاطمي منذ سنة ٣٠٣ هـ . بعد أن لاقى دعاة الفاطمية فيها كثيراً من العنت و الاضطهاد على يد السنّيين، إلى أن زال نفوذ الفاطميين منها سنة ٥٦٩ هـ . على اثر حملة عسكرية أرسلت بقيادة توران شاه إليها، للقضاء على دولة بني مهدي بزبيد، التي كانت تناصر الفاطميين بمصر<sup>١</sup>.

غير أن الدعوة للفاطميين في اليمن بعد عودة توران شاه إلى مصر ( سنة ٥٧١ هـ ) نشطت من جديد و لكن بصورة سرّية. و ذهب الدعاة إلى مهامهم الرئيسيّة من نشر العقيدة الفاطمية و وضع الكُتب و كشف العقائد و إقامة المهرجانات و الحفلات المذهبية؛ و منهم: داعي الجزيرة اليمنية و أمين الدولة الفاطمية حسن بن نوح بن يوسف بن محمد بن آدم الهندي البهروجي المتوفى سنة ٩٣٩ هـ<sup>٢</sup>. فقد وضع كتاباً في «سبعة أجزاء باسم «الأزهار و مجموع الأنوار الملقوطة من بساتين الأسرار و مجامع فواكه الروحانية و الثمار»<sup>٣</sup>؛ و ذلك في عهد الداعي الكبير و النائب الفاطمي، سليل الهداة الراشدين حسن بن إدريس

١. النجوم الزاهرة ٦ / ٦٩.

٢. من علماء الاسماعيلية الباطنية المتوفى ٩٣٩ هـ.

له: الأزهار و مجموع الأنوار، ثلاثة أجزاء منه، و هو في سبعة؛ تحدث في الجزء الأول من الثلاثة الموجودة عن دراسته و من أخذ عنهم، ثم سير بعض الأنبياء و الأئمة و الدعاة. و في الثاني عن دعاة اليمن بعد موت الأمر حتى عهد الداعي إدريس. و في الثالث عن أقوال الدعاة و تواريتهم.

الأعلام ٢ / ٢٣٩. أعيان الشيعة ٢٣ / ٣٥٤. معجم المؤلفين ٣ / ٢٩٩.

٣. نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن، رقم ٢٥٧٤٩.



ابن حسن<sup>١</sup>.

و قد لخص الكتاب هذا الدكتور عادل العوا، فأخرجه ضمن مجموعة فاطمية<sup>٢</sup> و أثبت فيه خطبة الغدير، و أمر الوصاية و الإمامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فقد جاء بعد الحمد و الثناء و ذكر الأسماء المائة التي ذكرها الله للنبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم، مانصّه بخصوص عيد الغدير.



---

١. هو الداعي العشرون، من سلسلة دعاة الإسماعيلية الطيبية في دور الستر، توفي سنة ٩١٧ هـ. وهو ابن الداعي المؤرخ المشهور إدريس عماد الدين المتوفى سنة ٧٨٢ هـ.

٢. منتخبات اسماعيلية، ط دمشق عام ١٩٥٨ م. ويقع في ٢٧٢ صحيفة.

### خطبة عيد الغدير في اليمن

و آخر ما حجَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حجَّةُ الوداع، سنة عشر من الهجرة؛ بعد أن أعلم الناس من أهل الإسلام في النواحي، أنه يريد الحجَّ لتعرف الأمة مناسك حجَّها، و ما افترض الله تعالى؛ فخرج صلَّى الله عليه وآله من المدينة في شهر ذي القعدة الحرام، لخمس ليالٍ يقين من الشهر؛ وتلك الحجَّة تُسمَّى «حجَّة الوداع» لأنها آخر حجَّة حجَّها رسول الله صلَّى الله عليه وآله، و «حجَّة البلاغ» لما أوحى فيها إليه عليه السلام: ﴿يا أيُّها الرُّسول ! بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك [ في عليٍّ ] و إن لم تفعلْ فما بلغتْ رسالته والله يعصمك من الناس ١﴾ . و أمر الله نبيّه محمداً أن ينصَّ على عليٍّ بن أبي طالب صلَّى الله عليه وآله، و على آل الطاهرين من آلهما، و أن يبيِّن ولايته لجميع من حضره من أمته. و كان ذلك بعد رجوعه صلَّى الله عليه وآله من مكَّة، بعد تمام تلك الحجَّة. فأبان صلَّى الله عليه وآله و لاية وصيّه عليه السلام اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجَّة الحرام، قبل أن يفترق من حجَّ من المسلمين؛ و كانوا - على ما أتت به الأخبار -

ثِيْقاً و سَبْعِينَ أَلْفاً<sup>١</sup>. و صار صَلَّى اللهُ عليه وآله بغدير خم - و كان ذلك اليومُ أشدَّ الحرارة من الحر - فأمر منادياً ينادي بـ«الصلاة جامعة»؛ و أمر بدوحات مجتمعة فَقُمِمَ ما تحتهن و استظلَّ تحتهن. فاجتمع الناس إليه أجمع ما كانوا، لأنه قلَّ من المسلمين من لم يخرج معه في تلك الحجة؛ فلما اجتمعوا بُني له صَلَّى اللهُ عليه وآله مثل المنبر من الحجارة، ورقى عليه فقام فيهم صَلَّى اللهُ عليه وآله خطيباً، بعد أن حمد الله و أثنى عليه :

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا عَاشَ نَصَفَ مَا عَاشَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ و إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعِيَ فَأُجِيبَ. و إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابُ اللَّهِ و عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي؛ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ كَهَاتَيْنِ : - و ضَمَّ إصْبَعِيهِ الْمُسَبِّحَتَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ - و لَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ: - و ضَمَّ إصْبَعِيهِ الْمُسَبِّحَةَ وَ الْوُسْطَى مِنْ يَدِهِ الْيُمْنَى لِأَنَّ أَحَدَهُمَا تَسْبِقُ الْآخَرَى - ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَقَامَهُ وَ رَفَعَ يَدَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَوَى بِيَاضَ إِبْطِئِهَا، و قَالَ: مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ و رَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَلَسْتُ أَوْلَى بِذَلِكَ، لَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، و أَخَذَ إِقْرَارَهُمْ. ثُمَّ قَالَ: فَنَ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ! وَالِ مَنْ وَالَاهُ و عَادِ مَنْ عَادَاهُ! و انصُرْ مَنْ نَصَرَهُ و اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ! و أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ! هَلْ سَمِعْتُمْ و أَطَعْتُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ، أَشْهَدُ عَلَى إِقْرَارِهِمْ! كَرَّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَيْضاً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ وَ هِيَ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي و

١. يقال: خرج معه تسعون ألفاً، و قيل: مائة ألف و أربعة عشر ألفاً. و جاء: مائة ألف و عشرون ألفاً.

قيل: مائة ألف و أربعة و عشرون ألفاً. و هذه عدَّة من خرج معه: أما الذين حبَّجوا معه فأكثر من ذلك

كالْمَقِيمِينَ بِمَكَّةَ، و الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الْيَمَنِ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ و أَبِي مُوسَى. الغدير ١ / ٩.

رَضِيَتْ لَكُمْ إِسْلَامَ دِينَا ١ لَأَنَّ الْفَرَائِضَ كَانَتْ يَنْزِلُ مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ، وَ  
تَنْزِلُ الْفَرِيضَةُ ثُمَّ تَنْزِلُ الْفَرِيضَةُ الْآخَرَى، فَكَانَتْ الْوَلَايَةُ آخِرَ الْفَرَائِضِ فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ٢.

ثم يدعم قوله هذا بالأحاديث و الروايات الواردة عن أمير المؤمنين صلى  
الله عليه وآله في هذا الشأن و احتجاجاته يوم الشورى، و إقامة الحجّة عليهم  
بصورة مفصلة، و يختم مجلسه بذكر وفاة النبي الأقدس صلى الله عليه وآله و البكاء  
عليه.

فما أروعها من ذكرى! و ما أحلاه من مهرجان! و كأنها كما قال  
الشاعر:

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ



مركز تحقيقات كهنوت و علوم اسلامی

١. سورة المائدة: ٣.

٢. منتخبات إسماعيلية / ٢١٥. من غير تصرف

## خطبة عيد الغدير في بلاد الشام

أما خطبة يوم الغدير ومراسيمه و الاحتفال به خلال العهد الفاطمي في سوريا، فهناك عدّة خطب مفضّلة وضعت في سنين مختلفة و بأساليب شتّى، و لكن كلّها متّحدة في المعنى و الهدف و الغاية. و قد تفرّد بذكر الخطب تلك، و جمعها أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني في كتابه<sup>١</sup> و إليك نتفاً من خطبة أنشئت لهذا الغرض :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر حكمته من قدرته، و أبدى اسمه من نور ذاته مولاه و أظهره معناه؛ الذي لا شريك له و لا مثيل و لا عديل و لا نظير؛ معنى قديم أزل و الاسم قديم أزلي محدث ظهوره عند بارئته و مكوّنه و منشئه؛

١. سبيل راحة الأرواح / ٦٠ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٣.

أنطقه بعد السكونِ و الاختفاء و أبدى منه كلَّ حقٍّ و هدى. و صلوات السيد الكريم، على الباب المشرق المنير، الذي بؤاه علم معرفته، و عرّفه مكنون باطن صفته، و على أيتام ملكه، و مراتب قدسه الكرام، و السادة البررة مصاييح كلِّ ظلام، و على من يليهم من أهل الصفاء، و من قرب منهم من خالصي أهل الوفاء، و سلّم تسليماً!

فأما - يا ولدي ! - فضل «يوم الغدير» و ما جعله الله تعالى فيه من التشريف، و ما يجب على المؤمنين من العمل فيه، فاعلم - هداك الله! - أنه في شهر ذي الحجة، و هو اليوم الثامن عشر في كل سنة؛ و له فضل كبير، و شرف عظيم؛ و أن سيّدنا محمد أعلى ذكره من مولاة السلام دعا في هذا اليوم إلى مولاة و معناه، و هو يومٌ عظيم شرفه، كبير محله؛ و في هذا اليوم يقوم قائم آل بيت محمد صلى الله عليه وآله و هو اليوم المشهود الذي يظهر فيه المولى و يكشف الغطاء و يعظّم فيه الجزاء؛ و كان هذا اليوم بالجحفة، و يقال: أرض الجحف. فخرج سيّدنا الأجلُّ محمد على ذكره، السلام ضحى نهاره و أصلح منبراً من حجارة، و اجتمع العالم فيه؛ و فيهم الأوّل و الثاني و الثالث؛ و كان يوم دعوة لانداء؛ لأن النداء كلام المعنى، و إشارته إلى نفسه، و الدّعوة كلام الاسم و دلالته على معناه جلّ وعزّ؛ فقال مسمعاً لجميع من حضر، و سمع كلامه من أهل السماوات و الأرض، و العرب و العجم، و الملائكة و الأمم، فأخذ بيد مولاة و غايته و معناه، و قال: إنّ الله تعالى قد أمرني أن أقيم لكم عليّاً إماماً و علماً، اللهم من كنت مولاة فهذا مولاة، اللهم وال من والاه! و عاد من عاداه، وانصر من نصره! و اخذل من خذله! فوصل هذا القول إلى كلّ أحد بقدر ما استحق؛ فأهل الكدر سمعوا القول بأن هذا علياً إماماً، و المؤمنون سمعوا أن هذا بارئكم فاعرفوه، و مولاكم فلا تنكروه! و هو يومٌ شريف القدر جليل الخطب. فيجب - يا سيدي - أن تتحقق فضل هذا اليوم! و تغتسل بكرة، و تلبس أفخر ثيابك؛

و تهرق ما أمكن من الدماء ممّا أحلّ الله لك؛ و تجمع فيه من حضر من المؤمنين و لا يحضرهم مخالف و لا صبيّ و لا خادم و لا جارية! و قدّم الطعام و الشراب و البخور! و إن كان بينكم ضعيف فافتقدوه ببرّكم ممّا سهّل الله، و أنفقوا فيه! فقد ضمن سيّدنا محمّد منه السلام، أن خلف الدرهم فيه بسبعائة درهم؛ و جزيل الثواب أعظم، و أحذروا من الهفوة و التفريط!١

ثمّ يعقّب كلامه بالمواعظ والدعاء و النصيحة و الدعوة إلى الصراط المستقيم، و التمسك بحبل الله القويم؛ و أداء صلاة العيد، و تلاوة الدعاء الخاص لهذا العيد، و إظهار الفرح و السرور، إلى أن تنقضي أيّام العيد السعيد، فينصرف كلّ إلى عمله و اشتغاله. و هكذا في كلّ سنة من يوم الثامن عشر في شهر ذي - الحجة لما لهذا اليوم من قدسيّة و أهميّة كبرى عند المولى القدير؛ و أنّ عليهم الاحتفال بهذا اليوم، رغم عدم استقرار الأمور في بلاد الشام؛ حينذاك لضعف النفوذ الفاطمي أمام الغزو الصليبي و هجمات العباسية التي أخذت تعمل بكلّ قواها للقضاء على الخلافة الفاطمية، مع تأييد العالم الإسلامي الكامل للفاطميين و احترامه لهم منذ بدء الدعوة.



مرکز تحقیقات کلمه نور علوم اسلامی

خاتمة البحث





هذه نهاية دراسة أدبية عن نفر من شعراء الدولة الفاطمية؛ وقد فصلنا القول عنهم في الصفحات الماضية، سواء كانوا مصريو النشأة والمحتد، نظراء : ابن قادوس والقاضي الجليس وابن جبر، أم أنهم وفدوا عليها من الأنحاء المعمورة أمثال: هبة الله بن عمران داعي الدعاة من شيراز و عمارة اليمني من مرطان أتباع اليمن و ناصر خسرو علوي من ايران. و قرأنا صوراً مختلفة عن شعرهم في المناسبات الفاطمية و الموضوعات المتنوعة؛ عرفنا مدى تأثير عقائد الفاطميين في شعر شعرائها، و أنهم إلى أي حد تأثروا بها حتى أن بعضاً من هؤلاء الشعراء أسرفوا في المدح، و غالوا غلوّاً فاحشاً إلى حدّ يمكننا أن نميز الشعر الفاطمي من غيره من شعر شعراء الأقطار الإسلامية الأخرى.

و لم يكن ذلك الغلوّ و الإسراف في المدح، إلّا من حيث تقدير الفاطميين الشعراء و تشجيعهم لهم من نواحي شتى. و كان من جراء ذلك أن ازدهت

أبواب الخلفاء و الوزراء الفاطميين هؤلاء الشعراء الذين كانوا يُعدّون بالمئات؛ وكلُّهم يترقّبون المناسبات بفارغ الصبر ليقولوا في ذلك شعراً و يأخذوا جاريهم و صلاتهم و بمالم ينعم به أيُّ شاعر في الدول الأخرى. و لذا تجدهم يتبارون دائماً في إنشاد قصائدهم و يتنافسون في الإجابة و الإتيان. و لا غرابة بعد إذا كان اجتماع هؤلاء الشعراء في مصر و مزاحمة الواحد الآخر من دوافع ازدهار الشعر في العصر الفاطمي؛ حيث الخلفاء الفاطميون يسرفون في الإغداق عليهم بما يملكون من مال و متاع و رقيق، حتى ليخيّل للقارئ أن حياة الشعراء كانت حياةً لهو و قصف و سمر و ترف و غناء و سماع و ألحان؛ و كان ذلك كلّهُ مصدراً خصباً لكثير من الشعراء.

و لعلّ السبب الأوّل في ذلك كما قلنا يرجع إلى أن القائمين على شؤون البلاد كانوا قد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية على نحو ما تتخذ الأحزاب اليوم الصحف و نشر الإعلانات، وسيلة تعبير عن اتجاهاتها و أهدافها و آرائها. و الفاطميون - كما عرفوا قيمة الدعاية و قدرها و أثرها الوافر في المجتمع و النفوس - اهتمّوا بها أيّما اهتمام و اصطنعوا كلّ ما يفيدهم في سبيل دعوتهم من علماء و أدباء و شعراء؛ و عرفوا أيضاً أن الشعر العربيّ منذ العصر الجاهلي كان من أهمّ وسائل الدعاية للقبيلة و للأحزاب السياسيّة و غيرها من الفرق الإسلاميّة إلى بعد ظهور الإسلام. فلم يشأ الفاطميون أن يغفلوا عن سلاح الشعر، و يحاربوا خصومهم به و يشهروه في وجوه أعدائهم؛ فلاغرو إذا وجدناهم يبذلون العطايا لشعراء دولتهم و يجعلون لبعض الشعراء رواتب شهرية كموظفين في الدولة.

و قد روى المقرئ في خطّته: أنّه كان للشعراء رواتب شهرية تقدّر من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير؛ غير ما كانوا يبذلون عليهم من الأموال في أيام الأعياد و المناسبات. و كلام المقرئ يدلُّ على اهتمام الفاطميين للشعراء؛

فقد قال في حديثه عن « المنظرة ببركة الحبش »: « وكانت لهم منظرة تُشرف على بركة الحبش؛ قال الشريف أبو عبدالله محمد الجواني في كتاب النقط على الخطط: إن الخليفة الأمر بأحكام الله بنى على المنظرة التي يقال لها بئر دكة الحركة، منظرة من خشب مدهونة، فيها طاقات تُشرف على خضرة بركة الحبش؛ وصور فيها الشعراء، كل شاعر وبلده؛ واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح و ذكر الحركة؛ وكتب ذلك عند رأس كل شاعر، و بجانب صورة كل منهم رفّ لطيف مذهب.

فلما دخل الأمر وقرأ الأشعار، أمر أن يحطّ على كل رفّ صرة مختومة فيها خمسون ديناراً؛ وأن يدخل كل شاعر و يأخذ صرته بيده؛ ففعلوا ذلك و أخذوا صررهم و كانوا عدّة شعراء.

و مهما يكن من شيء، فإن التاريخ لم يحدّثنا عن دولة من الدول الإسلامية أقامت الشعراء هذه المنزلة السامية، و هذا التمجيد و الحفاوة، ولانكاد نقرأ مثلما أقامته الفاطميون، من وضع صورة كل شاعر مع بيان اسمه و رسمه في طاقات، أو في منتزهات عامة. و هي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ دلالة قاطعة على تمجيدهم و تقديرهم لفنّ الشعر و الشعراء؛ لأنّهم كانوا قد عرفوا أن الشعراء لسان تمجيدهم، و أكبر عامل في رفع شأن دولتهم، و توطيد كيانهم؛ فكانوا كذلك حتّى في القسم الأخير من العصر الفاطمي. و هذا الإغداق بظنّي ممّا حدى بالشعراء أن يقصدوا الفاطميين من كل صوب و حدب؛ و لهذا كثّر الشعراء في العصر الفاطمي و كثر إنتاجهم.

ثم لم يكن هذا التقدير و التشجيع من قبل خلفاء الفاطميين فحسب؛ بل كانت سيّدات القصر الفاطمي، يقدّرن الأموال و العطايا على الشعراء كلّما سمعن

من وراء الحجاب منهم مدحاً في حق أئمتهم، أو كان الشعر وفق ذهن  
الفاطميين. وقد قلنا في ترجمة عُمارة أنه بعد أن أنشد قصيدته الأولى في مصر و  
التي مطلعها قوله :

أَلْحَمْدُ لِلْعِيسِ بَعْدَ الْعَزْمِ وَالْهَمِّ      حَمْدًا يَقُومُ بِمَا أَوْلَتْ مِنَ النِّعَمِ

حازت القصيدة رضى الخلفاء، و أغدقوا عليه الأموال، و أخرجت له السيدة  
الشريفة بنت الإمام المحافظ خمسمائة ديناراً.

و مثله القاضي الرشيد الزبير،<sup>١</sup> فإنه عندما وفد على القاهرة بعد مقتل  
الخليفة الفاطمي الظافر، و حضر المآتم التي كانت قد أقيمت له في الديار  
المصرية مع الشعراء، قام آخرهم و أنشد قصيدته التي مطلعها:

ما للرياض تميل سُكراً؟      هل أُسْقِيتَ بِالْمِزْنِ خَمْرًا؟



و عندما وصل إلى قوله :

أفكر بلاءً بالعراق      و كربلاءً بمصر أخرى؟!

١. القاضي الرشيد أبو الحسين أحمد ابن القاضي الرشيد أبي الحسن علي بن القاضي الرشيد أبي اسحاق  
إبراهيم بن محمد بن الحسين ابن زبير الفسافي المصري الأسواني المقتول ٥٦١، ٥٢٦، ٥٦٣ هـ. كان من  
أهل الفضل و النباهة و الرياسة، كاتباً شاعراً فقيهاً نحويًا لغويًا ناشئاً عروضيًا مؤرخاً منطقياً مهندساً،  
عارفاً بالطب و الموسيقى و النجوم متفتناً، و جاء أنه كان من أفراد الدهر فاضلاً في فنون كثيرة من العلوم؛ و  
هو من بيت كبير بالصعيد من المولدين، و له تأليف، قتله شاور ظلماً لميله إلى أسد الدين شيركوه.  
له: الرسالة الحُصَيْبِيَّة، جنان الجنان و رياض الأذهان، منية الأُلَمِّي و بِلغة المدعي، المقامات، الهدايا و الطرف،  
شفاء الغلة في سمت القبله، ديوان شعر.

الأعلام ١٦٨/١. أعيان الشيعة ٥٧/٩. إيضاح المكنون ٢٧٣/١. بغية الوعاة ١٤٦/١. خريدة القصر (ق  
مصر) ٢٠٠/١. روضات الجنات ٢٧٩/١. الروضتين ١٤٧/١. شذرات الذهب ١٩٧/٤. الكامل في  
التاريخ ١٥٥/١١. مرآة الجنان ٣٦٧/٣. معجم الأدباء ٥١/٤. المنتظم ٢٤٧/١٠. النجوم الزاهرة  
٣٨٣/٥. نسمة السحر ١٦١/١. وفيات الأعيان ٥١/١.

ضجَّ القصرُ بالبكاء والعويل، من قبل الخلفاء والسيدات؛ فاثالت عليه العطايا، و من ثمَّ بدأت صلته بالقصر والوزراء؛ حتى قيل: إنَّ هذه القصيدة وحدها كانت سبب تقدّمه في الدولة<sup>١</sup>.

فشعراء مصر الفاطمية بعد هذا كله، كانوا في غنى من أسباب الترف والحياة الإجتماعية؛ وكان همُّهم نظم الشعر في المناسبات فحسب، والإلتقان والإجادة في الشعر؛ حتى أنَّ تطوُّراتٍ حصلت في الأدب العربي، و وجدت فيه خصائص لم تكن موجودة من قبل؛ واشتغلوا في الزينة اللفظية وإتيان المعاني الدقيقة. وأنَّ المؤرخين و صَفَّوا الشعرَ الفاطميَّ بالرِّقة والعذوبة والجزالة والسلاسة إلى غير هذا من الصفات التي توصف به الألفاظ الشعرية؛ فضلاً على أنَّ هؤلاء الشعراء أخذوا على أنفسهم أن يكون شعرهم حاوياً للخصائص التي ظهرت في الشعر العربي في كلِّ عصوره وبيئاته منذ عُرِف الشعر العربيُّ، و بعيد عن ألفاظ أعجمية. ولهذا نستطيع أن نقول لم يتمكَّن باحثٌ في تاريخ الأدب الفاطمي أن يدَّعي بذلك، وهو استعمال وجود بعض ألفاظ أعجمية فيه؛ أجل و لكنَّنا نستطيع القول أن ذلك قليل جداً وهو ناشئٌ من أن بعض الشعراء حاول أن يتظرف في الشعر باستعماله بعض ألفاظ أعجمية فاستعملها. وإنَّ الناحية التي تمتاز في الشعر الفاطمي، هي أنَّ الشعراء الفاطمية صَوَّروا البيئة المصرية والحياة المصرية في عهدهم أصدق تمثيل، و وفقوا في التعبير عن شخصيّة مصر؛ حتّى أن الشعر الفاطمي كاد يكون سجلاً سياسياً للأحداث التي ألمت و جرت في ذلك العصر. وأنَّ هؤلاء الشعراء عندما كانوا لسانَ الدولة في مثل هذه الأحداث السياسية، فلا مشاحة أن كان ما ينشد من الشعر السياسي هو صورة صادقة و « ريبورتاج سياسي » لحياة مصر

السياسية، دون غيرها من الأقطار العالمية الأخرى. ولكنَّ الأسفَ كلُّه أنَّ الأحداث الطارئة على مصر - سيما في أيام المستنصر بالله الفاطمي - إبانَ المحنة الكبرى و في الصراع الذي كان بين شاور وضرغام في أواخر العصر الفاطمي، كانت من أهمِّ أسباب ضياع شعر الشعراء، وكتب العلماء؛ فقد كانت هذه الأحداث و الاضطرابات مأساةً للعصر الفاطمي نفسه؛ إذ سبَّبت زوال الدولة الفاطمية، و أصبحت مأساةً للحياة الأدبيَّة و الفكرية أيضاً؛ فذهب ضحيَّتها مئاتٌ من الدواوين للشعراء الذين كانت تزخر بهم مصر الفاطمية. و لو راجعنا التاريخ و دقَّقنا النظر حول الشعر الفاطمي، لعرفنا مدى هذه الخسارة التي لحقت بتاريخ الأدب المصري، لضياع هذه الثروة الأدبية المصرية، ولأثبتنا أنَّ مصر الفاطميَّة كانت غنيَّةً بشعرائها، خَصِبةً في شعرها<sup>١</sup>.

قال عزَّ الملك المختار محمد بن عبيدالله المسَّحي الحرايى المصري ( ٣٦٦ - ٤٢٠ هـ ) : و ذكر عند العزيز بالله، كتابُ «العين» للخليل بن أحمد، فأمر خزَّان دفاتره فأخرجوا من خزانته ثيِّفاً و ثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن أحمد.

و حَمَلَ إليه رجلٌ نسخةً من كتاب «تاريخ الطبري» اشتراها بمائة دينار؛ فأمر العزيزُ الخزَّانَ، فأخرجوا من الخزَّانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، منها نسخة بخطه. و ذكر عنده كتاب «الجمهرة» لابن دُرَيْد، فأخرج من الخزَّانة، مائة نسخة منها.

و قال في كتاب «الذخائر»<sup>٢</sup> عدة الخزائن التي برَّسم الكتب في سائر

١. في أدب مصر الفاطمية ١٣٨/ - ١٣٩.

٢. مؤلف كتاب «الذخائر و التحف» هو الأمير جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون البطائحي؛ و قد أشرنا

إلى ترجمته ص ٦٣ و ٦٤ من الكتاب.

العلوم بالقصر أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة؛ و أن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر، ألفان و أربعمئة ختمة قرآن، في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن، محلاة بذهب وفضة و غيرها، و أن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته؛ ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة، دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها.

و وجدت صناديق مملوئة أقلاماً مبرية من براية ابن مقله و ابن البواب و غيرها.

قال: و كنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى و ستين و أربعمئة (٤٦١ هـ) فرأيت فيها خمسة و عشرين جملاً موقرة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي، فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر، هو و الخطير ابن الموفق في الدين، بإيجاب وجبت لهما عما يستحقاه و غلمانها من ديوان الجبليين؛ و أن حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاری مماليكه و غلمانه بخمسة آلاف دينار.

و ذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار، و نهب جميعها من داره يوم انهزام ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة، مع غيرها مما نهب من دور من سارمعه من الوزير أبي الفرج و ابن أبي كدينة و غيرها. هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة، و سوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحرق بالإسكندرية، ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب. و سوى ما ظفرت به لواتة محمولاً مع ما صار إليه بالابتياح و الغصب في بحر النيل إلى الإسكندرية، في سنة إحدى و ستين و أربعمئة و ما بعدها من الكتب الجليلة المقدار، المعدومة المثل، في سائر الأمصار، صحة و حسن خط و تجليد و غرابة التي أخذ جلودها عبيدهم و

إماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم؛ وأُحرق ورقها تأوُّلاً منهم أنَّها خرجت من قصر السلطان - أعزَّ الله أنصاره - وأنَّ فيها كلامُ المشاركة الذي يخالف مذهبهم، سوى ما غرق و تلف و حمل إلى سائر الأقطار، و بقي منها ما لم يحرق، وسفت عليه الرياح التراب فصار تِلَلاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب. و قال ابن الطوير: خزانة كتب كانت في إحدى مجالس المارستان اليوم ( يعني المارستان العتيق ) فيجيء الخليفة راكباً و يترجَّل على الدكة المنصوبة و يجلس عليها، و يحضر إليه من يتولاها؛ و كان في ذلك الوقت المجلسُ بن عبد القوي، فيُحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة و غير ذلك ممَّا يقترحه من الكتب، فإنَّ عنَّ له أخذُ شيء منها، أخذه ثم يعيده. و تحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، و الرفوف مقطعة بجواجز، و على كلِّ حاجز باب مُقفَّل بفصلات و قفل؛ و فيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات و يسيرُ من المجرَّدات؛ فمنها: الفقه على سائر المذاهب و النحو و اللغة و كتب الحديث و التواريخ و سير الملوك و النجامة و الرُّوحانيات و الكيمياء من كل صنف النُّسخ، و منها النواقص التي ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كلِّ باب خزانة و ما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها، و فيها من الدروج بخطُّ ابن مقلة و نظائره كابن البواب و غيره؛ و تولَّى بيعها ابنُ صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين.

فإنَّ أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها، و فيها ناسخان و فراشان، صاحب المرتبة، و آخر فيعطى الشاهد عشرين ديناراً و يخرج إلى غيرها.



و قال ابن أبي طي<sup>١</sup> بعد ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر - : و من جملة ما باعوه خزانة الكتب؛ و كانت من عجائب الدنيا، و يقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام، دار كتبٍ أعظمَ من التي كانت بالقاهرة في القصر؛ و من عجائبها أنه كان فيها ألف و مائتا نسخة من تاريخ الطبري، إلى غير ذلك؛ و يقال: إنها كانت تشتمل على ألف و ستمائة ألف (١/٦٠٠/٠٠٠) كتاب، و كان فيها من المخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. انتهى.

و مما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة، جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد، و باع ابن صورة دلائل الكتب منها جملة في مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء.

و ذكر ابن أبي واصل<sup>٢</sup> أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة و عشرين



١. أبو الفضل يحيى بن حميدة بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي البخاري الحلبي الشهير بابن أبي طي ٥٧٥ - ٦٣٠ هـ.

عالم مؤرخ مؤلف متتبع له تصانيف في أنواع العلوم، تأدب و تفقه على مذهب الإمامية، و كان شاعراً له مدائح كثيرة في أهل البيت عليهم السلام، ولد بحلب و نشأ و مات بها.

له: معادن الذهب في تاريخ حلب. كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين. المنتخب في شرح لامية العرب. سلك النظام في تاريخ الشام ١ - ٤. حوادث الزمان ١ - ٥. أخبار الشعراء السبعة.

الأعلام ١٧٥/٩. أعيان الشيعة ١٥/٥١. الأنوار الساطعة في المائة السابعة ٢٠٥/٥. إيضاح المكنون ٥٦٨/٢. تأسيس الشيعة ١٢٨. الذريعة ٣٣٦/١ و ٢١٩/٣ و ١٧٧/٢١. كشف الظنون ٢٧/٢٧٧.

٣٠٤، ٣٩٨، ٦٩٣. لسان الميزان ٢٦٣/٦. معجم المؤلفين ١٩٦/١٣. هدية العارفين ٥٢٣/٢.

٢. جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن أبي واصل المازني، التميمي، الحموي الشافعي ٦٠٤ - ٦٩٧ هـ.

فقيه، أصولي، متكلم، منطقي، حكيم، طبيب، مؤرخ، أديب، شاعر، عروضي، لغوي، نحوي، عالم بالمنطق و

ألف مجلداً.

والذي ينبغي الإشادة به هنا هو أن شعراء الفاطميين بعد ما نالوه من حظاً وافراً ومقام رفيع كلّ واحد في الدولة، لم يكونوا أوفياء للدولة بعد ضعف حكمها وانقراضها؛ فكم منهم خرج من مصر غاضباً يهجوها، ومنهم من التحق بالدولة العباسية فمدحها بقصائد عدّة وهجا الفاطميين. وإن مصر و الفاطمية التي أكرمت هؤلاء الشعراء فمدحوها، كانت هي مصر و الفاطمية التي هجّوها، بعد أن رحلوا عنها وانقرض حكمها؛ وكان شأنهم في ذلك شأن بقية الشعراء من ذوي الأطلع التي لا تقف عند حدّ. فإن كثيرين من الشعراء وفدوا على مصر فأغدق عليهم الخلفاء و الوزراء أموالاً و عطايا جمّة، و هم مدحوهم و كأنّهم لم يفدوا على مصر إلّا لقصد النوال، و لكن سرعان ما تبدد الحكم الفاطمي، و لم يعرف الشعراء معروفهم و جميل صنّهم! و ليعلم أن هذه الصفة لم تكن خاصة لهؤلاء، بل هي صفة يتحلّى بها جلّ الشعراء منذ وُجد الشعر في التاريخ و إليك على سبيل المثال:

←

الهندسة، من فقهاء الشافعية، مولده و وفاته في حماة (سورية). أقام مدة طويلة في مصر، و اتّصل بالملك الطاهر بيبرس، فأرسله في سفارة عنه إلى ملك صقلية الأنثور مانفريد. ولما عاد بعد مدة لُقّب قاضي القضاة و شيخ الشيوخ بحماة و مات في شوال ٦٩٧ هـ.

من تأليفه: مُفَرَّجُ الكروب في أخبار بني أيوب. التاريخ الصالح. تجريد الأغاني. شرح ما استغلق من ألفاظ كتاب الجمل في المنطق. هداية الألباب في المنطق. شرح قصيدة ابن الحاجب. مختصر الأدوية. مختصر المجسطي.

الأعلام ٣/٧. آداب اللغة العربية ١٧٢/٣. إيضاح المكنون ٤٣٠/١. بغية الوعاة ٤٤/٤. تاريخ أبي الفداء ٣٩/٤. شذرات الذهب ٤٣٨/٥. طبقات القاضي ابن شهبة ١٩٤/٢. معجم المؤلفين ١٧/١٠. نكت الهميان ٢٥٠/٢. هدية العارفين ١٣٨/٢.

١. المخطوط المقرئ ٤٠٨/١ - ٤٠٩.

أميّة بن أبي الصّلت<sup>١</sup>

لم يكن أمية مصرياً إنما هو أندلسيُّ النشأة والمحتد؛ وفد على مصر في عهد الأمر بأحكام الله، وكان يخدم وزيره والخليفة بالصناعتين: الطب، و النجوم. كما وقد التفتّ حوله جمهور المتقّفين من المصريين يأخذون عنه العلم والأدب؛ وبالرغم من اتصال أميّة بالفاطميين ومُدّحه لهم واشتراكه للشعراء في الأعياد والمواسم وتنعمه في مصر بطبيعتها وهوها، وقد قدّره المصريون لعلمه وأدبه، ولكنه خرج من مصر غاضباً غير راضٍ عنهم يهجو مصر والمصريين؛ وويل لشعب وأمة لم يصل بين ظهرانهم شاعرٌ إلى مطامعه! فقال:

وَكَمْ تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى بِهَا أَحَدًا      يسلي من الهمّ أو يعدي على النُوبِ!  
فما وجدتُ سوى قومٍ إذا صدقوا      كانت مواعيدُهم كالألّ في الكذبِ<sup>٢</sup>

إلى غير هذا من الأبيات، وقد ألف كتاباً في وصف مصر جغرافياً و

مركز تحقيقات التراث والعلوم الإسلامية

١. أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبي الصّلت الأندلسي الداني ٤٦٠-٥٢٩ هـ.

حكيم، أديب شاعر، عالم، ولد بدانية، بالأندلس وتعلّم ونشأ بها، ثم رحل إلى الإسكندرية، أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أبي تميم معد، وعاش ستون سنة، منها عشرون في بلدة اشبيلية، وعشرون في إفريقية عند ملوكها الصنهاجيين، وعشرون في مصر محبوساً في خزانة الكتب؛ وكان وجهه صاحب المهديّة ألى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة في خزانة الكتب، فخرج في فنون العلم إماماً، وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين، وكان يكتفى بالأديب الحكيم، ومات سنة ٥٢٠ هـ. وقيل ٥٢٨ هـ بالمهديّة ودفن بها.

له: الهديقة (على نهج كتاب يتيمة الدهر). رسالة العمل بالاسطرلاب. الوجيز في علم الحياة. الأدوية المفردة. تقويم الذهن. ديوان شعر.

الأعلام ٣٦٣/١. إيضاح المكنون ١١١/١. شذرات الذهب ٨٣/٤. العبر في خبر من غبر ٤٣٢/٢. مرآة الجنان ٢٥٣/٣. معجم الأدباء ٥٢/٧. معجم المؤلفين ٣/٣. نفح الطيب ٤٩٦/١ و ١٠٥/٢. وفيات الأعيان ٢٤٣/١-٢٤٧. هدية العارفين ٢٢٨/١.

٢. أخبار الحكماء ٥٧.

تحدث فيه عن النيل و منابعه و زيادته و نقصانه. و روى ما قيل فيه من الشعر، كما أنه حاوى لأشعار قيلت في المناسبات و عرف «بالرسالة المصرية» و هي أوسع بحث عن تاريخ مصر العلمي و الأدبي.

### الفقيه عُمارة

ذكرنا في الصحائف السَّالفة ترجمة الفقيه بإسهاب و مدحه الفاطميين و اشتراكه معهم في المناسبات و الأعياد و المواسم، و قصائده التي كانت تنبئ عن إخلاصه و حبه للدولة الفاطمية؛ كيف و قد استشهد في سبيل الدعوة إليهم، غير أنه بعد ما قرضت الدولة و تولى الحكم و الوزارة صلاح الدين الأيوبي، أنشد عدّة قصائد يهنته فيها؛ و منها قصيدة يشبه فيها جيوش صلاح الدين بأنصار النبي صلى الله عليه وآله فيقول :

لَكَ الْحَسَبُ الْبَاقِي عَلَى عَقَبِ الدَّهْرِ	بَل الشرف الراقي إلى قَـةِ النسرِ
كَذَا فَلْيَكُنْ سَعْيُ الْمُلُوكِ إِذَا سَعَتْ	يَا أَلْهَمِ الْعَلِيَا إِلَى شَرَفِ الذِّكْرِ
نَهَضْتُمْ بِأَعْبَاءِ الْوِزَارَةِ نَهْضَةً	أَقْلَمْتُمْ بِهَا الْأَقْدَامَ مِنْ زَلَّةِ الْعَثْرِ
كَشَفْتُمْ عَنِ الْإِقْلِيمِ غُمَّتَهُ كَمَا	كَشَفْتُمْ بِأَنْوَارِ الْغِنَى ظِلْمَةَ الْفَقْرِ
حَمَيْتُمْ مِنَ الْإِفْرَنْجِ سَرَبَ خِلَاقَةٍ	جَرَيْتُمْ لَهَا مَجْرَى الْأَمَانِ مِنَ الذَّعْرِ
وَلَمَّا اسْتَغَاثَ ابْنُ النَّبِيِّ بِنَصْرِكُمْ	- وَ دَائِرَةُ الْأَنْصَارِ أَضْيَقُ مِنْ شَبْرِ -
جَلَبْتُمْ إِلَيْهِ النَّصْرَ أَوْسَا وَ خَزَرَجَا	وَ مَا اشْتَقَّتْ الْأَنْصَارُ إِلَّا مِنَ النَّصْرِ
كَتَائِبُ فِي جَيْرُونَ مِنْهَا أَوَاخِرُ	وَ أَوْلَهَا بِالنَّيْلِ مَنْ شَاطِئُ مِصْرِ
طَلَعْتُمْ فَأَطْلَعْتُمْ كَوَاكِبَ نَصْرَةٍ	أَضَاءَتْ مَكَانَ الدِّينِ لَيْلًا بِلا فَجْرِ
وَ آبَتْ إِلَيْكُمْ - يَا ابْنَ أَيُّوبَ - دَوْلَةٌ	تَرَا سَلَكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ السَّفَرِ
حَمَى اللَّهُ فِيكُمْ عِزْمَةَ أَسَدِيَّةٍ	فَكَكْتُمْ بِهَا الْإِسْلَامَ مِنْ رِبْقَةِ الْأَشْرِ
أَخَذْتُمْ عَلَى الْإِفْرَنْجِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ	وَ قُلْتُمْ لِأَيْدِي الْخَيْلِ: مُرِّي عَلَى «مَرِّي»!

إلى أن فقول :

فءلاً فقوم المسلمون بشكرها  
بكف آفن الرءمان أَعْظَمَ فثرف  
و لو رجعت مصرٌ إلى الكفر لانطوى  
و لكن شءءتم أزره بوزارة  
فهفئم ففتحاً فقدم جلّه  
وما بقفء فف الشرء إلا بقفة  
و عئء تمام الملك أفى مهئنا  
و لولا اعتقافى أن مءءك قرفة  
لما قلت شعراً بعء إعفاء خاطرف  
فأوفف بف الأفام ففراً ففانها  
و جائفزف فسهفل إءنف علفكم

لكم - آل أؤوب - إلى آخر الءهرا  
و آمن أركان الثئفة و المجر  
سباط الءى من ساحة البرّ و البحر  
غءا لفظها فشتق من شءة الأزر  
و بشر أن الكل فتلو على الإئرف  
فستئها فف ذمة البفس و السمر  
و ملتمساً أجر الكهانة و الزجر  
أرجئ بها نفل المئوبة و الأجر  
و لف سنواف منذ فبء من الشعر  
مصرفة بالنهف منك و بالأمر  
و ملقا كم لف بالطلاق و البشر

غفر أن القصفة هءه لم تقع موضع الرضى من صلاح الءفن و أمر بفباعاءه  
و نففه؛ فهنا عمد الففقه إلى وضع مخطط فطفح بوزارة صلاح الءفن.  
و لامشاحة أن شعر الففقه عمارة، لم فكن منبعنا عن أفمان و إءلاص  
صافق بالنسبة إلى صلاح الءفن، غفر أن الفءولات السفسافه الفف ففعت به أن  
فقع فف مءالب صلاح الءفن؛ فأرسل إلىه القصفة و استأله عسى أن فءظف  
بعفوه، و فذهب الشرعنه و فطلق سراحه و لا ففطلبه لأنه شعر موته، و أن  
ءففه سفكون على فءف صلاح الءفن.

قال ابن ءلكان شمس الءفن أحمد بن مءء ( ٦٠٨ - ٦٨١ هـ ) : نسب  
إلفه بفء من قصفة ذكروا أنه فقول ففها:

قد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دَعَوْه سيّد الأمم  
و يجوز أن يكون البيت معمولاً عليه، فأفتى فقهاء مصر بقتله، و  
حرّضوا السلطان على المثلة بمثله<sup>١</sup>.  
و جاء أنه لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه و حرّض  
عليه لأنّ صلاح الدين لما استشاره في أمره، قال: يُنْفَى! قال: يُرْجَى رجوعه.  
قال: يؤدّب. قال: الكلب يسكتُ ثم ينبج. قال: يُقْتَل! قال: الملوک إذا أرادوا  
فعلوا. و قام من فوره، فأمر بصلبه<sup>٢</sup>.

#### الشيزري مؤيد الدولة

الأمير الكبير سلالة الملوك و السلاطين، أبو الحارث، و أبو المظفر أسامة  
ابن مرشد بن علي بن مقلّدين نصريين منقذ، أحد الشعراء المشهورين في عهد  
الملك الصالح طلائع. بلغ من العمر سنة و تسعين سنة، و كان عمره يعدُّ تأريخاً  
مستقلاً وحده؛ و داره كانت تُعدّ معقلاً للفضلاء و منزلاً للعلماء؛ و له قصائد  
بديعة رائقة، ولديه علم غزير وجود و فضل كثير. و للملك الصالح قصائد عدة  
في مدحه، و كان في عهده والياً الحصن شيزر، و أحد الأمراء الذين كانوا  
يساعدون نور الدين الزنكي في حروبه ضدّ الصليبيين، و أحد أولاد ملوك  
شيزر؛ أقام بمصر مدة قليلة في أيام الفاطميين، و نال منهم مانال من العطايا و  
الهدايا و الأموال. ثم عاد إلى الشام و لما تولّى الوزارة صلاح الدين أنشده:  
حمدتُ على طول عمري المشيبا      و إن كنتُ أكثرُ فيه الذنوبا

١. النجوم الزاهرة ٦/٧٠. وفيات الأعيان ٣/٤٣٤.

٢. الغدير ٤/٤١٦.

لَأُنِّي حَسِيَّتَ إِلَى أَنْ لَقِيَتْهُ بَعْدَ الْعَدُوِّ صَدِيقاً حَبِيباً<sup>١</sup>

و له ديوان شعر؛ و صلاح الدين كان يفضلّه على سائر الدّواوين و مولده كان عام ثمان و ثمانين و أربعمائة، و وفاته سنة أربع و ثمانين و خمسمائة و دفن شرقي جبل قاسيون.

و أمثال هؤلاء الشعراء كثيرون إذ ما كادت تزول هذه الدّولة الفاطمية، و تشيّد الدولة العباسية بوزارة صلاح الدين، حتى انبرى شعراء الفاطمية فضلاً على شعراء الأيوبيين؛ يمدحون العباسيين و يقدحون في الدولة الفاطمية، و يهجونهم أقبح هجاء. قال أحد الشعراء مخاطباً الدولة العباسية:

أَلَسْتُ مُزِيلِي دَوْلَةَ الْكُفْرِ مِنْ بَنِي عَبِيدٍ بِمِصْرَ؟ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ  
زِنَادَقَةُ سَبْعِيَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ مَجُوسٍ وَ مَا فِي الصَّالِحِينَ لَهُمْ أَصْلُ  
يُسْرُونَ كُفْرًا يَظْهَرُونَ تَشْيِيعاً لِيَسْتَرُوا شَيْئاً وَ عَنْهُمْ الْجَهْلُ<sup>٢</sup>

و قال الحكيم عبد المنعم الجلياني<sup>٣</sup>

١. البداية والنهاية ١٢/١٣٣.

٢. الروضتين في أخبار الدولتين ١٦٤/، البداية والنهاية ١٢/٢٦٨.

٣. أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضرمين مالك بن حسان الجلياني الفسافي الأندلسي ٥٣١-٦٠٢ هـ.

كان علامة زمانه في صناعة الطب و الكحل، بارعاً في الأدب و صناعة الشعر، و عمر طويلاً - و كان صلاح الدين يرى له و يحترمه. و له فيه مدائح كثيرة، و صنّف له كتباً، وله: عشرة دواوين، قال العباد: و هو صاحب البديع البعيد، و التوشيح و الترشيح، و الترصيع و التصريح، و التجنيس و التطبييق، و التوفيق و التلفيق، و التقريب و التقرير، و التعريف و التعريب. رحل إلى بغداد عام ٦٠١ هـ. و توفّي بدمشق. له: تعاليتي في الطب. صفات أدوية مركبة. ديوان الحكم و منشور الكلم. ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى. أدب السلوك. ديوان نوادر الحكي. تحرير النظر. سرّ البلاغة و صناعة البديع. ديوان المبشرات. ديوان الغزل و

أبو المظفر مأوى كل مضطهد  
 مها يمل جائراً عاثت عمايته  
 أحى به الله مصرأ فهي ناشدة  
 كم للفرنج بها ورداً ومنتجعاً  
 فاطفاً الناصر المنصور جذوتهم  
 ملك تقلد سلك الملك منتظماً  
 ففرق المال جمعاً للقلوب به  
 إن الملوك الذين امتد أمرهم  
 كذا السياسة فالأخبار لو علموا  
 بحكمه و نداء يضرب المثل  
 فعند عدل صلاح الدين يعتدل  
 وافتكها من عدو ما به قبل  
 و نازهم حولها تذكو و تشتعل  
 و أدبروا بقلوب شهما و حل  
 و قال للمال: هذا منك لي بدل  
 و حسبه فيهم إدراك ماسألوا  
 لم يخزنوا المال بل مها حوذا بذلوا  
 فجل الملك وجاءت شدة خذلوا<sup>١</sup>

و قال حسان العرقلة<sup>٢</sup>: و كان قد وفد مع صلاح الدين إلى مصر و أنشد

النسيب و الموشحات و الدوييت. ديوان تشبيهات و ألقاب و رموز و أحاجي و أوصاف و خمريات. ديوان  
 ترسل و مخاطبات. منادح المادح و روضة المآثر  
 الأعلام ٣١٧/٤. إيضاح المكنون ٣٥١/١. فوات الوفيات ٤٠٧/٢. معجم البلدان ٦١٤/٢. معجم المؤلفين  
 ١٩٥/٦. نفع الطيب ٦١٤/٢. وفيات الأعيان ١٢٣/٣. هدية العارفين ٦٢٩/١.

١. أخبار الروضتين ٢٠٢.

٢. أبو الندى حسان بن نمير بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة الأعور، و بحسان الأعور الدمشقي ٤٨٦ -  
 ٥٦٧ هـ.

شاعر أديب، من الندماء، كان من سكان دمشق، و اتصل بصلاح الدين الأيوبي، فمدحه و نادمه. و وعده  
 صلاح الدين بأن يُعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية، فلما احتلها أعطاه ألفين، فمات فجأة  
 قبل أن ينتفع بفجأة الغنى.  
 له: ديوان شعر. و من شعره قوله:

يا ألف مولاي أين الألف دينار؟

قل للصّلاح مُعيني عند إيساري



## شعراً في الحوادث التي جرت في هذه الأوقات:

أصبحَ الملكُ بعد آل عليٍّ      مُشرقاً بالملوك من آل شادي  
و غدا الشرقُ يحسُدُ الغرب للقبو      م. و مصر تزهو على بغداد  
ما حووها إلا بحزمٍ وعزمٍ      و صليل الفولاذ في الأكباد  
لا كُفِرَ عونٌ والعزیز و من      كان بها كالخطيب والأستاذ

\*\*\*\*

هكذا كان الشعراء و مازالوا عليه، إلى أن تقوم الساعة؛ فالشعراء الذين مدحوا الفاطميين في عهودهم، كانوا هم الذين هجوها بعدها؛ فشعرهم يُرينا صوراً عن العصر الفاطمي، و صوراً عن العصر العباسي الثاني، و يمثل شعرهم ناحيتين من حياة الشعب المصري في الواقع.

و فوق ذلك كله يرينا الشعراء في شعرهم مدى انجرافهم مع تيار المادّة، و كيف شغلت أذهانهم بهاتين الدولتين ردياً من الزمن؛ و بذلوا من جهود كثيرة في تسجيل الوقائع التي حدثت في خلال هذه القرون. و الخلاصة أن شعر شعراء الفاطمية في التاريخ العربي، يعدّ سجلاً تاريخياً حافلاً عن الدولة الفاطمية، و أحسن صورة تاريخية منتزعة من الحياة المصرية الفاطمية المتشعبة النواحي؛ و أصدق تمثيل لها.

←

أخشى من الأسر إن وافيت أرضكم      و مساتي جنة الفردوس بالنار  
فجد بها عاضدياً موفرة      من بعض ما خلف الطاغى أخوال عار  
محراً كأسيا فكم غراً كخيلكم      عتقاً ثقلاً كأعدائي و أطهاري

الأعلام ١٩١/٢. شذرات الذهب ٢٢٠/٤. فوات الوفيات ٣١٣/١ - ٣١٨. مرآة الزمان ٢٦٨/٨. معجم المؤلفين ١٩٢/٣. النجوم الزاهرة ٦٤/٦.

١. الروضتين في أخبار الدولتين ٢٠٢/٢. البداية والنهاية ٢٦٨/١٢.

... وهذا آخر ما أردنا بيانه من «عيد الغدير في عهد الفاطميين»  
والحمد لله رب العالمين من البداية إلى النهاية.



مركز تحقيقات کتبی ویران علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کاپیویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کلمه‌پژ علم و رسالت

الفهارس

### التراجم الواردة في الهامش

- ٧٧..... إبراهيم بن محمد بن محمد الهاشمي م ٤٦٦ هـ.
- ٢٧..... أحمد بن الحسين بن الحسن أبو الطيب المتنبي ٣٥٤ هـ.
- ٢٢٢..... أحمد بن علي بن إبراهيم القاضي الرشيد م ٥٦١ هـ.
- ١٣٥..... أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي م ٤٦٣ هـ.
- ٦٨..... أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي م ٨٢١ هـ.
- ٦٤..... أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ م ٨٤٥ هـ.
- ٩٧..... أحمد بن محمد بن إسماعيل الشعرائي م ٣٤٥ هـ.
- ٨٥..... إسماعيل بن محمد ابن مكنسة م حدود ٥٠٠ هـ.
- ٨٦..... الأفضل بن بدر الجمالي م ٥١٥ هـ.
- ٢٢٩..... أمية بن عبد العزيز أبو الصلت الأندلسي م ٥٢٩ هـ.
- ١٨٦..... عبد الله بن علي بن داود بن المبارك م ٥٩٢ هـ.
- ٢٣٣..... عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني م ٦٠٢ هـ.
- ١٥..... عبيد الله المهدي بن محمد الجبيب الفاطمي م ٣٢٢ هـ.
- ٢٧..... كافور بن عبد الله الاخشيدي م ٣٥٧ هـ.
- ١٣١..... المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن طيور م ٥٠٠ هـ.

- محمد بن أحمد بن إياس المصري ابوالبركات م ٩٣٠هـ ..... ٣١
- محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم المازني الحموي م ٦٩٧هـ ..... ٢٢٧
- محمد بن عبيد الله المهدي (القائم بأمر الله) م ٣٣٤هـ ..... ٢٥
- محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل المسبّحي م ٤٢٥هـ ..... ٦٣
- محمد بن صفي الدين محمد الكاتب الإصبهاني م ٥٩٧هـ ..... ٣٢
- محمد بن الموفق بن سعيد الخبوشاني م ٥٨٧هـ ..... ٣٥
- محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الاندلسي م ٣٦٢هـ ..... ٢٥
- موسى بن المأمون البطائحي ... ..... ٦٣
- ميمون بن القاسم الطبراني ... كان حياً في ٣٩٨هـ ..... ١١
- النعمان بن محمد بن المنصور المغربي م ٣٦٣هـ ..... ٤٦
- هاشم بن فليته بن القاسم بن محمد م ٥٤٩هـ ..... ١٩٦
- هبة الله بن البدر ابن الصياد - ..... ١٨٦
- يحيى بن حميدة بن ظافر بن علي بن أبي طي م ٦٣٥هـ ..... ٢٢٦
- يوسف (صلاح الدين) بن أيوب بن شاذي م ٥٨٩هـ ..... ٣٤

## أنصاف الأبيات

الصفحة	الشاعر	النصف الأول
٢٣٥	الجلياني	أبوالمظفر مأوى كل مضطهد
٢٠٤	عمارة اليمني	أثمت يا من هجا السادات والخلفا
١١٥	أبو حامد	إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة
١٠٥	تميم بن المعز	إذا حان من شمس النهار غروب
١٠٤	تميم بن المعز	أرى أناساً ساء في ظنهم
١٥٩	ابن قادوس	أرى سرح الجزيرة من بعيد
٧٣	تميم بن المعز	أسرب مها هنّ أم سرب جنه
٢٠١	عمارة اليمني	أسفي على زمن الإمام العاضد
١٠٤	تميم بن المعز	إشرب فإن الزمان غصّ
٢٣٦	حسان العرقلة	أصبح الملك بعد آل عليّ
١٥٣	ابن جبير	أطفي ابن رزيك لهيب ظرامه
١١٦	أبو حامد	أظنّ و دادها من غير نيّه
١٢٣	أحمد الفجري	أعبد المحسن الصوريّ، لم قد

١٤٤	المؤيد الداعي	أقسم لو أنك توجتني
١٤٤	المؤيد الداعي	الله ينصر راية المستنصر
١٣٧	المؤيد الداعي	ألا إما هذى السما لا تمور؟
٢٠٦	الشافي	الحمد لله القديم الأزلي
١٣٤	محمد الصوري	الحمد لله معلّ العلل
٢٢٣-١٩٦	عمارة اليميني	الحمد للعيس بعد العزم و الهمم
٢٣٣	.....	ألستم مزيل دولة الكفر من بني
١٩٠	القاضي الجليس	ألمت بنا و الليل يزهي بلمته
٨٥	ابن المفرج	أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرا
١٧٥	طلابع	أنا من شيعة الإمام عليّ
١٥٩	ابن قادوس	أنت الإمام الأمر العدل الذي
١٨٧	القاضي الجليس	إن خانها الدمع الغزير
١٢٤	الصوري	أنست بوحدتي حتى لوائي
١٥٨	ابن قادوس	إن قلت من نار خلقت
٩٠	الخصبي	إن يوم الغدير يوم السرور
١٠٠	تميم بن المعزّ	أنت أهدى إلى المكارم و الفضل
٧٠	.....	أني يكون؟! و ليس ذاك بكائن
٩٦	عبدالله بن المعزّ	أي رُبع لآل هند و دار؟
٢١	القائم بأمر الله	أيا أهل شرق الله، زالت حلومكم
١٠٥	تميم بن المعزّ	أيا دير، مرّحنا سقتك رعود
١٢٧	الصوري	بالذي ألهم تعذيبي
١٩٢	القاضي الجليس	تسمع مقالي يا ابن الزبير
٩٢	الخصبي	تشخص للأنام فشبهوه
٣١	ابن هاني	تقول بنو العباس : هل فتحت مصر؟



مركز بحوث و توثيق و نشر علوم و فنون



١٩١	القاضي الرشيد	توقع لأيام اللثام زوالها
١٣٢	محمد الصوري	تولّى الشباب بريعانه
١٨٩	القاضي المجلس	ثروة المكرمات بعدك فقر
٢١٥	.....	ثم انقضت تلك السنون وأهلها
١٢٩	محمد الصوري	ثم رقا علوه إلى الهبل
٩٤	تميم بن المعز	جارك الغيث من محلة دار
١٢٤	الصوري	جزاك الله عن ذا النصح خيراً
١٢٦	الصوري	جفن على شوك القتادة مطبق
١٩٠	القاضي المجلس	حبذا متعة الشباب التي يعذر
١٢٨	الصوري	حديثه كالحدث
١٢٣	الصوري	حصلت بمصر همّي واستوطنت
٢٣٣	الشيّزي	حمدت على طول عمري المشيا
١٨٩	القاضي المجلس	حياً بتفاحة مخضبة
١١٤	أبو حامد	حيّ الخيام فاني
١١٢	أبو حامد	خذ في هناتك مما قد عرفت به
١٢٠	الصوري	خلا طرفه بالشقم دوني يلازمه
١٨٢	القاضي المجلس	دعاه لوشك البين داع فأسمعا
١٠٦	تميم بن المعز	دم العشاق مطلول
٢٦	ابن هاني	رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
٥٨	تميم بن المعز	رأيت معداً كالحسين وإنما
١٩٠	القاضي المجلس	رُبّ بيض سللن باللحظ بيضا
٧٤ و ٢٠١	عمارة اليميني	رمىت يا دهر كفّ المجد بالشلل
١٦٨	طلايع	سقى الحمى ومحلاً كنت أعهد
٨٥	ابن مكنسه	طويت سماء المكرمات



مركز بحوث ودراسات  
تاريخ وعلوم اسلامی

١٠٣	تميم بن المعز	عتبت فانثني عليها العتاب
١٩٣	أبو الفتح اللخمي	علمنا و قدمات الكمال التساويا
١٨٤	القاضي الجليس	على كل خير من و صالك مانع
١١٩	الصوري	عيون منعن الرقاد العيونا
١٥٤	ابن جبير	غضبتهم ولي الحق مهجة نفسه
٧٨	إبراهيم الهاشمي	فإن تسأليني : كيف أنت ؟ فإنني
١٧٠	طلايع	فإن زللت قديماً أو جهلت فقد
١٦١	ابن قادوس	فبت منها أرى النار التي سجدت
١٥٢	ابن جبير	فتح الخليج و سال منه الماء
١٣٦	المؤيد الداعي	قال و الرجل للسرى محمول
١٦٢	ابن قادوس	قالوا : أتاه النعث و هو
١٠٣	تميم بن المعز	قالوا : الرحيل لخمسة
١٢٤	الصوري	قالوا : عسى ثقلت عليه
١٠٢	تميم بن المعز	قالت : أغدراً بنا في الحب ؟ قلت لها
١٨٩	القاضي الجليس	قد أهملت كل الأمور فما
١٤٤	المؤيد الداعي	قد عز دين الله بالظاهر
٣٢	العماد الكاتب	قد خطبنا للمستضيء بمصر
٢٣٣	.....	قد كان أول هذا الدين من رجل
٨٨	الناجي المصري	قل لابن بدر مقال من صدقه
٢٣٤	حسان العرقلة	قل للصلاح معيني عند اعساري
١٣٣	محمد الصوري	قل لمن عاند الحديث و أضحى
١١٠	أبو حامد	كتب الحصار إلى السريير
١١٥	أبو حامد	كني ملائك يا ذات الملامات
١٩٢	القاضي الجليس	كم قد عصيت مقال الناصح الناهي

١٧٢	طلابع	لاتبك للجيرة السارين في الظعن
٢٣١	عمارة اليميني	لك الحسب الباقي على عقب الدهر
٥٧	تميم بن المعز	للعيد في كل عام
١٦٠	ابن قادوس	لمثل علاكم ينتهي المجد والفخر
١١٥	أبو حامد	لم يدع للعزیز في سائر الأرض
١٩١	القاضي الجليس	لئن أنكرتُم منا ازدحاما
١٤١	المؤيد الداعي	لي فيك صنع لم ينل
٢٢٣	القاضي الرشيد	ماللرياض تميل سكرًا
٨٦	ابن مكنسه	مثلي بمصر وأنت ملك
٧٨	.....	مذاهبهم في الجود مذهب سنّة
٢٨	المتنبّي	من علّم الأسود المخصّي مكرمة
١٠٠	تميم بن المعز	نأت بعد ما بان العزاء سعاد
١٢٧	الصّوري	نادمني من وجهه روضة
١٨٥	القاضي الجليس	النار بين ضلوعي
١٢٥	الصّوري	نجا المعري من العار
١٧٨	طلابع	نحن في غفلة ونوم وللموت
١٤٤	المؤيد الداعي	نسيم الصّبا، ألم بفارس غاديا
١٢٥	الصّوري	نكرت معرفتي لما حكم
١٢٢	الصّوري	وأخ مسّه نزولي عليه
١٨٧	القاضي الجليس	وأصل بليتي من قد غزاني
١٠٣	تميم بن المعز	وباكية من غير دمع بأعين
١٨٨	القاضي الجليس	و حق المعالي يا أباهَا و صنوها
١٠٨	تميم	ورد الحدود أرق من
٢٠٢	عمارة اليميني	وعليك من شيم النبي و حيدر



مركز تحقيقات کهنه و نوین علوم اسلامی

١٥٩	ابن قادوس	و فاتر النية عنيها
٨٧	علي بن عباد	وقد أعاد اليه الله خاتمته
٢٣٠	أمية بن أبي الصلت	وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً
١٩٠	القاضي الجليس	و كنت أهدي مع الريح السلام له
١٨٤	القاضي الجليس	ولقد رضيت بخير طبعك حاكماً
١٢١	الصوري	ولاؤك خير ما تحت الضمير
٢٠٣	عمارة اليمني	ولاؤك دين في الرقاب ودين
١٩٤	عمارة اليمني	ولاؤك مفروض على كل مسلم
١٧٩	طلايع	ولنا فطنته تريك لشعره
١٠٦	تميم	وليلة بثها على طرب
١٨٩	القاضي الجليس	ومن عجبني أن الصوارم والقنا
١٨٥	القاضي الجليس	هل عاذر إن رمث خلع عذاري؟
١٦١	ابن قادوس	هي بيعة الرضوان أبرمها التقى
١٤٢	المؤيد الداعي	هي القبة البيضاء قبة «حيدر»
١٤٧	ابن جبير	يا دار، غادرني جديد بلاك
١٠٣	تميم بن المعز	يا دهر، ما أقساك من متلون
١٥٦	ابن قادوس	يا سيد الخلفاء طراً،
١٦٦	ابن قادوس	يا شبه لقمان بلا حكمة
١٢٧	الصوري	يا له طارقاً من الحدثان!
٢٠٣	عمارة اليمني	يا مالك الأرض، لا ارضى له طرفاً
١٠٨	تميم	يا منتهى أمني، لاتدن لي أجلي
١٨٩	القاضي الجليس	يا وارثاً عن أب وجد
١٦٠	ابن قادوس	يا من يعيب أنوفنا الشم
٢٧، ٣١	ابن هاني	يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟

## ثبت المصادر

تقي الدين المقريري	إتعاظُ الحنفا
ابن ميسر المصري	أخبار مصر
خير الدين الزركلي	الأعلام
السيد محسن الأمين العاملي	أعيان الشيعة
الشيخ محمد الحر العاملي	أمل الآمل
علي بن يوسف القفطي	إنباء الرواة
الحافظ ابن حجر العسقلاني	إنباء الغمر بأبناء العمر
اسماعيل باشا البغدادي	إيضاح المكنون
ابن كثير الدمشقي الشافعي	البداية و النهاية
جلال الدين السيوطي	بغية الوعاة
جرجي زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
عماد الدين اسماعيل	تاريخ أبي الفداء
الخطيب أحمد بن علي البغدادي	تاريخ بغداد
جلال الدين السيوطي	تاريخ الخلفاء

تاريخ الخميس	حسين بن محمد الديار بكري
تاريخ الدولة الإسلامية	ابن طباطبا
تاريخ المساجد الأثرية	حسن عبد الوهاب
تاريخ مصر	ابن اياس
تذكرة الحفاظ	شمس الدين الذهبي
تنقيح المقال	الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن المامقاني
جامع الرواة	المولى محمد علي الأردبيلي
الحاكم بأمر الله	محمد عبدالله عنان
الحركة الفكرية في مصر	الدكتور عبد الطيف حمزة
حسن المحاضرة	جلال الدين السيوطي
الحلة السراء	ابن الأبار
حياة الحيوان	الدميري
خريدة القصر	عماد الكاتب (قسم شعراء مصر)
الخطط	تقي الدين المقرئ
خلاصة الأقوال	العلامة الحلبي (الرجال)
دائرة المعارف	البستاني اللبناني
دائرة المعارف	محمد فريد وجدي المصري
دمية القصر	الباخري
دول الإسلام	شمس الدين الذهبي
ديوان طلايع	تنظيم الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني
ديوان	عبدالمحسن الصوري (مخطوط بمكتبي)
ديوان	المؤيد داعي الدعاة الشيرازي
ديوان	ابن قلانس
ديوان	ابن هاني الأندلسي

ديوان	تقيم بن المعز الفاطمي
ديوان	عمارة الفقيه اليمني
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	الشيخ آغا بزرگ الطهراني
الرجال	تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي
رجال	أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي
رجال	الشيخ الطوسي محمد بن الحسن البغدادي
روضات الجنّات	السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري
الروضتين	ابن شامة المقدسي
رياض العلماء	الميرزا عبد الله أفندي
سبيل راحة الأرواح	ميمون بن القاسم الطبراني
سيرة الأستاذ جوذر	.....
سيرة المؤيد داعي الدعاة الشيرازي	.....
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلي
صبح الأعشى	القلقشندي
الضوء اللامع	شمس الدين محمد السخاوي
طبقات الأطباء	أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة
طبقات الحفاظ	جلال الدين السيوطي
الطبقات الشافعية	ابن قاضي شهبّة
الطبقات الشافعية	تاج الدين السبكي الشافعي
العبر في خبر من غبر	شمس الدين الذهبي
عمدة الطالب	جمال الدين أحمد بن علي الحسيني
الغدير	الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
الفاطميون في مصر	الدكتور حسن إبراهيم حسن
فوات الوفيات	ابن شاکر الکتبي

المحدث الشيخ عباس القمي	الفوائد الرضوية
شيخ الطائفة الطوسي محمد بن الحسن	الفهرست
الدكتور محمد كامل حسن	في أدب مصر الفاطمية
الفيروز آبادي	القاموس المحيط
عز الدين ابن الأثير الجزري	الكامل في التاريخ
مصطفى بن عبدالله الخليفة	كشف الظنون
المحدث الشيخ عباس القمي. تقديم الشيخ محمد هادي الأميني	الكُنَى والألقاب
ابن حجر العسقلاني	لسان الميزان
القاضي نور الله التستري	مجالس المؤمنين
المولى عناية الله القهبائي النجفي	مجمع الرجال
الدكتور جمال الدين الشيال	مجموعة الوثائق الفاطمية
عبدالله بن أسعد اليافعي	مرآة الجنان
سبط ابن الجوزي	مرآة الزمان
علي بن الحسين المسعودي	مروج الذهب
عبدالرحيم فودة	مساجد مصر
الميرزا حسين النوري	مستدرك الوسائل
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	المشتبه في أسماء الرجال
زكي محمد حسن	مصر الإسلامية
عبد الرحيم بن أحمد العباسي	معاهد التنصيص
ياقوت الحموي	معجم الأدباء
ياقوت الحموي	معجم البلدان
السيد أبو القاسم الخوئي النجفي	معجم رجال الحديث
إلياس سركيس	معجم المطبوعات العربية



معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة
المعز لدين الله	حسن إبراهيم حسن و طه شرف
المناقب	ابن شهر آشوب المازندراني البغدادي
منتخبات إسماعيلية	عادل العوا
المنتظم	ابوالفرج ابن الجوزي
ميزان الاعتدال	شمس الدين الذهبي
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي الظاهري القاهري
نسمة السحر	الصنعائي اليمني (مخطوط بمكتبتي)
نفع الطيب	الشيخ أحمد بن محمد المقرئ
النكت العصرية	عمارة الفقيه اليمني
نكت الهميان في نكت العميان	صلاح الدين الصفدي
نوابغ الرواة	الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة
نهاية الإرب	النويري
الوافي بالوفيات	الصفدي
وفيات الاعيان	شمس الدين ابن خلكان
هدية الأحاب	المحدث الشيخ عباس القمي
هدية العارفين	إسماعيل باشا البغدادي
الهمّة في آداب أتباع الأئمة	القاضي نعمان
يتيمة الدهر	أبو منصور الشعالي

## محتويات البحث

٧	المقدمة للدكتور عبد العزيز الدّوري
١٣	التمهيد
٤٣	العيد و الفاطميون
٦١	عيد الغدير
٨١	عيد الغدير و شعراء الفاطميّة
٩٠	أبو عبدالله الخُصبي
٩٤	تميم بن المعز لدين الله الفاطمي
١١٠	أبو حامد أحمد بن محمّد الأنطاكي
١١٩	عبد المحسن الصوري
١٢٩	محمد بن علي الصوري الحافظ
١٣٦	المؤيد داعي الدعاة الشيرازي
١٤٧	يحيى بن جبير المصري
١٥٦	القاضي جلال الدين ابن قادوس

١٦٨	طلايع بن رزيك
١٨٢	القاضي المجلس عبد العزيز
١٩٤	الفقيه نجم الدين عمارة اليمني
٢٠٦	الشافى الصوري الإسماعيلي
٢٠٩	خطبة عيد الغدير
٢١٠	خطبة عيد الغدير في مصر
٢١٣	خطبة عيد الغدير في اليمن
٢١٦	خطبة عيد الغدير في بلاد الشام
٢١٩	خاتمة البحث
٢٣٠	أمية بن أبي الصلت
٢٣١	الفقيه عمارة
٢٣٣	مؤيد الدولة الشيزري
٢٣٩	الفهارس
٢٤٠	التراجم الواردة في الهامش
٢٤٢	أنصاف الأبيات
٢٤٨	ثبت المصادر
٢٥٣	محتويات البحث